مكتبة المحبة
سلسلة الدراسات التاريخية المتعمقة

إلى الباحثين والدارسين ومُحبّى التاريخ المقدَّس:

تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

(الكنيسة التقليدية الأصلية)

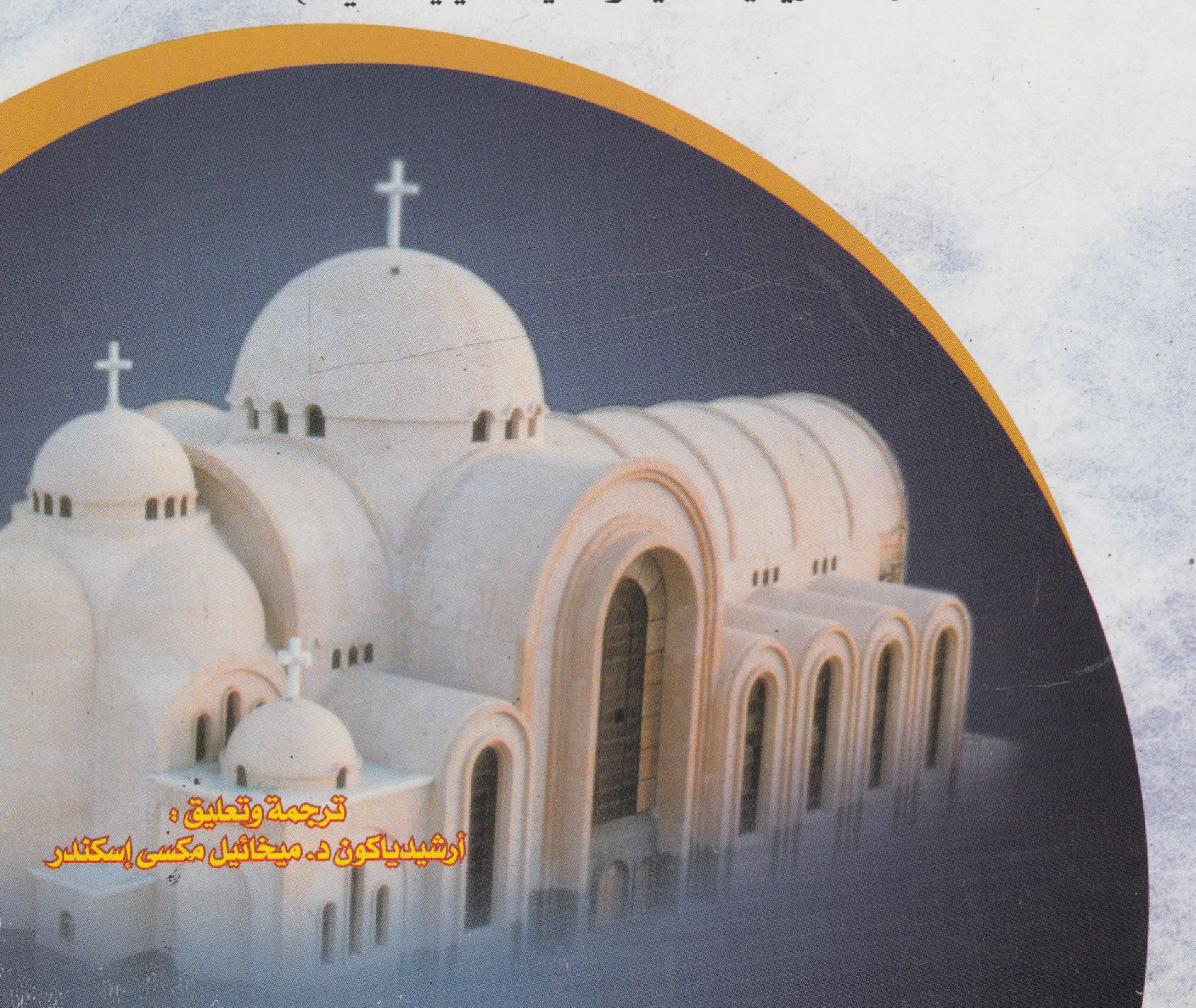
Traditional Egyptian Christianity:

A History of the Coptic Orthodox Church

تأليف
ثيؤدور هول باتريك

By: Theodore Hall Patrick

(دراسة تاريخية علمية وثائقية تحليلية حديثة)



ترجمة وتعليق:
أرشيدياكون د. ميخائيل مكسى إسكندر

مكتبة المحبة

سلسلة الدراسات التاريخية المتعمقة

إلى الباحثين والدارسين ومُحبّى التاريخ المُقدَّس :

تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

(الكنيسة التقليدية الأصيلة)

Traditional Egyptian Christianity :

A History of the Coptic Orthodox Church

تأليف

ثيؤدور هول باتريك

By : Theodore Hall Patrick

(دراسة تاريخية علمية وثائقية تحليلية حديثة)

ترجمة وتعليق :

أرشيدياكون د. ميخائيل مكسى إسكندر

طبع بشركة هارمونى للطباعة
تليفون ٦١٠٠٤٦٤ (٠٢)

رقم الإيداع 2005-9573
الترقيم الدولى 977-12-0808-x



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

تقديم الكتاب

مؤلف هذا الكتاب قد قام بتدريس تاريخ الكنيسة فى عـــدة جامعــات دينيــة بأمريكا، وهو كاهن بالكنيسة الأسقفية (الإنجيلكانية) . وقـد سـبق لـه أن تقـدم برسالة ماجيستير عن كل من العلاّمة القبطى أوريجانوس ، وعن البابا أثناسـيوس الرسولى، وتعلّم اللغة القبطية وأحبّ كنيستها وشعبها.

وقد اعتمد في مصادره على المخطوطات القبطيـة والدراسـات التاريخيـة الموجودة في مكاتب أوربا وأمريكا. وقضى فترات فى مصـر ، واطلـع علـى مكتبات دير أبى مقار ودير المحرّق، وجمعية الآثار القبطية ومعـهد الدراسـات القبطية وغيرها.

وقد تضمن كتابه إحدى عشر فصلاً شملت المراحل التاريخية المصرية مـن عهد مارمرقس الرسول حتى وقت تأليفه فى أواخر القرن الماضى وركز علـى أحداث النصف الثانى من القرن العشرين.

ويمتاز بذكر المصادر الكثيرة اللازمة للباحثين والدارسين لتـاريخ الكنيسـة القبطية، مع تحليل علمى للأحداث المختلفة.

ونرجو أن يكون له نفع لكل من يقرأه، بصلوات **قداسـة البابـا شـنودة** ، **ونيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس**، أسقف ورئيس دير السريان العامر والمشـرف العام على هذه السلسلة من الدراسات، آمين.

أرشدياكون د . ميخائيل مكسى إسكندر

الجيزة فى ٢٠٠٤/٢/١٦ (بدء الصوم الكبير المقدس)

مقدمة الكاتب

أن تاريخ المسيحية فى مصر ، هو من تاريخ المسيحية نفسها، والتى بـــدأت فى القرن الأول. والكنيسة القبطية هى نموذج فريد ، للمجتمع المُتديِّن الذى عـاش فى مواجهة التمييز العنصرى، والمتاعب من كل نوع، بما فيها الاضطهاد الشـديد والظلم الفادح للأقباط.

وقد أعجب الأجانب بتاريخ مصر، على الأقل منذ زارها المؤرخ الإغريقـــى هيرودُت فى القرن الخامس قبل الميلاد. وإندهش بآثارها وثقافتها. ونـــهر النيـل نفسه هو أسطورة (فى روعته). وأهرام الجيزة لا تزال من بين أهم فنون العمارة والهندسة، وكذلك معابد الأقصر وأبى سنبل والنقـــوش علـــى جـــدران المقـــابر الفرعونية، التى لا تزال تحتفظ بألوانــــها الزاهيـــة، وفنـــها البديـــع، والمعـــابد الفرعونية، التى تشهد بعظمة الحضارة المصرية القديمة.

وكذلك لا تزال المسيحية التقليدية (الرسولية) مرعيّة فى الكنيســـة القبطيـــة. ومنذ التسعينات (والأصح من أوائل القرن الماضى) نمت الكنائس، وكثر الشـــباب من الخُدَّام للكنائس ومدارس الأحد. واليوم تمتلئ الأديرة بالرهبان والراهبات مـــن خريجِّى الجامعات، ومن أساتذتها أيضاً.

ولا تزال العبادة - يوم الأحد - رائعة فى طقوسها القديمة، التى لا تزال تدل على تمسُّك الكنيسة المصرية بالتقاليد الرسولية والرهبانيـــة الأولـــى. كمـــا قـــاد بطاركة الإسكندرية المجامع المسكونية ، ووضعوا المبـــادئ القانونيـــة للإيمـــان المسيحى ، وشاركوا فى التعليم المسيحى لكل العالم.

وقد عانت مصر من غزوات الأجانب وأولهم الآشـــوريون والفُـــرس ، ثـــم الإسكندر الأكبر المقدونى. ثم قواده البطالمة المقدونيون والإغريق ، ثم الرومـــان، حيث صار إنتاج مصر الزراعى يُصَدَّر إلى روما ثم إلى القســـطنطينية ، لِغِنَـــى مصر فى الزراعة والصناعة .

ولما سيطر البطالمة خلقوا طبقة تتمتع بالامتيازات للإغريق. واستعانوا باليهود والمصريين لمساعدتهم فى إدارة البلاد ، واستمر هذا الوضع فى العصر الرومانى ، ولكن بعد استبعاد المصريين واليهود من تكوين الطبقة الممتازة .

وبالنسبة للجانب الثقافى ، فنجد أن الكتابة كانت دائما لها قيمة عالية (وتمثال الكاتب المصرى هو وضع محبوب فى تماثيل النُبلاء المصريين).

وكانت بدايات الكتابة هى الهيروغليفية ثم تبعتها الهيراطقية البسيطة ثم الديموتيقية الأبسط . أما الكتابة القبطية ، فقد تطورت فى عهد البطالمة (والأصح فى عهد الرومان ، على يد العلامة القبطى بونتينوس) .

وقد تقدمت فنون الرسم والنحت والعمارة ، فى وقت مبكر جداً ، من العهد الفرعونى ، وقد تشابه الأدب المصرى القديم مع العبرى ، خصوصا فى المزامير، وأدب الحكمة .

وتشتهر مصر القديمة بالتدّين ، وقد أصر الفرعون إخناتون على عبادة الإله الواحد (monotheism) ، كما امتاز المصريون القدماء بالنظرة التفاؤلية ، والإيمان بالحياة بعد الموت ، والاهتمام ببناء القبور. وكذلك المعابد فى كل مكان والاحتفالات بها .

ولم يبذل الإغريق والرومان جهوداً كبيرة لتغيير العبادات الفرعونية ، وحاولوا عبادة سيرابيس بالإسكندرية، كرمز للفكر الدينى المصرى - الإغريقى .

وقد ذكر المؤرخ اليهودى يوسيفوس - فى القرن الأول - أن الإسكندر الأكبر قد جلب بعض اليهود (من فلسطين) لتعمير مدينته الجديدة " الإسكندرية " بينما زاد بطليموس الأول من هجرتهم إليها . وكان لهم مراكز أخرى استقروا بها ، وقد ذكر " فيلو " (Philo) اليهودى، فى القرن الأول الميلادى، أن اليهود قد بلغ عددهم فى زمانه نحو مليون ، وقد سمح لهم بالحياة حسب تقاليد أسلافهم وإرسال ضريبة للهيكل بأورشليم .

وقد خدم اليهود فى الجيش وامتلكوا الأراضى ومارسوا الزراعة ، والحِرَف اليدوية ، وخدموا في الحكومة وعملوا فى التجارة[1] . وتمت ترجمة العهد القديم إلى اليونانية التى كانوا يعرفونها فى الإسكندرية، وسُميت بالترجمة السبعينية (٢٨٢ ق.م) [Septuagint] .

وكانت اليهودية فى الإسكندرية ، وباقى المدن المصرية،من أصل عبرى ، ولكن يسود الطابع الهلينستى (اليونانى الأصل) ، بسبب اعتبار الإسكندرية مركز الحضارة الهلينستية ، التى سادت فى شرق البحر المتوسط ، كنتيجة لغزوات الإسكندر الأكبر فى القرن الرابع ق.م . ويبدو أن خطته كانت نشر الحضارة الإغريقية فى مدن مثل الإسكندرية فى مصر ، وإنطاكية فى سوريا . ومنها تشع هذه الحضارة لما حولها . وكانت اللغة اليونانية ، والفنون والفلسفة والتعليم لها أثرها فى نشر الحضارة الهلينستية وامتزاجها بحضارات الشرق .

ويمكن تقسيم المسيحية المصرية إلى إحدى عشر حلقة ، وتبدأ بنشر المسيحية في مصر حتى عام ١٧٥م . وإن كانت تلك المرحلة ذات أهمية خاصة كفرشة أساسية ، وإن كان من الصعب الاستفادة بها ، لقلة المعلومات عن الكنيسة المصرية فيها . وسنرى أن سبب تجاهلها ربما يرجع إلى شخصية المسيحية المصرية " **الهرطوقية** " (heretical) ، أو بالأكثر إلى الهوية اليهودية ، التى سمحت بأن **تختبئ فى الجماعة اليهودية المصرية الكبيرة الحجم**[2] . ثم

---

(1) Tcherikover, Hellenistic Civilization & the Jews, trans. Applebaum, New York, 1970, pp. 58-286.

(٢) لا نوافق الكاتب على تعليله بضآلة المعلومات المسيحية المصرية فى القرن الأول الميلادى ، **كنتيجة للهرطقة والسلوك كاليهود** . وهو لم يرد فى أى مصدر علمى أو تاريخى.

والواقع أن هذه الفترة كانت مرحلة سكون وسلام دينى فى الإمبراطورية (Pax-Romana) وأن نظرة الأباطرة الرومان إليها كانت – فى البداية – أنها مجرد شيعة يهودية جديدة ، ولا تؤثر بتعاليمها فى السياسة ، بصفة عامة ، كاليهودية الموجودة بصفة رسمية.

تنتقل إلى الفصل الثانى ، وهى فترة مثيرة تغطى تقريباً القرن الثالث . وفيها تضع المدرسة الإسكندرية المسيحية (المرقسية) المسيحية فى قمة المستوى الثقافى والروحى فى العالم الهلينستى . وفى نفس الوقت أقام بطاركة الإسكندرية نظاماً إدارياً كنسياً قوياً للكنيسة المصرية . وعلاوة على ذلك كانت هناك بدايات الرهبنة القبطية ، مما ساعد على قيادة المسيحية المصرية المبكرة للحركة الإيمانية المسيحية (فى العالم) .

ونرى فى الفصل الثالث أن الإنجازات التى سُجلت فى الفصل السابق ، تضع الإسكندرية فى مركز قيادة الكنيسة المسيحية المسكونية ، فى جهادها للتغلب على الكوارث (الروحية = الهرطقات) التى ظهرت بعد اعتناق الإمبراطور قسطنطين للمسيحية [والأصح : اعترافه بها كديانة شرعية فى الإمبراطورية طبقاً لمرسوم ميلانو سنة ٣١٣ (Religio Lecita)] ، وانتهاء الاضطهاد الرومانى الوثنى فى عهد دقلديانوس ووكلائه) .

وبالأقوال والأفعال،يبذل البابا أثناسيوس جهوداً طويلة لتوحيد الكنيسة فى العالم وراء إيمان مجمع نيقية ومبدأ الثالوث القدوس . وفى القرن الخامس يقوم البابا كيرلس الإسكندرى (الأول = عمود الدين) بجهد ناجح لوضع مبدأ مقبول عن"المسيح"؛ وفى نفس الوقت طوّر الرهبان المصريون طريقة جديدة – للعالم المسيحى – ووضعوا أساساً سليماً للحياة الروحية ونموها . وفى القرن الخامس ينتهى الدور المسكونى الإسكندرى سنة ٤٥١م ، بعدما أراد البابا ديوسقورس أن يسيطر على عاصمتىّ الإمبراطورية : القسطنطينية وروما (والعكس هو الصحيح ، إذ أرادت روما الهيّمنة على الكرسى المرقسى ، وطرد البابا ديوسقورس منه ، بالحيلة والخداع) .

وسترى كيف كانت العُزلة عن هذين المركزين الكبيرين ، قد ساهمت فى جعل الكنيسة المصرية كنيسة وطنية . وتتحول اللغة القبطية إلى لغة وثقافة قومية مصرية.

ويبدأ الفصل الخامس بالغزو العربى لمصر ، الذى سهّله الفُرس ، ولكن بالأكثر المسيحية البيزنطية المرتكزة فى القسطنطينية . وسنرى كيف أنه خلال ثلاثة قرون (٦٤٠-٩٧٠) قد وجد الأقباط طرقاً للحياة ، وجعلوا أنفسهم مطلوبين للعمل،ولكنهم أيضاً بدأوا يعانون من ضياع مركزهم فى بلادهم !! .

وفى الفصول الثلاثة التالية ، التى توصلنا إلى غزو نابليون لمصر سنة ١٧٩٨ ، سنرى كيف كان الغزو العربى ذا تأثيرات عنيفة على مصر أكثر من أى غزو سبقه . وكذلك لم يكن للحضارة الهلينستية[١] تأثيرها الحضارى على مصر كما فعل العرب والحضارة الإسلامية عليها . وإن كانت المسيحية قد أثرت تأثيراً عظيماً فى مصر ، لكن سنة ١٨٠٠م لم تكن شيئاً سوى مجرد أثر تاريخى مقدس (relic)[٢] .

وفى الفصل التاسع نبدأ فى ذكر الأسباب التى جعلت من المسيحية القبطية حركة دينية قوية وحيوية فى القرن العشرين . ومع أن الغزو الفرنسى لمصر سنة ١٧٩٨م قصير الحياة (٣ سنوات) لكنه جلب معه الباحثين والعلماء الذين نبهوا إلى أهمية الحضارة الغربية ، إذ أنه جاء المغامر الألبانى محمد على وسيّطر على مصر ، وبذل جهوداً مكثفة لجعلها " ذات اقتصاد ومجتمع حديث ".

وفى نفس الوقت يصل رجال البعثات التبشيرية الغربية ، الذين وجدوا أنه من الأسهل نشر مذاهبهم بين الأقباط[٣] عنهم بين المسلمين ، وأدخلوا عناصر

---

(١) اليونانى الأصلى يُسمىّ " إغريقيا " (Greck) . أما الذين قبلوا الحضارة اليونانية ، ولغتها وآدابها ، فقد تسموُا " هللينيون " (مثل اليهود المتأثرين بها) [Hellenistic] **(ملحوظة للمترجم).**

(٢) بعد أن كان الأقباط عند الغزو العربى نحو عشرين مليوناً ، صاروا بضعة آلاف فقط فى نهاية السابع القرن السابع عشر !! .

(٣) والواقع أن البعثات التبشيرية الكاثوليكية والبروتستانتية قد فشلت فى جذب كثيرين من الأقباط لأفكارها ، لكنها نجحت لحدٍ ما فى كسب البعض ، بعوامل مادية أو غيرها . وإن كانت فى نفس الوقت قد نبهت إلى أهمية التعليم الحديث (العلمى) والدينى للشعب القبطى.

جديدة فى حياة الكنيسة المصرية ، فصارت أخيراً من أهم عوامل قـوة الكنيسـة القبطية نفسها .

كما نرى القديس كيرلس الرابع (أبا الإصلاح) يعمل لمدة سبع سنوات فـى دفع أفكاره وبرامجه الإصلاحية (التعليمية) فى الكنيسة القبطية (إنشـاء مـدارس قبطية للبنين والبنات + جلب مطبعة حديثة) ، وكيـف كـانت هـذه الاتجاهـات الحديثة قد ساعدت على نهضة الكنيسة اليوم .

وفى الفصل العاشر سنرى كيف أنه فى أواخر القرن التاسع عشر قد جـاء الاحتلال البريطانى (١٨٨٢) وحُكمِه لمصـر ، ونتائجـه المتناقضـة، لمصـر وللأقباط، ولعلاقتهم بمصر .

ونرى أن كثيراً من التطورات فى مصر - وفى الكنيسة المصريـة - مـن ١٨٨٢ إلى ١٩٥٢م كانت لها نتائجها المختلطة بالنسبة لمستقبل الكنيسة ، التـى بدأت تنمو فى بداية القرن العشرين . فكان هناك جهاد مكثـف وبـزوغ أفكـار وهيئات دينية مهمة ، وظهرت شخصيات ، ظلت حتى التسعينيات مـن القـرن الماضى (تاريخ كتابة هذا المُؤلَف) لها دورها العظيم فى المسيحية القبطية .

ونركز فى الفصل الأخير على " النهضة " القبطية منذ عام ١٩٥٩ ، حيـث نسجل عصر الكنيسة الذهبى ، بعد ١٥٠٠ سنة من المُعاناة . ولسوء الحظ ، فإنـه رغم نهضة الأقباط الدينية - وهى حقيقة واقعة - فإنهم لم يعدوا الآن فى مصـر أحسن حالاً ، عما كانوا عليه فى القرن ١٩ ، سياسياً واقتصاديـاً واجتماعيـاً ، وسنعرف لماذا ؟ وسوف ننهى كتابنا بمكانة الأقباط فى القرن العشرين.

فى الخاتمة بإيجاز ، يرتفع التساؤل عن مدى استمرار المسيحية المصريـة. (والواقع أنه كان على هذا الكاتب ، أن يرجع بذاكرته إلى الوراء ، حتى يُـدرك أن هذه الكنيسة ، التى عانت من الاضطهادات مئات السنوات ، وصمدت لـلآن ، ستظل صامدة - بالطبع - أمام تجارب أقل بكثير مما حـدث لـها فـى قـرون الاضطهاد والاستشهاد ، وعصور الظلام) .

الفصل الأول

المسيحيون الأوائل في مصر إلى نحو عام ١٧٥م

كان مُقدَّراً على الكنيسة القبطية أن تقود المسيحية منذ أيامها الأولى – وبعد انتصارها – في العالم الروماني. ويقول الكاتب شور (Shore): " منذ بداية الكنيسة المسيحية في مصر، وهي تمارس دوراً هاماً، وفي بعض الأوقات ، كان تأثيرها حاسماً (عصر المجامع المسكونية الثلاثة)، كما أن تُرَاثها لا يزال له دورّه المباشر والواضح في العالم الحديث"(١) .

وقد حفظ المناخ الجاف والتربة الوثائق من كل الأنواع ، كما كانت المواصلات قصيرة ومباشرة بين إسرائيل ومصر ، حتى أنه جاءت العائلة المقدسة من بيت لحم وظلت بمصر حتى موت هيرودس ، كما رواه الإنجيل الأول. وقد وُجِدَت جماعات يهودية في عدة مدن مصرية . كما أن المسيحية قد انتشرت بين اليهود . وكانوا في مصر ، منذ مئات السنوات ، وخاصةً قبل الخروج . وبعد السبي في القرن السادس ق.م . حيث عاشوا في الإسكندرية. وتعلموًا اليونانية والثقافية الهلينية وترجموا التوراة إليها ، وقد كُتِبت أسفار العهد الجديد باليونانية ، مما ساعد على انتشار المسيحية .

وساعد عليها وجود مدرسة الإسكندرية اللاهوتية (المرقسية) وعلى رأسها علماء عظماء مثل أوريجانوس وإكليمنضس الإسكندري ، وقد وضع البابا ديمتريوس (الكرَّام) نظاماً إدارياً قوياً للكنيسة المصرية ، لم يُعادله سوى نظام كنيسة روما .

(1) A.F.Shore. Christian & Coptic Egypt. in Legacy of Egypt, 2nd, ed., Oxford, 1971, p. 390.

ويتحدث سفر أعمال الرسل عن خدمة الخادم " **أبوللوس** " Apollos اليهودى الإسكندرى ، الذى يُرجِّح مارتن لوثر - زعيم البروتستانت - أنه هو كاتب الرسالة إلى العبرانيين[١] .

كما نقرأ فى العهد الجديد عن سيرين[٢] (قيرين) Cyrene القريبة من الإسكندرية - والتابعة لها سياسياً واقتصادياً - ومنها سمعان القيريني حامل صليب المسيح (أع ١١: ٢٠ ، ١٣: ١). وكانت بها جماعة يهودية كبيرة، وقد استمدت المسيحية الأولى من الإسكندرية[٣] .

❖ أما لماذا لا نعرف إلا القليل عن المسيحية الأولى فى مصر ؟!

يرى الكاتب والتر بوير (Bauer) بأن الإيمان المسيحى السليم قد دخل إلى مصر - من روما - فى وقت متأخر ، وأن المسيحية الأولى فى مصر تعرضت للهرطقة الغنوسية (heretical Gnosticism)[٤] .

واستندت هذه النظرية على أن أشهر أسماء المسيحيين فى الإسكندرية كانوا غنوسيين مثل باسيليدس وفالنتينوس وكربوكراتوس . وزعم بوير إن مارمرقس قد أرسل لمصر بصفته تلميذاً ومترجماً للقديس بطرس الرسول فى روما[٥] ،*

---

(١) ولكن الأصح أنها للقديس بولس ، كما أثبته العلماء من القرائن الداخلية والخارجية للرسالة، وأقوال الآباء القُدامَى عنها .

(٢) تُسمىّ قيرين بليبيا الشرقية وليس القيروان (التى بُنيَت فى تونس سنة ٧٠٠م) .

(٣) لمزيد من التفاصيل عن ذلك ، راجع كتابنا : " تاريخ كنيسة الخمس المدن الغربية " (الطبعة الثانية، لمؤسسة مارمرقس للتاريخ سنة ٢٠٠٥).

(٤) هذه النظرية غير سليمة لأن المسيحية دخلت إلى مصر فى وقت مبكر ، وتدعَّمت بخدمة مارمرقس الرسول ، فى منتصف القرن الأول ، وأن انتشار الهرطقة الغنوسية (التى نادت بأن المعرفة أساس الخلاص) كانت فى القرن الثانى ، ولم تؤثر على الإيمان المسيحى السليم فى مصر .

(5) Creed, Orthodoxy & Heresy , Philadelphia, 1977.

* وقد قام قداسة البابا شنودة الثالث بتفنيد هذا الزعم، فى كتابه عن القديس مارمرقس .

وأن هذه النظرية قد أثارت الاهتمام ، والاعتراض عليها ، لعدم وجـود أساس متين لها[1] .

وقد ذكر كريد (Creed) " إنه ليس ثمة مدينة قد أثـرّت بعُمـق فـى تقـدم المسيحية أكثر من الإسكندرية "[2] .

كما قام كولن روبرتس (Roberts) بنقد هذه النظرية، موضحاً أن المسـيحية الأولى قد أتت لمصر من أورشليم إلى الإسكندرية ، وأنها مالت إلـى الأسـلوب اليهودى وليس أسلوب بولس الرسول (Pauline) وأنها تركت آثاراً قليلـة ، لأن المسيحيين لم يتميزوا عن اليهود ، إلا بعد الثورة اليهوديـة ضـد الإمـبراطور تراجان سنة ١١٧م . ووصل بيرجر بِرسُـون (Person) إلـى نفـس النتـائج ، وجعلها أكثر إقناعاً[3] .

وكانت المسيحية – فى الثلاثة قرون الأولى – لا تُعد فـى مصـر (أو فـى مكان آخر) ديانة شرعية (Legal) ، ولذلك لم تكن الجماعـات المسـيحية لـها حماية، ولا يحق لها التملُّك . لذلك شجعت المسيحية المسيحيين الأوائل فى مصـر أن تندمج فى المجتمع اليهودى ، الذى كانت له حقوقه ، على الأقل حتـى عـام ١١٧م ، وهو ما يفسر أن المسيحيين اختبئوا بين السـكان اليـهود (وهـو رأى غريب) !!.

وقد عرفنا عن المسيحية الأولـى فـى مصـر مـن الاكتشـافات الأثريـة (المخطوطات)، فقد عرفنا الأناجيل القانونية فى بداية القـرن الثـانى ، ومنـها إنجيلىّ مارمتى وماريوحنا اللذين كانا منتشرين فى الصعيد، مـع كتابـات مثـل كتاب الراعى لهرماس ، وإنجيل توما (الأبوكريفا) .

---

(1) Creed, Christian & Coptic Church. Oxford, 1942. p. 300.

(2) Colin Roberts, Early Christianity, in Journal of Egyptian Archeology. 40 (1954). pp. 92-96.

(3) Person . Earliest Christianity in Egypt, (Philadelphia, 1986). pp. 132-156.

كما عرفنا عملاً هاماً – فى القرن الثانى – كتبه إيريناوس أسقف ليون ، فى مكان بعيد ببلاد الغال (فرنسا) ضد الغنوسية. وقد وصل إلى مصر ، بعد سنوات قلائل من كتابته . وقد كتب هنرى شادويك[1] يقول: " تدل أوراق البردى على وجود المسيحية ، فى وقت مبكر فى مصر ". وكذلك يدل عليها كتابات مثل إنجيل العبرانيين ، وإنجيل المصريين ، وقد عارضا الزواج المسيحى ، وهناك أكثر من دليل على أنهما إنجيلان مصريان ، ولكنهما لم يفيدانا كثيراً عن المسيحية الأولى فى مصر ، سوى صلتها باليهود ، والاتجاه نحو فضيلة إنكار الذات .

كما أن رسالة برنابا وتعاليم بطرس ، وحتى كتاب (إنجيل) يعقوب كلها أيضاً كتابات مصرية (غنوسية) ، وأن رسالة برنابا (وليس إنجيل برنابا المزعوم) قد ظن إكليمنضس الإسكندرى وأوريجانوس أنها حقيقية، وأن كاتبها هو كاتب سفر أعمال الرسل (القديس لوقا البشير) . وتتشابه فى أسلوبها مع الرسالة للعبرانيين .

ونجد فى القرن الثانى كتاب يعقوب (James)، الذى يُسجّل قصة القديسة مريم أم يسوع، التى كتبها يعقوب بن يوسف النجار[2]، وتبدأ بقصة الحَبَل المقدس العجيب (الإلهى) وتستمر فى ذكر ميلاد المسيح، مع سيرة يوحنا المعمدان. ومكتوب بطريقة عبرية . ويذكر سيرة أم النور ويوسف ، ووالدّى يوحنا المعمدان ، كمثال لليهود المتديّنين .

والرسالة الثانية لإكليمنضس (الرومانى) والرسالة الخاصة بالرسل ، ويظن البعض أنهما من أصل مصرى . وتنقل رسالة إكليمنضس الثانية من إنجيل

---

(1) H. Chadwick, The Early Church, Baltimore, 1967, p. 64.

(٢) لم يكتب إنجيل يعقوب الأبوكريفا-أو مايسميّه الكاتب : "كتاب يعقوب"، الرسول يعقوب بن حلفى، وكذلك لم يكن هو ابن يوسف النجار ، وإنما ابن حلفى (كلوبا) أخو القديس يوسف النجار فى بعض التقاليد القديمة ، وابن مريم أخت أم النور .

المصريين (الأبوكريفا). وتُشبه اللاهوت الإسكندرى ، وإن لم تكتَب فى الإسكندرية ، لكن من الممكن جداً أنها كانت كذلك .

وهى عظة تؤكد على إلوهية المسيح ، وعن حقيقة تجسُده ، وعلى أننا أبناء الكنيسة ، التى هى جسد المسيح ، وعن التوبة والحاجة إلى الأعمال الصالحة .

أما رسالة الرسل (Epistle of the Apostles) ، التى يتضح أنها دُونَت فى آسيا الصُغرى ، قد انتشرت فى ترجمة قبطية بالصعيد ، كما عُرفت فى إثيوبيا ، وتقدم كلمات المسيح القائم من الأموات ، وتعليماته للرسل ، وهى تركز – مثل رسالة اكليمنضس الثانية – على لاهوت وناسوت المسيح ، والحاجة إلى طاعة وصايا المسيح . ونرى أن هذه الكتابات لها ملامح يهودية واضحة .

وفى الواقع (فى نظر الكاتب) أن الآداب المسيحية المصرية الأولى تناسب الأفكار المنادية بأنها كانت يهودية مسيحية. وأن المسيحيين كانوا جزءاً من المجتمع اليهودى، إلى أن جاء ردّ الفعل الفظيع ضد اليهود ، بعد الثورات اليهودية ، فى أوائل القرن الثانى[1] (١١٥-١١٧) .

وأن وصف المسيح بأنه علاّم الغيوب ، ونبع الحكمة ، وكلمة الله ، والفادى – كما ورد فى العهد القديم من نبوات عنه – ما يدل على طبيعة المسيحية المصرية الأولى التى تميل إلى اليهودية !!.

وإن قلنا أن جزءاً من المجتمع اليهودى فى الإسكندرية كان مسيحياً، فلا يعنى هذا أن غالبية اليهود ، قد رفضوا الإيمان المسيحى ، وإن كانوا جميعاً قد استعانوا بالترجمة السبعينية للعهد القديم (Septuagint). ويرى الكاتب أن المسيحية قد انتشرت بين يهود الإسكندرية بعد تدمير هيكل أورشليم (٧٠م) ، كما لعبت كتابات الفليسوف اليهودى الإسكندرى " فيلون " (Philo) باليونانية دوراً هاماً فى هذا المجال .

---

(١) راجع : فصل " اليهود " فى بنتابوليس ، فى كتابنا : " كنيسة الخمس المدن الغربية " .

ونرى في كتاب تاريخ الكنيسة ، للأسقف يوسابيوس القيصري بفلسطين ، أنه يفترض أن جماعة اليهود المصريين المُسماة : "**الأطهار**" (Therapeutae) والذين يعيشون في حياة نُسكيّة حسب وصف فيلون ، **كانوا من المسيحيين الذين آمنوا على يد مارمرقس الرسول**[١] ، لأن حياتهم الرهبانية كانت أقرب إلى المسيحية منها إلى اليهودية .

كما أن المسيحيين من اليهود ، الذين تقبلّوا الإنجيل في الإسكندرية، كان معهم أيضاً الدُخلاء لليهودية ، والذين كانوا يتعبدّون في المعبد اليهودي (Synagogue)،وأن الجميع قد أكدوا على أن المسيح هو المسيا (Messiah) المنتظر . وقبلوا تعاليمه ، سواء كانوا من اليهود المتزمتين أو المتحررين ، وسواء المُرتبطين بالناموس ، أو المتحمسين للتعاليم الهلينية والفلسفة اليونانية.

كما ظهرت في الإسكندرية جماعة المسيحيين الغنوسيين (gnostics) الذين ظنوا أنهم أعلى مستوىً روحياً من المسيحيين . ومن الجدير بالذكر أن الإسكندرية قد أنتجت أشهر مُعلّمي الغنوسية ، في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي، وهما باسيليدس وڤالنتينوس (Basilides & Valentinus) .

ونادت الغنوسية بأن المؤمنين ينالون معرفة سرية خاصة ، يتفوقون بها عن غيرهم . وقد قاومها – في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث – إيريناوس (Irenaeus) أسقف ليون (بفرنسا) وهيبوليتوس (Hippolytus) الكاهن العالِم ، وترتليانوس (Tertullian) وهو كاتب مسيحي لامع في قرطجنة (Carthage) بشمال إفريقية[٢] .

---

(1) Eusebius, Eccles. History, II. 17.

(2) Cfr. * Basilides, in Coptic Encyclopedia.
* Epiphanius, Panarion (New York 1990) p. 108.
* Irenaeus, Against Heresies.
* Tertullian, Against the Valentians.

وقد رأى الغنوسيون (حرفياً : ذوى المعرفة) **أن خلاص المـــرء بالمعرفـة (gnosis) والنظام (askesis)** . وهو خلاص روحى ســـماوى ، وليـس بجـهاد أرضى . وربطوا بين الفلسفة الأفلاطونية وتقاليد أسفار العهد القديم.

ويعتبر المصريون أن مارمرقس هو مؤسس الكنيسة القبطية، وقـــد أشـار إكليمنضس الإسكندرى فى أواخر القـــرن الثـانى أن الرسـول مرقـس جـاء للإسكندرية – من روما – بعد استشهاد الرسول بطرس (٦٧م) وأنـه أعـد بـها نسخة إنجيله الذى كتبه فى روما[١] .

وذكر المؤرخ يوسابيوس القيصرى التقليـد القديـم :" أن مرقـس كـان أول (رسول) أرسِل إلى مصر، وأول من أسس كنائساً فى مدينة الإسكندرية "[٢] .

ويحدد تاريخ وصوله إليها بالسنة الثالثة للإمبراطور كلوديـوس (Claudius) [أى عام ٤٣م] . وأن الذى تلاه على الكرسى المرقسى الإسكندرى (انيانوس) فـى السنة الثامنة لحكم نيرون (أى ٦٢م)[٣] وأن تقليداً قديماً (من القرن ٤) يشير إلـى أنه استشهد فى الإسكندرية[٤].

وهو كاتب الإنجيل الذى يحمل اسمه . وقد سجل سفر أعمال الرســل أنـه شارك – فى شبابه – القديسين برنابا وبولس وبطرس فى خدمتهم وأنه ثابت أنـه جاء للإسكندرية، رغم اعتراض بعض النقاد[٥]!!.

---

* The Nag Hammadi Library, San Francisco, 1988.

(1) Smith, Clement of Alex., & A Secret Gospel of Mark (Harvard Univ. 1973) p. 446.

(2) Eusebius, Eccles. History,II, p. 17.

(٣) تذكر المصادر القبطية أنه استشهد سنة ٦٨م ، وقد رأينا أنه جاء لمصر عام ٥٦م (كمـا أثبتناه فى كتابنا عن كنيسة بنتابوليس) .

(٤) راجع نصّه (اللاتينى – اليونانى) المترجم ، فى ملحق كتابنا عاليه .

(٥) راجع ذلك فى كتابنا المشار إليه .

الفصل الثانى

أُسس القيادة (الروحية)
من نحو عام ١٧٥-٣١٣م

فى البداية بدت هناك حرب بين المسيحية والهلينية (المعرفة الوثنية اليونانية) ، ومع أن الكنيسة استخدمت اللغة اليونانية لكن الكاتب والفيلسوف والمؤرخ الوثنى كلسس (Celssus) احتقر المسيحيين.ورفضت الإمبراطورية الرومانية – الذراع السياسى للهيلينية – الاعتراف بشرعيّة الديانة المسيحية .

وقد ظن البعض – فى البداية – أن هناك تعارضاً بين المسيحية والهيلينية ، وعلى الأقل فكّر فى ذلك إثنان : تاتيان السريانى وترتليان القرطاجنى . وفى إحدى أشهر أقوال ترتليان تساءل ساخراً :"إن كان يمكن لأثينا أن تتعامل مع أورشليم ؟!"وأجاب بالنفى بشدة .

وكتب تاتيان ما أسماه " حديثاً للإغريق " (Discourse) مُنكراً عليهم أية إسهامات إيجابية للبشرية . كما أشار القديس بولس الرسول إلى التناقض بين الحكمة التى يسعى إليها الإغريق، وجهالة صليب المسيحيين (١كو١: ١٨-٢٥).

ولو كانت المسيحية تريد انتشارها ، فهى محتاجة بالضرورة إلى خدمات العقول النامية بدرجة عالية . وإلى الشخصيات التى كانت توجد فى البيئة الثقافية الهيلينية فى الإسكندرية .

وقد حاول فيلون أن يوفق (أو يُصالح) التراث اليهودى مع الهيلينية ولذلك : " لم يكن الأمر غير مسبوق – بعد قرنين من الزمان – عندما وقفت التقاليد المسيحية مع الهيلينية ، فى مفترق طرق التاريخ[1] " .

---

(1) W. Jaeger. Early Christianity & Greek Paideia (Harvrd. Univ. 1961) p. 37.

وكانت البداية مع إكليمنضس الإسكندرى ، ثم بالأكثر مع أوريجانوس ، الذى قال : " إن الإيمان المسيحى والتُراث الفلسفى اليونانى قد اندمجا معاً فى فرد واحد[١]" .

وتم التزاوج بين المسيحية والهيلينية (استخدام علوم المنطق ، وأفكار الفلسفة اليونانية) واستمر ذلك حتى أوائل القرن الرابع ، واستمرت المساهمة فى الفلسفة (المسيحية) من خلال سلسلة قيادات من البطاركة (كانت أصلاً من أساتذة مدرسة الإسكندرية اللاهوتية التى درست الفلسفة).وهو النموذج الأول للمسيحية المصرية .

أما النموذج الثانى ، **فكان الحياة النُسكية** التى قادها القديس أنطونيوس ، واعتمدت على فلسفة الولاء للمسيح والجهاد مع النعمة ، والاستشهاد على اسمه .

وقد أصبح الحديث عن اللاهوت المسيحى **مُركزاً فى الإسكندرية** ، على يد سلسلة من أساتذة المدرسة اللاهوتية (المرقسية) وخصوصاً إكليمنضس وأوريجانوس ، وإن كان لا يتوفر لدينا كتابات للعلاَّمة " بنتينوس (Pantaenus)[٢] فى بداية نشأة هذه المدرسة[٣] كما توجد بعض وريقات لكتابات ثيؤغنسطوس وبيريوس " (Theognostos & Pierius) ، فى نهايتها[٤] !!. ولا

---

(1) Jaeger, op. cit. P. 38.

(٢) وهو الذى استخدم حروفاً يونانية وأضاف إليها سبعة حروف من اللغة المصرية القديمة ، والتى أصبحت هى حروف الكتابة القبطية حتى الآن .

(٣) الفكر الغربى الذائع يزعم بأن هذه المدرسة بدأت فى القرن الثانى وهو رأى خاطئ ؛ لأن مؤسسها مارمرقس ، فى القرن الأول الميلادى؛ فى رأى يوسابيوس وچيروم.

(٤) نتيجة للإضطهادات البيزنطية للكنيسة القبطية فقد انتقلت المدرسة اللاهوتية إلى دير أبى مقار بوادى النطرون فى القرن السادس ثم اختفت تحت ضغط الغزو العربى ، إلى أن أعيد افتتاحها – فى القاهرة – فى عهد البابا كيرلس الخامس ، فى أواخر القرن ١٩م .

يمكن حصر الخدمات التى قدمتها مدرسة الإسكندرية اللاهوتية للمسيحية فى مصر ، وكل العالم المسيحى .

وكان أول كاتب عظيم ، **هو إكليمنضس الإسكندرى** (Clement) [من نحو ١٥٠-٢١٥م] . وقد تأثر بكتابات فيلون (اليهودى) . وقد قاوم الفلسفات الغنوسية المسيحية ، وقد تأثر بالعلاّمة بنتينوس ، الذى أخبرنا عنه بأنه من صقلية ، كما أعلمنا المؤرخ الأسقف يوسابيوس بأنه كان فيلسوفاً رواقياً (Stoic) وقد آمن بالمسيحية ، وأصبح رئيساً لمدرسة الإسكندرية (المرقسية) .

ولا نعرف الكثير عن إكليمنضس الإسكندرى ، الذى كان رئيساً لنفس المدرسة – وأنه كان قساً – ومن المحتمل أنه غادر الإسكندرية نحو عام ٢٠٢م، بسبب قيام الاضطهاد ، وأنه قد تنيَّح قبل عام ٢١٥م . ومن غير شك ، فقد كان له تأثيره على أوريجانوس – الذى خَلَفَه فى رئاسة المدرسة – ومع ذلك لم يُشِر إليه الأخير فى مؤلفاته !!.

وقد بذل إكليمنضس جهداً فى تعليم المسيحيين والموعظين ، لرفع مستوى ثقافتهم الروحية . ورفض الأفكار التى تُضَيِّقَ على الجنس والمال ، والشِعر والفلسفة ، اللتين كان له فيهما باع طويل .

وبدلاً من أن يهاجم الفلسفة اليونانية ، فقد اعتبرها هبة من الله لليونانيين ، تعادل الوحى المُرسَل لبنى إسرائيل . كما رأى أن الفلسفة تعمَّق مفهومنا للإيمان(١) بزيارة معارفنا، وقدرتنا على العلم والفهم السليم، والنمو فى الروحيات، بدلاً من الجسدانيات .

---

(١) يُستخدم علم المنطق والفلسفة اليونانية فى إثبات وجود الله . وإن كانت الفلسفة إحدى أسباب الهرطقات التى ظهرت فى القرنين الرابع والخامس ، كنتيجة لمحاولة البعض إخضاع المبادئ اللاهوتية المسيحية ، لقواعد المنطق العقلى ، وعدم قبولها بروح الإيمان .

وإن كان إكليمنضس الإسكندرى قد بـــدأ بإدخـــال الفلســـفة اليونانيـــة فـــى المسيحية، إلا أن العلاَّمة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٣م) كان له أكبر باع فى هـــذا المجال . وله كتابات كثيرة ، استخدم فيها كَتَبة كثيرين استأجرهم له امبروسـيوس الغَنِي ، الذى كسبه للإيمان المسيحى .

ثم يشير الكاتب إلى مؤلفات أوريجانوس ، والى أخطائه اللاهوتيـــة ، التـــى دعت البابا ديمتريوس إلى حرمه .

ويروى المؤرخ ساويرس (ابن المقفع) سيرة البابا ديمتريوس ، الذى لم يكـن من الإكليروس قبل رسامته ، والى عفته مع زوجتـــه ، وإلـــى جهلـــه بـــالقراءة والكتابة ، ثم صيرورته عالماً كنسياً كبيراً . وأنه قام برسامة ثلاثة أســاقفة ، وأن خليفته هيراكلاس قد رسم ٢٠ أسقفاً آخر (لمصر وليبيا)،وينفى الكاتب مازعمـــه المؤرخ يوسابيوس القيصرى من أن البابا ديمتريوس قـــد اغتـــاظ مـــن شـــهرة أوريجانوس ، وقال إنه عينّه مُديراً للمدرسة اللاهوتية ، التى كـــان أيضـــا مـــن رؤسائها كل من البابا هيراكلاس والبابا ديونسيوس الإسكندرى .

وفى عام ٣١٣م كان يوجد نحو ٧٢ أسقفا لمصر ، وجارتها منطقة سـيرنيكا (الخمس المدن الغربية) الليبية ، ثم زيدوا ٢٨ أسقفا آخر ، بعـــد عـــام ٣٢٥م ، وكان البابا الإسكندرى رئيساً لهم جميعاً .

وأما العنصر الهام الآخر ، الذى جعل القرن الثالث مهما للكنيسة المصريـــة وله تأثيره على المسيحية فى العالم فى القرن الثالث ان فيه كانت بداية **الرهبنـــة القبطية** (monasticism) .

وأما عن بدايتها قبل المسيحية فهى مرتبطة بالمعابد المصريـــة القديمـــة[١]. وكتب فيلون عن المتطهرين فى مصر ، الذين ماثلوا الرهبـــان المســـيحيين[٢] .

---

(1) Bell. Cults & Creeds, in Grcco-Roman Egypt (Chicago 1945) p. 86.

(2) Neill, The Origins of Monasticism, (Cambridge 1989) pp. 270-287.

ويظن البعض أن قيام الرهبنـــة قــد تــأثَّر بالمســيحيين اليــهود الأبيونييــن[١] (Ebionites) وأن القديس أنطونيوس قد كان متأثراً بالقديس بولا أول السواح[٢] .

وقد تحدث القديس أثناسيوس عن سيرة القديس أنطونيوس ، التي انتشــرت في العالم المسيحي. وقد صار نموذجاً مثالياً للرهبان في تركه أمواله ، وجــهاده الروحي العظيم[٣]. ووُلِد نحو عام ٢٥١م من أسرة موسرة . ويبدو أنه لم يتعلــم تعليماً يونانياً ، وبعد نياحة والديه تخلَّى عن ثروته وتتلمذ على يد بعض النُسَّــاك (ascetics) وعاش في حياة خشنة، وفي إنكار ذات، ووحدة كاملة في البرية.

وقد عاش في الكهوف ومن حوله بعض تلاميذه، كمثال لــهم فــي الجــهاد الروحي والحكمة، والتحرُّر من كل رغبات الجسد ، حتى الموت عن الشــهوات، كالشهداء تماماً .

وقد استشهد والد أوريجانوس في عهد الإمبراطور ساويرس (Severus) وقد شجعه ابنه الصغير أوريجانوس على الاستشهاد ، كما أنه حــث تلاميــذه علــى الموت من أجل الإيمان، والوفاء للرب يسوع[٤] . وفي عام ٢٣٦م كتب رســالة لصديقه أمبروسيوس لحضه على الاستشــهاد (Exhortation to Martyrdom) ، كما أنه تعذَّب في عهد الإمبراطور ديسيوس (Decius) سنة ٢٥٠م[٥] ، وكان فــي الإسكندرية شهداء كثيرون ، كما أخبرنا به البابا ديونيسيوس الإسكندري .

وقد بلغت قمة الاضطهاد في عهد دقلديانوس (Diocletian) في عــام ٣٠٣م حيث كان أكبر عدد من الشهداء في مصر ، وتم استشهاد البابــا بطــرس ســنة ٣١١م ، وهو آخر آباء استشهدوا قبل تولي الإمبراطور قسطنطين (الكبير).

---

(1) Frend. Ebionites. in Coptic Encyclopedia. 1991.

(2) Guillaumont, Paul of Thebes. in Coptic. Ency.

(3) Rubens. Monastic Tradition & the Marking of a Saint (Lund Univ. 1990), pp. 130-132.

(4) Eusebius, Eccles. Hictory, VI, pp. 2-4.

(5) Idem. VI, pp. 41-42.

وقد اختارت كنيسة الإسكندرية بداية حكم دقلديانوس (٢٨٤م) بدءاً لتقويم الشهداء (anno martyrium) A.M. .

ومن سُخرية القدر ، أن يقوم مليتيوس أسقف أسيوط (Melitius of Lycopolis) برسامة بعض أساقفة ، فى غيبة البابا بطرس فى السجن[1] !!.

وإذا مارجعنا للبابا ديونيسيوس الإسكندرى ، نجد أنه كان تلميذاً ثم مساعداً للعلاّمة أوريجانوس (Origen) فى مدرسة الإسكندرية اللاهوتية (المرقسية) وأنه قد سبقه البابا هيراكلاس فى رئاسة المدرسة والكنيسة . وأن ديونيسيوس نفسه قد عانى من الاضطهاد ، وقد تراسل مع سميّه البابا ديونيسيوس الرومانى لمقاومة هرطقة سابيليوس . وردّ على آرائه فى أربعة كتب ، فُقدت للأسف ، ولكن أشار إليها البابا أثناسيوس، والقديس باسيليوس الكبير .

كما كان البابا ديمتريوس رئيساً للمدرسة والكنيسة . وكان العلاّمة القبطى أوريجانوس قد عاش حياة جهاد روحى ، وإنكار للذات ، بالإضافة إلى تعمُّقه فى دراسة الكتاب المقدس. وانتشرت المسيحية فى كل مصر فى القرنين الثالث والرابع ، رغم الاضطهادات ، كما يظهر فيهما إنجازات الكنيسة القبطية العظيمة للمسيحية فى كل العالم المسيحى.

وأرجع الكاتب الخلافات بين ديمتريوس وأوريجانوس إلى "غيرة مقدسة" والتى أدّت إلى حرْم أكبر عالم لاهوتى فى العالم فى زمانه[2] . وربما كان الشباب المصرى المسيحى فى القرن الثالث غير شجاع ولا مثقف ولا دارس ولا متعاون، لكن كانت هناك مجموعة أخرى قامت بأعمال بطولية ، فى الوقت الذى

---

(١) وكان البابا بطرس قد حَرَمَه ، لأنه سقط فى إنكار الإيمان أثناء الاضطهاد ، ولكنه استمر فى كبرياء يرسم أساقفة وكهنة كثيرين !! .

(٢) ونسى الكاتب ماحدث من أوريجانوس من مخالفات لاهوتية، فى كتاباته.ومن خصْى نفسه ومن طاعته لقبول الرسامة كاهناً فى فلسطين ، بدون وجه شرعى .

كانت فيه الكنيسة المصرية منظمة جيداً ، مع وجود مستوى رفيـــع مـــن الأدب المسيحى الجديد ، جاهزاً لمن يجيد اليونانية .

وأخيراً ، فإن المسيحيين – مثل القديـــس أنطونيـــوس – كـــانوا يدرســـون ويكتبون ويقرأون بلغتهم الوطنية " **القبطية** " . وتُرجِمَت إليها أجزاء من الكتـــاب المقدس[1] (حيث أعد العلاَّمة " **بنتينوس** " الحروف القبطية، وكتب بها القديـــس أنطونيوس رسائله[2]).

ويبدو أنه كان فى الصعيد مركز لترجمة الكتابات اليونانية الواردة من آســـيا مع تأملات كتابية ، عما كان شائعاً فى الإسكندرية ، كما قـــال الإيطـــالى تيتـــو أورلاندى[3].وبذلك بدأ يقل الاهتمام باليونانية تدريجياً . وساعد على نشر اللغـــة القبطية نمو الديرية والرهبانية ، ومع ذلك نرى استمرار اللغـــة اليونانيـــة فـــى الكنيسة القبطية . وقد استخدمتها فى حوارات المجامع المســـكونية حتـــى عـــام ٤٥١م .

+ + +

(1) Tito Orlandi, Coptic Literature, in the Roots of Egyptian Christianty (Philadelphia, 1989) pp. 53-58.

(2) Rubenson, The Letters of St. Antony, I. 15-35.

(3) Orlandi. Ibid.. pp. 58-59.

الفصل الثالث

قيادة الكنيسة القبطية للمجامع المسكونية
من نحو ٣١٣-٤٥١م

بدأت مرحلة جديدة فى الكنيسة المسيحية فى الإمبراطورية الرومانية، عندما اتفق الإمبراطوران قسطنطين (الكبير) فى الغرب ، وليسينيوس فى الشرق – فى ميلانو سنة ٣١٣م – على منح حرية العبادة للمسيحيين ، واسترداد قادة الكنائس أملاك الكنائس المُغتصَبة .

وفي مصر ، تقدمت العلوم اللاهوتية ، مع قوة البطاركة الأقباط.ونمو الرهبنة المصرية وامتدادها إلى أقصى الشرق والغرب . وظلت كنيسة الإسكندرية هى القائدة لمدة قرن وربع ، حتى عام ٤٥١م ، وكان كل بطاركتها، ورهبانها ولاهوتييها هم حُرّاس الإيمان، وقادة المجامع المسكونية الأولى ، إلى أن تم حرم البابا ديوسقورس فى مجمع خلقدونية (Chalcedon) فى منتصف القرن الخامس. فتحولت الكنيسة المصرية من قيادة العالم المسيحى ، إلى كنيسة قبطية وطنية . وحينذاك أبدع الرهبان الأقباط ثقافة قبطية قادرة على إنهاء الاعتماد على الحضارة الهللينية .

وبسبب ظهور البدعة الأريوسية والنزاع مع ميليتيوس (أسقف أسيوط المنشق) فقد قلت سرعة نمو الكنيسة المصرية . وكان ميليتيوس (والنطق الشائع الآن ملاطيوس) قد عمل على ملأ الفراغ الذى حدث بسبب الاضطهادات ، برسامة أساقفة، ورفَض قواعد التوبة، التى وضعها البابا بطرس (خاتم الشهداء) للراجعين للإيمان، بعد سقوطهم من شدة الاضطهاد . وقد ساعد هؤلاء الأساقفة (المرسومين بيد ملاطيوس المعاند) على وجود الانقسام بالكنيسة المصرية .

ومن ناحية أخرى ، فإن الحركة (الهرطقة) الأريوسية قد كانت أصعب تعقيداً وانقساماً للكنيسة . وارتبط أريوس بالأسقف المنشق (ملاطيوس) . ونادى الهرطوقى أريوس بأن ابن الله مخلوق. ولم يكن موجوداً منذ الأزل . وكان أريوس تلميذاً لأستاذ شهير للكتاب المقدس فى إنطاكية (بسوريا) قبل أن يصير كاهناً بالإسكندرية . وقد حاول فرض أرائه الهرطوقية بالإسكندرية ، ولكن بلا نجاح . وقد حاكمه البابا اسكندر الإسكندرى(ألكسندروس) وتم حرمه هو وتعليمه، بمجمع محلى بالإسكندرية[١] .

ولما وجد أريوس أعواناً أقوياء خارج مصر ، عُرضت القضية فى مجمع (مسكونى) أكثره من أساقفة الشرق ، وانعقد بأمر الإمبراطور قسطنطين ، فى نيقية سنة ٣٢٥م ، وتم رفض آراء أريوس. ووضع " **قانون الإيمان** " (Nicene Creed) الذى صار أساساً لمبدأ التثليث والتوحيد (إله واحد ذو ثلاثة أقانيم). هذا وأكد المجمع على سلطان بابا الإسكندرية التقليدى على مصر وليبيا (خارج حدود مصر)[٢] .

ولم تجد الأريوسية دعماً فى مصر ، ولكن فى النصف الشرقى من الإمبراطورية (البيزنطية) ظهرت معارضة للقانون الأرثوذكسى الذى وضعه مجمع نيقية، وساندهم بعض الأباطرة البيزنطيين، كما قاوم الأريوسيون البابا أثناسيوس .

ويرى الكاتب أن آراء أوريجانوس قد أثارت كثيراً من المجادلات ، خاصةً فى إصراره على التمييز بين الآب والأبن ، وخضوع الأبن للآب ، بناء

---

(1) Gregg & Groh, Early Arianism (Philadelphia 1981).

* ومن رأيهما أن آراء أريوس اعتمدت على نصوص كتابية وليس على فلسفة لاهوتية (تعليق أصلى) ولكننا نرى أنه قد تأثر بمدرسة إنطاكية اللاهوتية التى عمدت إلى تطبيق الفلسفة على اللاهوت .

(٢) لمزيد من التفاصيل ، راجع كتابنا : " **تاريخ الكنيسة الليبية المصرية** " (طبعة ٢٠٠٥) .

على نصوص مثل قول يسوع :"أبى أعظم منى"، ومما سجله القديس مرقس بعـدم معرفة الإبن لموعد القيامة العامة، وغيرها من الآيات التى تتحدث عـن ناسـوت المسيح.

وقد قاوم البابا أثناسيوس الهرطقة الأريوسية بشدة ، وقضى ثلث مدة جلوسه على الكرسى المرقسى – وكلها ٤٥ سنة – فى النفى خمس مرات . ومنذ انتخابه ورسامته قبلت زعامته[1] وشخصيته تحدّى الأباطرة . ومقاومته لأتباع ملاطيوس الأسيوطى . ورفض رفع الحرم عن أريوس ، وجهاده ضد أتباعه .

وقد اثبتت كتابات أثناسيوس (ضد الوثنيين، تجسُّد كلمـة الله) أنـه لاهوتـى بارع، ومفسّر كتابى عظيم ، وكاتب روحاني. وقد عيَّـن القديـس "ديديمـوس" الضرير (اللاهوتى الكبير) مديراً للمدرسة اللاهوتية الإسكندرية، ويبدو أن بجولاته فى نطاق سلطاته أمكنه أن يعرف عن رعاياه، أكثر من باقى البطاركة "[2] .

كما أنه قضى نحو ٦ سنوات بين رهبان الصعيد ، عند اختبائه مـن بطـش السلطات البيزنطية سنة ٣٥٦م ، ولم يعرف أحد من الأقباط مكان مخبئه، وممـا يدل على ولائهم ووفائهم للجالس على الكرسى المرقسى ، هو مقاومتهم للأسـقف البيزنطى الدخيل "جورج" ، الذى حل محله مؤقتاً.

وفى مرات النفى الأولى كان أثناسيوس فى الغرب – وفى رومـا ذاتـها – مساعداً للعاهل الرومانى ، ومقدماً الرهبنة القبطية من خلال كتابه عـن سيرة القديس أنطونيوس ، ومن خلال وجود الكهنة الأقباط الذين كانوا معه هناك .

وقد ساهم بنشر المسيحية فى إثيوبيا، برسامة أسقف لها (أنبا سـلامة) وازداد الأدب القبطى ، الذى نقله الزوار الأجانب إلى مصر ، مثل جيروم[3] العالم الـذى

---

(1) Arnold, The Early Episcopal Career of Athanasius of Alex. Notre Dame Univ., Indiana, (1991) .

(2) Hardy, Christian Egypt, New York, 1952, p. 56.

(٣) راجع كتابنا : " بستان القديسين " لبيلاديوس وجيروم (طبعة المحبة) .

ترّجم الكتاب المقدس إلى اللاتينية. ويوحنا كاسيان فى كتابه " **المقـــابلات** " (مـــع آباء البرية المصرية) وكان رسالة هامة لمسيحيّى العالم .

ثم يتحدث الكاتب عن عظم الرهبنة المصرية وعن بساطة وإيمـــان القديـــس أنطونيوس ، وعن نشأة نظام الشركة الرهبانية بيد القديس باخوميوس سنة ٣٢٠م فى الصعيد الأعلى ، للرهبان والراهبات ،وعن قيامهم بالأعمــــال اليدويـــة مـــع العبادة وخدمة الزوار للدير.

كما يتحدث عن القديس مكاريوس الكبير (٣٠٠-٣٩٠) كزعيم للرهبنة أيضاً فى الإسقيط (وادى النطرون) وبه حالياً ٤ أديرة فقط ، ولرهبانه أقوال كثـــيرة ، كتراث روحى عظيم . وبعد الغزو العربى – فى القرن السابع – صار دير أبـــى مقار مقراً للكرسى المرقسى الإسكندرى ، واختير منه عدة بطاركة عبر التـــاريخ وقد وقف الرهبان مع البابا أثناسيوس فى التمسُّك بقانون الإيمان الأرثوذكســـى • وكان يتم اختيار البطاركة والأساقفة الأقباط من الرهبان .

وفى القرن الخامس ظهر القديس أنبا شنودة الأتريبـــى رئيـــس المتوحديـــن Archimandrite الذى وضع رهبنة منظمة وصارمة فى عقابها للمخطئ ، وبلـــغ عدد رهبانه وراهباته ٤٠٠٠-٥٠٠٠ وكان ديره الأبيض كبـــيراً. وقـــد اشـــتهر بتقوّاه وأنه أيضاً نصير للفلاحين المساكين، وضد جبروت أصحاب الأراضـــــى ، وملجأ للشعب من هجمات البربر واللصوص الثالبين، والناهبين للشعب .

كما أنه وقف – مثل القديس أنطونيوس – ضد الهراطقة ، مع البابا كـــيرلس الأول (عمود الدين) ، كما كتب عظاته بالقبطية ، فكانت من أوائل الأدب القبطـــى المكتوب باللهجة الصعيدية القبطية .

وفى عام ٣٢٠م كان أخان – من صيدا – وهما فرومنتيوس وإديسيوس قـــد تم أسرّهما فى إثيوبيا. وقد وصلا إلى مرتبة إدارية عالية هناك،وقامـــا بالتبشـــير

بالمسيحية فى إثيوبيا ، بمساعدة التجار المسيحيين هناك[١] ، ومضى فرومنتيوس للإسكندرية ، حتى قام البابا أثناسيوس برسامته أسقفاً لأثيوبيا نحو عام ٣٤٠م ، ومن ذلك الوقت بدأت الرابطة القوية بين كنيستىّ الإسكندرية وإثيوبيا (الحبشة) ، واستمرت العلاقات حتى الخمسينيات من القرن العشرين، عندما أصبحت كنيسة إثيوبيا مستقلة فى إدارتها .

ولفترة طويلة ، عانت كنيسة القسطنطينية من وجود بطاركة هراطقة بها . وتدخلت كنيسة الإسكندرية لخلعهم ، إذ لم تنتهِ قيادة بطاركة الإسكندرية للمسيحية، برحيل البابا أثناسيوس الرسولى . فقد كان البطريرك القبطى القوى التالى هو البابا " **ثيوفيلس** " (Theophilus) ، الذى كان من أشد البطاركة صلابة فى قيادته للكنيسة المصرية (٣٨٥-٤١٢) .

فقد شدد العقاب للرهبان، الذين أُعجبُوا بتعاليم أوريجانوس النُسكية واللاهوتية. كما تسبَّب فى طرد القديس يوحنا ذهبى الفم من كرسى القسطنطينية. وكان من أكبر الآباء فى الأدب اليونانى ، كما كان مسئولاً عن تدمير معبد سيرابيس الوثنى بالإسكندرية . وكانت الوثنية بخرافاتها قد قربت على الاختفاء من مصر، حسب تعبير المؤرخ يوسابيوس القيصرى[٢] .

وفى عهد الإمبراطور ثيؤدوسيوس (الكبير) فى أواخر القرن الرابع صارت المسيحية هى الديانة الرسمية فى الإمبراطورية البيزنطية ، وتم منع الطقوس (rites) الوثنية ، وتم الاستيلاء على المعابد الوثنية وتحويلها إلى أديرة وكنائس ، وزاد الحماس فى نشر المسيحية بمعرفة الرهبان والأساقفة النُشَطاء[٣] وعندما

---

(1) * Socrates, Church History, I. 19.
* Sozomen, Church History, II. 24.

(2) Eusebius, IX, 2. 4.

(3) Ewa Wipszyc;a, La Chritianisation de L'Egypte au 4-6 ème Siècles (1988) p. 117-165.

حاول الإمبراطور يوليانوس الجاحد استعادة العبادة والكهنوت الوثنى ، لم يكن لذلك إلا تأثيراً قليلاً على الأغلبية المسيحية المصرية .

ومع ذلك لم يتوقف الوثنيون عن المقاومة، وخاصة الجماعات الأرستقراطية والفلاسفة ، ولم يتعرّض لهم الحُكّام البيزنطيون ، إلا بالنسبة للذين قتلوا مسيحيين خلال الاضطرابات .

كما يبدو من كتابات الأنبا شنودة رئيس المتوحدين أن بعض الفلاحين الوثنيين كانوا أيضاً يقاومون ، مع أنهم كانوا أقلية. وكانوا يؤمنون بالمسيحية بالاستمرار، حتى صارت الوثنية مجرد أثر[1]، ولم تعد منافساً للمسيحية ، فى عهد جستنيان (٥٢٧-٥٦٥) وتولى البابا كيرلس (الأول = عامود الدين) بعد خاله البابا ثيؤفيلس ، وكان يُشبّهه. وقاوم شغب اليهود فى الإسكندرية بالقوة، كما أنه لا يمكن أن يهرب من مسئولية قتل الفيلسوفة الوثنية العلاّمة "**هيباشيا** " (Hypatia) سنة ٤١٥ (ولو أن مصادر كثيرة أكدت أنه لم يكن له أى دخل فى مصرعها) .

ومع ذلك ، فقد كان لاهوتياً مدققاً ، وأن كتاباته قد أرست أسساً أُتّفِق عليها (فى المجامع المسكونية التالية) ، بالنسبة للاهوت المسيح (Christology) . والصراع الذى نشأ حوله. فأدى إلى فصل الكنائس الشرقية (الأرثوذكسية) عن الكنيسة الغربية (الكاثوليكية) .

ودب الخلاف حول طبيعة السيد المسيح ، كما أوضحها لاهوت العهد الجديد، مثل " **ميلاده من إمرأة** " (رسالة بولس لغلاطية) وأنه مُجرَّب مثلنا ، (الرسالة للعبرانيين) ، والكلمة صار جسداً (إنجيل يوحنا) .

وكانت الإسكندرية قائدة علم اللاهوت (Theology) منذ أيام أوريجانوس، ثم البابا أثناسيوس ، وركّز التعليم التقليدى الإسكندرى على " **وحدة** " (oneness)

(1) Remondon, L'Egypte et la Suprême Résistance au Christianisme, v-vll Siècles, Bul. De L'Instit. Français d'Arch. Orien. 51 (1952).

المسيح . ومن جهة أخرى ، فإن تقليد بطريركية إنطاكية ومدرستها السريانية قد ركز على المعنيين **الحرفى** (Literal) **والتاريخى** (الزمنى) ، وعلى "**الأزدواجية**" (الاثنينية) (duality) للسيد المسيح (إله + إنسان) برغم عدم ضياع ناسوته المميز.

وقام جدل بين البابا كيرلس الكبير (عمود الدين) وبين نسطور ، الذى صار بطريركاً للقسطنطينية سنة ٤٢٨م . وكان نسطور – وهو زعيم المدرسة الإنطاكية – قد بذل جهداً فى الدعوة إلى اعتبار العذراء مريم هى " أم المسيح " (Cristotokos) وليست "أم الله" (Theotokos)، لأن الله لم تكن له أم تلده[1] !!.

وهاجم البابا كيرلس نسطور ، مُتهماً إياه بعدم الفهم الحقيقى لوحدة المسيح ، وبالتالى فإن جوهر المسيحية – وهو التجسُّد – لن يكون بلا معنى حقيقى .

وقد ساند البابا الرومانى سلستين (كلستين) موقف البابا كيرلس البطريرك اللاهوتى الإسكندرى .

وقد انعقد مجمع أفسس ٤٣١م ، ووصل أعوان نسطور مُتأخرين ، وتم رفض موقف نسطور بسرعة ، وتمت الموافقة على موقف كيرلس ، المتوافق مع رأى مجمع نيقية . وتم إدانة نسطور بالهرطقة ، وانتصر كيرلس (عمود الدين) .

ووجدت الكنائس الشرقية نفسها فى موقف صعب ، فقد تمت إدانة بطريرك القسطنطينية . ورأى كثير من علماء اللاهوت فى إنطاكية أن المجمع قد تجاوز حده . وأن البابا كيرلس قد فض المجمع قبل وصول البطريرك يوحنا الإنطاكى وأتباعه بأربعة أيام .

وقد مُنع الموقف من الاشتعال مؤقتاً ، عندما استطاع يوحنا الإنطاكى الاتفاق مع البابا كيرلس على صيغة " للإتحاد " سنة ٤٣٣م ولكن الإنطاكيين رأوا فيها أن العلاقة بين اللاهوت والناسوت – فى المسيح – غير واضحة ، وكذلك لم

---

(1) Cfr. Norris, The Christological Controversy (Philadelphia, 1980).

يفرح بعض الأقباط من توقيع البابا كيرلس على صيغة هذا الاتحاد مع البطريرك الإنطاكى . وبعد عامين فقط من نياحة البابا كيرلس فى سنة ٤٤٤م ، خلفه البابا ديوسقورس على الكرسى المرقسى ، ومال إلى جانب أوطاخى (Eutyches) وكان رئيساً لدير بالقسطنطينية ، وكان يُعلِّم بأنه ليس ثمة " طبيعتان " فى المسيح بعد " اتحاد " اللاهوت بالناسوت ، وقد قام البطريرك فلاڤيان (Flavian) فى القسطنطينية ، بحرمه فى مجمع محلى .

ثم عُقد مجمع آخر (مسكونى) فى أفسس سنة ٤٤٩م ، وفى نفس السنة أرسل البابا الرومانى ليو الأول (Leo I) رسالة (tome) إلى البطريرك فلاڤيان ، أصر فيها على " الطبيعتين " للمسيح بعد الاتحاد ، وافترض ليو أن هذا التومس سيُقرأ وتتم الموافقة عليه فى المجمع لإيقاف النزاع ، ولكن تمكَّن البابا ديوسقورس من إقناع المجمع بتجاهل الرسالة البابوية ، لكى يُزيح بطريركىً القسطنطينية وإنطاكية من كراسيهما ، وحل أوطاخى من حرمه (rehabiltate)[١].

وهكذا تحدَّى ديوسقورس بطريرك الإسكندرية البطاركة الثلاثة الآخرين : فى روما وإنطاكية والقسطنطينية معاً ، وكان هذا هو أكبر ضربة ، لاتحاد الكنيسة فى العالم ، وأن الخراب كان هو المصير المحتوم لهذا التصرُّف !!.

وكان الانتصار الظاهرى لتعاليم ديوسقورس الإسكندرى اللاهوتية فى عام ٤٤٩م – فى مجمع أفسس – لم يستمر سوى وقت قليل . إذ أنه بعد الموت المفاجئ للإمبراطور ثيؤدوسيوس (Theodosius) فى يوليو سنة ٤٥٠م ، عقد كبار رجال الدولة (البيزنطية) مؤتمراً أكبر سنة ٤٥١م فى مدينة خلقيدونية ، وهو الذى قلب ببساطة قرارات مجمع أفسس سنة ٤٤٩م .

وفى نفس الفترة كان زعماء كنيستّى روما والقسطنطينية معاً ، ضد الإسكندرية ، ومثلهما رجال الإمبراطورية (البيزنطية) . وتم حرم ديوسقورس

(١) عرض الكاتب لهذا الخلاف – بهذه الصورة – غير صحيح ، ولاسيما أن البابا الإسكندرى ديوسقورس لم يوافق وحده على حل أوطاخى ، ولم يأمر بتجاهل رسالة البابا ليو .

الجرئ.ونفيه عن كرسيه بمعرفة الدولة البيزنطية ، بسبب سلوكه ، وليس لسـلامة عقيدته[1] ، وتنيَّح فى المنفى بعد ٣ سنوات !! .

وكان مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م واضحاً فى فصل الكنيسة المصرية عـن باقى العالم المسيحى ، واستمر ذلك إلى الآن . وكانت ادعاءات نسطور تتفق مـع قرارات مجمع خلقيدونية، بخصوص وحدة المسيح ، وأقنعت المصريين بأنـها: " هرطقة " يجب أن تُقاوَم مهما كان الثمن !!.

وقد اعتبر الغربيون وبعض الشرقيين (!!) أن الكنيسة المصرية " **أوطاخية** " أو من أصحاب " **الطبيعة الواحدة** " (Monophysite)[٢] ، لأنها أصرَّت علـى أن المسيح طبيعة واحدة فقط بعد الاتحاد (بين اللاهوت والناسوت) ، بـافتراض أن اللاهوت قد ابتلع الناسوت (مثل نقطة **خل** فى محيط، فى رأى أوطاخى).

ولا داعـى أن نقـول إن المعـارضين لمجمـع خليقدونيـة (anti-Chalcedonians) هم " **أوطـاخيون** "، ولا السـابقون علـى المجمـع (pro-Chalcedonians) " **نسطوريون** " .

وقد اتفق اللاهوتيون فى الشرق، فى القرن العشرين مع بابوات روما ورئيس أساقفة كنتربرى فى الغرب على عبارات مشتركة عن لاهوت المسيح، مع قـادة الكنيسة القبطية[٣] ، مما يُعد خطوات مشجعة للإيمان بوحدة الكنيسة ، ولكنـها لا تمحو حقيقة الانفصال ، الذى دام ١٥ قرناً ، والذى تسبَّب فـى عزلـة الأقبـاط العميقة عن معظم المسيحيين الآخرين .

ولم يعد بطاركة الإسكندرية قادة للعالم المسيحى ، ولا لاهوتيها لهم تـأثيراً مثل أوريجانوس أو أثناسيوس أو كيرلس (عمود الديـن) ، ولكـن صـار ولاء

---

(1) "The bold Dioscorus Was **deposed** for his **conduct** (!!), though **not his doctrine,** and went off to exile. On orders of the imperial government." P. 35.

(٢) وكلاهما تعريفان غير سليمين .

(٣) تمت الموافقة بين كنيستى الإسكندرية وروما على النص الذى اقترحه قداسة البابا شـنودة الثالث باعتبار نسطور وأوطاخى كلاهما هرطوقيان .

المصريين للاهوت الإسكندرى التقليدى (الأرثوذكسى = السليم) وأن متانة الحضارة القبطية قد ظهرت فى الأديرة والقرى المصرية. **وأخرجت لنا الكنيسة الوطنية المصرية** ، التى احتملت المصاعب والتجارب الشديدة من الحكام البيزنطيين – لمدة قرنين – ثم من الحكام المسلمين ، من القرن السابع حتى الوقت الحاضر .

وسنرى فى الفصل التالى ، كيف بدأت الكنيسة القبطية رحلتها الطويلة إلى الوقت الحاضر ، فى عزلة مقدسة .

+ + +

الفصل الرابع

قبطية ووطنية (من ٤٥١–٦٤١م)

لقد تم عزل ونفى البابا ديوسقورس الإسكندرى – بإيعاز من روما – (فى مجمع خليقدونية ٤٥١م) ، وأصر البابا " ليو الأول " – فى رسالته – على وجود طبيعتين – بشرية وإلهية – فى المسيح بعد الاتحاد. وأخذ المجمع (المشئوم) بهذا الرأى[١] الخاطئ.

ومن ناحية أخرى ، فإن غالبية المصريين[٢] حرموا ليو ورسالته (tomus) ولم يوافقوا على آراء المجمع الذى أيد ليو ، وحرم بطريركهم .

أما فى الشرق ، فقد كان الموقف مختلفا تماما . فمعظم مسيحيىّ المشرق –وحتى السريان أنفسهم – رأوا فى صيغة مجمع خلقيدونية – بخصوص طبيعتىْ المسيح – أنها توحى بأنها نسطورية ، وفضلوا الاشتراك مع مصر وفلسطين وسوريا عن الاشتراك مع روما .

ونتيجة لهجوم قبائل الهون على الغرب ، فقد ضعفت الدولة الرومانية ،وأدى ذلك إلى سقوطها . فى الوقت الذى ساعد على تقوية الكنيسة الرومانية ،

---

(١) وهو بالطبع رأى قريب الشبه بآراء نسطور الهرطوقى .
(٢) بل كلهم تقريبا .

ووصلت سيطرتها إلى القمة. وأصبح بابا روما الزعيم الدينى الوحيد والمُسيّطِر على كنائس الغرب ، باعتباره وريث الشهيدين الرسولين بطرس وبولس .

وعلى النقيض ، كانت الكنائس الشرقية الكبرى تتنافس معاً على القيادة. وعلى المستوى العالمى تنافست الإسكندرية وإنطاكية على الزعامة الثقافية والسياسية خلال المرحلتين الهلينية والرومانية المبكرة ، ثم ظهرت على السطح القسطنطينية التى ادعت بأنها " روما الجديدة " ، ومقر الأباطرة (البيزنطيين) وبالنسبة للوضع التقليدى الرسولى ، فإن أفسس أعلنت أنها مقر القديس يوحنا الرسول والعذراء مريم . وإنطاكية مقر بطرس وبولس، والإسكندرية مقر كرسى مارمرقس ، وفيما بعد اكتشفت القسطنطينية أنها مقر خدمة الرسول أندراوس (فاتخذته لها شفيعاً Patron) .

وكان التعاون بين روما والإسكندرية مستمراً إلى أن تم عقد مجمع أفسس سنة ٤٤٩م، وخلقيدونية سنة ٤٥١م ، وهما اللذان حوّلا روما والإسكندرية إلى عدوين عنيدين (غيرة روما لقيادة الإسكندرية للمجامع المسكونية السابقة) .

وخلال فترة طويلة – سنرى فى هذا الفصل – أن أباطرة وبطاركة القسطنطينية واجهوا صعوبة الاختيار ، بين السعى للسلام مع الكنائس الشرقية ، التى رفضت مجمع خلقيدونية ، وبين مشاركة أفكار الكنيسة الرومانية ، وباقى الكنائس الغربية . وسنرى أن القسطنطينية قد فضلّت السلام مع مسيحيّى الشرق فى جزء كبير من العقود الأولى ، ولكن فى العقود المتأخرة دعمت روما ، ووافقت على مكانتها فى مجمع خلقيدونية ، وصارت على ضوء هذه الاعتبارات هى المهيمنة – فيما بعد – على فكر الإمبراطور (البيزنطى) والبطريرك أيضاً .

وقد أوقفت القسطنطينية هيمنتها على الكنيسة الشرقية ، بينما كان قرار روما ضد المشرق (الأرثوذكسى) قد أوجد شقاقاً دائماً بين مسيحيىّ المشرق[1] ،

---

(١) الصراع بين السريان الأرثوذكس وبين السريان الكاثوليك (التابعين لروما) قد دام فترة طويلة فى الشام (راجع كتابنا : الجوهرة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ، للأنبا اسيذيروس أسقف دير البراموس الراحل ، نشر مكتبة المحبة) .

وأضعف الإمبراطورية، وأسهم فى استيلاء المسلمين على شرق البحر المتوسط (الشام) وسيادة الإسلام حتى الآن .

❖ **ملحوظة :**

كانت الكنائس الشرقية (الأرثوذكسية) . واللاهوتيون (theologians) الذين رفضوا مجمع خليقدونية – ورأيه فى طبيعتين للمسيح المتجسد بعد الاتحاد – قد تسمَّوا تقليدياً : " **أصحاب الطبيعة الواحدة** " (**monophysite**) ، لأنهم أقرّوا بوحدة طبيعتى المسيح الإلهية والإنسانية ، بعد الاتحاد ، وخلفاؤهم الحاليون يرفضون هذا الاصطلاح ، لأنهم يعترفون أن " الكلمة المتجسد " (Logos) هو : " **من**" (EK = " from " or " out of) **طبيعتين** ويؤكدون الإيمان بأن المسيح هو كامل فى ناسوته (على عكس رأى أوطاخى الهرطوقى) وفى لاهوته أيضاً ، ولذلك نستخدم الاصطلاح " **ضد مجمع خلقيدونية** " (anti-Chalcedonian) بدلاً من " **أصحاب الطبيعة الواحدة** " .

ونمضى فيما حدث، بعد مجمع خلقيدونية . فلم يذكر كتاب " تاريخ بطاركة الإسكندرية "(1) الكثير عن (البابا) ديوسقورس فى منفاه . وفى نفس الوقت ، اختير بروتريوس (Proterius) رئيس كهنة البابا ديوسقورس – ليحل محله على الكرسى المرقسى ، وتمت رسامته بيد أربعة من الأساقفة الأقباط ، الذين قبلوا قرارات مجمع خلقيدونية ، وقد رفضته غالبية المصريين (كل الأقباط الأرثوذكس) لأن البابا الشرعى كان لا يزال حياً ومنفياً ، فسعى هذا الدخيل – لدى السلطات البيزنطية – لحمايته من الأقباط.

وفى عام ٤٥٧م مات الإمبراطور ماركيان . وتمت رسامة البابا : " تيموثاوس " المُكَنّى بـ " القط " ، بيد غير الخلقيدونيين (الأرثوذكس) ، وقتل

---

(1) Hist. of Patr. of the Coptic Church of Alex,. Ed. Evetts, vol I. Patrologia Orientalis (Paris 1948) p. 447.

العامة بروتيريوس (الأسقف الدخيل) . ومنذ ذلك الوقت فصاعدا ،صـــار مجمـــع خلقيدونية قضية وطنية فى مصر[1] .

وقد تزعم الحركة ضد مبادئ مجمع خلقيدونية دير كــــانوب Canopus (أبى قير شرق الإسكندرية) ودير الزجاج (Enaton) غربى الإسكندرية وكذلـــك رهبان القلالى (Kellia) شمال غرب وادى النطرون .

وقام الإمبراطور البيزنطى ليو بنفى البابا تيموثاوس (القط) لمدة ٧ سـنوات . وعاد إلى كرسيه بعد موت الإمبراطور ليو (Leo) وتولى باســـيلكيوس الســلطة وقتا محددا . وحمل تيموثاوس معه عظام البابا ديوسقورس إلى مصر.

وتولى بعده البابا بطرس منغوس (Mongos) وهو من مؤيدى المعـــارضين لمجمع خلقيدونيا ، (الأرثوذكس) وقد اختبأ بتولى الإمبراطور زينون .

وبدأت الأمور تتغير بالنسبة للكنيسة المصرية ، عندما رأى زينـون (Zeno) وأكاشيوس (Acacius) بطريرك القسطنطينية فى بدايات عام ٤٨٠ أن الاشـــتراك مع روما كان أقل فائدة من الاشتراك مع الإسكندرية ، وأيضا مع إنطاكية ، التـــى بدأت تدريجيا تبتعدوتنسحب،عن التأثير الهرطوقى النسطورى[2] .

وفى عام ٤٨٢م مات البطريرك الإسكندرى الدخيـــل المســـمى ذو القبعـــة المائلة (Wobble-cap) وكتب زينون منشور " **الاتحاد** " (Henotikon) وأرســـله إلى أقباط مصر ، بهدف إعادة اتحاد الكنائس الشرقية ، وقد سَعد بـــه البعــض، خاصة المصريون ، رغم أن بعض رافضى مجمع خلقيدونية (الأرثوذكس) كـانوا يتمنون لو أن زينون قد سار نحو حرم رسالة ليو ومجمع خلقيدونية .

وقد انشق البعض عن آباء الكنيسة المصرية . ونظرا لأنه لـــم يكــن لـــهم أساقفة لقيادتهم فقد تسموا (Acephali) أى الذين بلا رأس (قائد) .

---

(1) Frend, The Rise of the Monophysite Movement (Combridge Univ., 1972).

(2) Frend, The Rise of Christianity. (Philadelphia 1984) p. 809.

وتوقّف الإمبراطور مؤقتاً عن إرسال أسقف دخيل ، ليحل محل البابا الإسكندرى الشرعي . وقد حرم مشروع زينون (Henotikon) كل من أوطاخى ونسطور ، وكل هرطقة سبقت مجمع خلقيدونية وتلته. ولم يذكر شيئاً " **عن الطبيعتين** " (اللاهوتية والناسوتية للسيد المسيح) . ووافق على حروم البابا كيرلس الإثنى عشر (ضد نسطور) .

وفى عام ٤٨٤م مضى الأسقف – المفروض عنوة على الإسكندرية – إلى روما، وقام البابا فيلكس (Felix = سعيد) بحرم أكاشيوس فى مجمع رومانى محلى . وبذلك كان جهد القسطنطينية موجهاً إلى كسب ود الأقباط ، وغيرهم من الشرقيين، رافضى مجمع خلقيدونية قد أحدث صدعاً فى علاقتها مع روما ، ظهر فى شكل إنشقاق (Schism) دام ٣٥ سنة (٤٨٤-٥١٩) .

وعندما تولى الإمبراطور البيزنطى أنسطاسيوس ساد التسامح لمدة ٢٧ سنة لصالح المصريين وكل معارضى مجمع خلقيدونية . والشخصية اللامعة – فى المشرق المسيحى – فى عهد هذا الإمبراطور،هو **البطريرك ساويرس** (Severus) الإنطاكى ، الذى وُلِد نحو عام ٤٦٥م ، وصار كاهناً سنة ٤٨٨م ، وبعد عشرين سنة صار شخصية مسيحية هامة، فى الدوائر الدينية فى القسطنطينية ، بسبب ذكائه الحاد، وقدراته الإدارية ، وحياته النُسكية العالية.

وكان شديد النقد لمبدأ " الطبيعتين بعد الاتحاد " الذى اعتمده مجمع خلقيدونية. وفى عام ٥١٢م صار بطريركاً لإنطاكية ، وزاد نفوذه أيضاً فى الكنيسة المصرية ، وغيرها من الكنائس التى توافق على رأيه .

ويدعوه كتاب تاريخ بطاركة الإسكندرية بأنه " ساويرس العظيم المُلتحف بالنور ، الجالس على الكرسى الإنطاكى ، الذى صار بوقاً للخلاص ، للكنيسة الأرثوذكسية[1]".

---

(1) Vol. I. P. 449.

وقد تأثرت زعامته بموت الإمبراطور أنسطاسيوس الذى كان ميالاً إليه ، إذ لما تولى جستنيان الحُكم ، تم نفى ساويرس إلى مصر سنة ٥١٨ ، وتنيَّح بها سنة ٥٣٨ فى دير " هناتون " (دير الزجاج)[١] . وكان لاهوتياً عظيماً . وأن جزءاً من السُخرية التى تُقال عن الإنشقاق – الذى حدث بعد مجمع خلقيدونية – أن مؤرخى علم اللاهوت المسيحى يتجهون إلى قبول تفسير ساويرس " عن طبيعة الكلمة المتجسد " (المسيح) باعتباره منسجماً (متوافقاً) مع ما كان خصومه الألداء يقولونه عن الطبيعتين ، ونصه : " إنه مجرد جدالٍ على كلمات " .

ولم يكن ساويرس هو المفكر الروحى المُتميز، الوحيد بين أرثوذكس المشرق ، بل كان يوجد أيضاً يوحنا الفيلوبونى (Philoponus) ، ولا يزال يوصف بأنه كاتب أرثوذكسى فريد من نوعه ، وكان أول مسيحى للمدرسة الإفلاطونية فى الإسكندرية ، واستخدم لنفسه الاسم المستعار (Pseudonym) " ديونيسيوس " الأريوباغى[٢] . وله كتابات صوفية كان لها أعظم الأثر فى حياة المسيحيين الروحية فى الشرق والغرب ، ومن كل مذهب .

ويتساءل الكاتب عن سبب حملة جستنيان الشديدة ضد رافضى قرارات مجمع خلقيدونية ومذهب الطبيعتين ؟! ويرى أنه كان مُحتاجاً لدعم البابوية ، فى حربه ضد الوندال (Vandals) فى شمال إفريقية ، وضد القوط (Goths) فى إيطاليا،فعمل على نشر رأى البابا ليو ، وقرارات مجمع خلقيدوينة ، عن طبيعتّى المسيح،التى تهتم بها الكنيسة الرومانية .

وقد تمت رسامة القديس " **يعقوب البرادعى** " (Jacob Baradaeus) مطراناً لإديسا بسوريا بيد البابا ثيؤدوسيوس (Theodosius) الإسكندرى ؛ والذى سبق

(١) والأصح أنه هرب لمصر سراً من بطش جستنيان ، وأنه قد تنيَّح فى سخا ، وتم نقل جسده لدفنه فى دير الزجاج (غرب الإسكندرية) .

(٢) وهو الفليسوف اليونانى الذى كسبه القديس بولس للمسيحية (راجع أع ١٧: ٣٤) ورسمه أسقفاً لأثينا ، وهو من الآباء الرسوليين .

نفيه . وقد قيل عن البرادعى هذا ، أنه رسم ٢٧ مطراناً ، ومائة ألف من الكهنة الأرثوذكس . ونظراً لهذه الإنجازات العظيمة فقد تأكدت زعامته للأرثوذكس الشرقيين ، فلا يزالون يُسمُّون-" اليعاقبة " . وحتى الأقباط – فيما بعد – عُرِفوا بهذا اللقب . وقد دعّم البابا ثيؤدوسيوس الإسكندرى وخليفته البابا بطرس الرابع الكهنوت المصرى برسامة ٧٠ أسقفاً .

ولم يعارض جستنيان البابا الإسكندرى فى البداية ، وإنما بدأ يضايقه تدريجياً مبتدئاً بنفى البابا ثيؤدوسيوس بعد سنتين من رسامته فى عام ٥٣٥م ، وبدأ فى إرسال سلسلة من البطاركة الدُخَلاء للكرسى المرقسى ، وأعطاهم سلطات دينية ومدَنية. وأراد جستنيان أن ينصر البابا ثيؤدوسيوس على الأسقف الدخيل لو أنه كان راغباً فى التوقيع على قبول قرارات مجمع خلقيدونية .

وطبقاً لما جاء فى كتاب تاريخ بطاركة الإسكندرية ، فقد كرر الإمبراطور وعوده له بأن يتولى السلطة المدنيَّة والدينية، على هذا الأساس ، ولكنه رفض التوقيع . وظل معظم الأقباط على ولائهم للبابا ثيؤدوسيوس طوال مدة نفيه (من عام ٥٣٧م إلى ساعة نياحته فى عام ٥٦٦م) .

وكانت الإمبراطورة ثيؤدورا خير مُعين لهذا البابا حتى ساعة موتها فى علم ٥٤٨ . ومنذ ذلك الوقت تسمَّى الغالبية المصرية ، التى اعترضت على مجمع خلقيدونية باسم " **الثيؤدوسيين** " .

وقد تسمَّى الأساقفة الدُخلاء وأتباعهم من الخلقيدونيين باسم : " **الملكانيين** " (Melchites = Royal) لأنهم عاشوا تحت حماية الأباطرة (الملوك) البيزنطيين . وكانت الكنيسة الملكانية (الرومية) تصلى باليونانية. وكان ينضم إليهما البعض من المصريين والأجانب .

وقد استطاع البابا القبطى ثيؤدوسيوس التأثير على الدوائر البارزة فى العاصمة البيزنطية (القسطنطينية) لأنه كان يجيد اللغة اليونانية ، وإن كانت قد

قلت أهميتها فى الكنيسة القبطية واضمحلت لدى خلفاء البابا ثيؤدوسيوس حتى الغزو العربى ، حيث أقام البطاركة الروم الدخلاء خارج الإسكندرية ، إلا أنهم لم يهجروها إلى القسطنطينية أو إلى غيرها من المدن خارج مصر[1] .

وبعد نفى البابا ثيؤدوسيوس القبطى ، كانت فى مصر كنيستان : **الملكانية** ، ولم تتعد حدودها الإسكندرية وضواحيها ، **والكنيسة المصرية** ، التى سندعوها باستمرار باسم " **القبطية** " .

ويقال إن الكنائس القبطية اضطرت – بصفة خاصة فى الإسكندرية فى عام ٥٣٩ – عندما تم طرد الأقباط الأرثوذكس من كنائسهم بواسطة القوات البيزنطية، لبناء كنائس خاصة بهم مثل كنيستى : " الإنجيليون " (Angelion) وقزمان ودميان . وأصبحتا من مراكز العبادة القبطية بالإسكندرية، فى تلك الفترة الصعبة.

وبدأت الاضطهادات (Persecutions) منذ عام ٥٣٨ (فى عهد جستنيان) باستشهاد يوحنا من تلا (منوفية) وبعده سلسلة من الشهداء (martyrs) من الأقباط الأرثوذكس. الرافضين لمجمع خلقيدونية[2] .

وتاريخ المسيحية فى مصر ، فى الفترة من مجمع خلقيدونية (٤٥١م) حتى الغزو العربى (٦٤١م) **ببساطة هو قصة إرادة وصراع بين الغالبية القبطية والأباطرة البيزنطيين.** ويكشف عن خصائص الأقباط الذين تحملوا الظلم والاضطهاد بتمسكهم بالإيمان الأرثوذكسى . وإن كان الإسلام قد قضى على

---

(١) ولكن المصادر المصرية الكثيرة تذكر أنه بعد دخول العرب مصر (٦٤١م) تركها الأساقفة الدخلاء ، لمدة ٧٠ سنة ، وكان عمرو بن العاص قد أصدر أوامره بتسليم كنائس الروم إلى الأقباط، لأنها كانت أصلا لهم. ثم عادوا بعد تلك المدة لمصر ، ولكن بدون فاعلية، كما قل عدد أتباعهم (الأروام) بالتدريج ، وحتى الآن (**حاشية أصلية**).

(2) Frend, The Rise of Christianity, op. cit. p. 843.

كنائس شمال أفريقية بسرعة ، إلا أنه – رغم انتزاعه اللغة القبطية فى مصر – لم يستطع القضاء على الكنيسة المصرية . وهو مايوضح أهمية تاريخ الكنيسة القبطية فى القرنين السابقين على الاحتلال العربى لمصر .

ومن أبرز الأمور فى ذلك الوقت ، نشر الإنجيل فى النوبة وأعالى النيل ، ويقارن بنشر المسيحية فى أثيوبيا ، كما سبقت الإشارة فى الفصل الثالث . فقد كانت مملكة " نباطا " (Nobatae) تسير حسب عاداتها الدينية القديمة (الوثنية) حتى عام ٥٤١ ، عندما تقدم مبشر خلقيدونى يدعى جوليان (Julian) بإقناع الإمبراطورة ثيؤدورا (Theodora) قرينة جستنيان ، بأن إيمان النوبيين (السودان) ممكن[١] .

ولكن فى الواقع، كانت هناك مسيحية ، تابعة لأسقف جزيرة فيلة (Philae) الذى أقام كنيسة على الجزيرة محل معبد ناباطى[٢] .

رسم جستنيان خطته على أساس أن تكون حملته التبشيرية خلقيدونية الطابع، ولكن الإمبراطورة " ثيؤدورا " (الأرثوذكسية وكانت أصلا من ليبيا) ، طلبت بمهارة – من قائد الحامية البيزنطية فى الصعيد أن يضع كل الأمكانيات المادية تحت أمر الخادم جوليان المسئول عن البعثة التبشيرية للنوبة (السودان) .

فوصل جوليان بهدايا من جستنيان ، فى قافلة فخمة سنة ٥٤٢م . وتم تعميد ملك الأنباط والقواد الآخرين، وصارت هذه الأمة أرثوذكسية. ومع ذلك فقد أفلحت حملة جستنيان الخلقيدونية قليلا فى مملكة مقرة (Makurrah) فى الجنوب.

ورسم البابا المنفى ثيؤدوسيوس الإسكندرى " لونجينوس " أسقفا للنوبيين وقد استطاع أن يمد سلطان الأرثوذكسية إلى مملكتى مقرة وعلوة (Alwah) حيث

---

(1) Frend, The Mission to Nubia, pp. 10-16 ; His account is from Jhon of Ephesus, Church History, III & IV.

(٢) وكان قبطيا. وجاء فى تاريخ القديسين أبى مقار الكبير ومكاريوس الإسكندرى أنهما بشرا هذه الجزيرة بالمسيحية خلال نفيهما هناك ، وآمن كاهن معبدها بعد معجزة شفاء إبنته .

كسب ملكها الجنوبى للمسيحية وبحلول عام ٧٠٠م كانت كل السودان تخضع للبابا القبطى الأرثوذكسى .

ولم تستخدم اللغة القبطية هناك، ولكن اللغة النوبية القديمة قد استخدمت الحروف القبطية ، وسادت هناك كسيادة اللغة العربية بمصر . ومما ساعد على تقوية واستمرار الكنيسة القبطية – فى جنوب الوادى – تأثير الأديرة . تماما كما هى عليه الحال فى مصر اليوم ، حيث كان الرهبان يرشدون الشعب ويساعدونه بمختلف الطرق الروحية والاجتماعية .

كما أفادتنا سيرة حياة القديس أنبا شنودة رئيس المتوحدين ، التى كتبها تلميذه ويصا (Besa's Life of Shenoute) بأن ديره كان أقوى محام عن الفلاحين والعمال، الذين كانوا أيضا يحتمون به للنجاة من الغارات البربرية [١].

كما أن الحركة الديرية قد استخدمت أيضا اللغة القبطية ، لتصير بذلك هى اللغة الوطنية المسيحية ، بينما استمرت اليونانية هى لغة المسيحية فى الإسكندرية ولغة اللاهوتيين ، وعن طريقها – كلغة عامة فى شرقى البحر المتوسط – استمرت الكنيسة المصرية فى الاتصال بباقى الكنائس الشرقية (الأرثوذكسية) .

وحقا ، استطاعت الرهبنة المصرية – واللاهوت الإسكندرى – قادرة على قيادة العالم المسيحى فى القرن الرابع وفى جزء من الخامس ، بسبب سيادة اللغة اليونانية كلغة عالمية ، بينما بدأت اللغة القبطية وآدابها تحل محل الثقافة الإغريقية ، فى كل أنحاء مصر [٢] .

وأصبح المستقبل متعلق باللغة القبطية ، خصوصا بعد اضطهاد جستنيان للأغلبية المصرية . وقد سجل تاريخ بطاركة الإسكندرية فى سيرة البابا بطرس

---

(1) Bell, trans. of the Life of shenoute, by Besa (Michigan, 1983).

(2) Hardy, The Large Estates of Byzantine Egypt, (New York, Colombia Univ. 1931), p. 31.

الرابع (٥٦٧-٥٦٩) أنه كان (فى غــرب الإســكندرية) ٦٠٠ ديــر مزدهــر ، وتحوى رهبانا كشغالات النحل . وكلهم كان يقيم بهم أرثوذكـــس مـــن الرهبـــان والراهبات ، علاوة على ٣٢ مزرعة (سميت : Sakatina) وكان لهم جميعا إيمان أرثوذكسى (سليم) وكانوا خاضعين كلهم لإدارة البابا بطرس الرابـــع[١] . وكـــان دير أنبا شنودة الأبيض ذو كنيسة كبيرة، ولا يزال موجودا بسوهاج إلـــى اليـــوم، كمثال للأديرة التى كانت مؤسسات صناعية، لأنها كانت ملتزمة بأن تعول مئـــات - بل ربما ألوف - من الرهبان والراهبات.

وكان دير التوبة الملكانى فى كانوب (أبى قير) لـــه قواربـــه ، الـــذى كـــان يرسلها لجمع المحاصيل المستحقة للدير[٢] . كما امتازت الكنائس خلال القرنيـــن - المذكورين فى هذا الفصل - بغناها المالى بسبب كـــثرة أملاكـــها (أوقافـــها) ، وكان الأباطرة أسخياء فى العطاء[٣] . وكانت الكنيسة وعائلة أبيون (Apion) هما أكبر أصحاب الأراضى فى مصر ، لدرجة أن الأديرة كـــانت تســـتأجر حراســـا خاصين (brucellari) لحماية حقوقها فى الملكية والـــثروة[٤] مـــن الذيـــن يريـــد الاعتداء عليها.

وقد أشار هاردى إلى عائلة " أبيون " فى البهنسا (Oxyrhnchus) من خـــلال وجود كميات كبيرة من البردى عنها . وكان أبيون قد انضم للكنيســـة الملكانيـــة (الروم الأرثوذكس) لكى يصير واليا بيزنطيا نحو عام ٥١٨م[٥] ، ومن المحتمـــل أن يكون أحد أحفاده من الحظيرة القبطية - فى قرن تال - قـــد تدخـــل لوضـــع الشقاق الذى نشأ بين كنيستى إسكندرية وإنطاكية السورية[٦] .

---

(1) History of Patr. of Alex., I, 472.
(2) Hardy, op. cit. p. 47.
(3) Idem., p. 44.
(4) Idem., p. 82.
(5) Idem., p. 27.
(6) Idem., p. 35-36.

وقد تعلقت الكنيسة القبطية بثرواتها ، فارتبطت بالاقتصاد والمجتمع ، حيث كان من المحتم على رجال الدين والعلمانيين الإنشغال بإدارة أملاك الكنيسة ودخولها .

ومن الجدير بالذكر ، أن رجال الدين كانوا يختارون من الطبقات العاملة ، وكان يمكنهم البقاء فى إدارتها بموافقة رؤساء الدين . وكان الكهنة يعملون فى كل المجالات فى مصر ، حتى أنه كان يمكن للمرء أن يراهم يشرفون على أماكن " حبس خاص"[١]!!.

وقد ارتبطت الكنيسة القبطية برعاية مصالح رعاياها ، لأن البيزنطيين كانوا يهتمون برعاياهم (الروم) ويحاولون ربطهم بالكنيسة الغربية . وكان الرومان قد أعطوا الفرصة لازدهار الاقتصاديات المحلية فى مستعمراتهم ، عما فعله البطالمة . وقد قال هاردى : " فى الفترة البيزنطية ، لم توجه سياسات الحكومة مصر ولكنها بدأت تعيش حياتها الوطنية والاجتماعية الخاصة [٢] " ، مما ساعد فى إحيائها وفى كفاحها الوطنى .

ولكن كان الوقت متأخرا ، لقيام كنيسة وطنية وحياة قومية، عندما أرسل الإمبراطور " **هرقل** " (Heraclius) قيرش (Cyrus) البطريرك الملكانى ، قبل نهاية هذه المرحلة ، بتعليمات وسلطات قوية " ليقضى على المؤسسة (الدينية) القبطية فى كل أنحاء مصر[٣] " . وقد جرى تدعيم مستمر للكنيسة القبطية وزيادة استخدام الأغلبية للغة القبطية ، بمعرفة البطاركة الأقباط الخمسة ، قبل الغزو العربى ، فى القرن السابع .

وقد نصح الحاكم البيزنطى نفسه الأرثوذكس ليخرجوا من المدينة (الإسكندرية) إلى دير هناتون (الزجاج) حيث يختارون بطريركا لهم . فاختاروا

---

(1) Hardy, p. 64.
(2) Idem., p. 148.
(3) Idem., p. 21.

بطرس الرابع بابا لهم سنة ٥٦٧م ، واتخذ مقره بالدير ، وكان كاتبــه الشـماس دميان راهبا وقضى ١٦ سنة بدير في وادى النطرون ، وقد خلفه على الكرسـي المرقسى ، وكان لاهوتيا ومؤلفا ، وقد عمل على حل الإشكال اللاهوتى الذى ثـار بين الكنيستين المصرية والإنطاكية عن الثالوث القدوس .

وكان البابا التالى هو أنسطاسيوس (Anastasius) وكان كاهنا ومسئولا عـن كنيستى " الإنجيليون ، وقزمان ودميان " بالإسـكندرية ، وكـان قـادرا علـى زيارتهما بصفة دورية ، وأن يرسم كهنة للخدمة . ولكن كان يعانى من مشـكلة بينه وبين البطريرك الملكانى (الرومى) إولوجيوس (Eulogius) ، الذى أعطـاه الإمبراطور فوكاس (Phocas) كنيسة القديسين قزمان ودميان بالإسكندرية .

ومن أشهر الشخصيات النشيطة – فى تلك الفترة – يوحنا (Almoner) وكان بطريركا ملكانيا للإسكندرية ، وكان من أسرة كبيرة ، وقد تزوج وماتت زوجتـه وطفله . وكان ذكيا وكريما ، وقد انتهت خدمته فى مصر – ودامت ٥ سـنوات – عندما غزا الفرس مصر سنة ٦١٦م ، وبقيت ذكراه خالدة ، حتـى أن الأقبـاط سجلوا سيرته فى سنكسارهم كأحد القديسين .

وجاء بعد أنسطاسيوس البطريـرك القبطـى أندرونيكـوس (Andronicus) واستقر فى قلايته بكنيسة " الإنجيليون " كل أيام حياته ، وكان قد خدم بها شماسـا بتولا وكاتبا. وفى أيامه استولى خسرو الفارسى علـى مصـر . وحكمـها مـن ٦١٧-٦٢٩م ، وقد تم تدمير الفرس للأديرة القريبة من الإسـكندرية ، وسُـفِكَت دماء كثيرة للأقباط[1] ، ولكن لم يستمر ذلك طويلا ، إذا قورن بما حدث لهم فـى خلال قرن سابق ، وماذا سيحدث ببساطة لو استرد البيزنطيون مصـر ؟ وهـل سيكون هناك أى فارق بين الحكمين الاستعماريين ؟! .

---

(1) Butler, The Arab Conquest of Egypt & the Last Thirty Years of the Roman Dominion (Oxford, 2nd ed. 1978) pp. 75-76.

وقد كان تأخير الإمبراطور هرقل فى طرد الفُرس من مصر قد ترك انطباعاً عميقاً : هل سيكون مستقبل مصر فى يد البيزنطيين ؟ أو مع غازٍ آخر من المشرق ؟! ولكن هرقل استرد مصر من الفُرس سنة ٦٢٩م ، وكان البابا بنيامين قد صار بطريركاً للكرسى الإسكندرى لسبعٍ سنوات مضت . وقد كان من أسرة غنية . ورسمه البابا أندرونيقوس راهباً، وأبقاه معه فى الدار البطريركية .

وقد أرسل هرقل قيرش (المقوقس) ("Cyrus " Mukaukus) ليكون بطريركاً وحاكماً لمصر وكان فى الأصل مستشاراً له ، خلال حربه مع الفُرس ، وهرب البابا الشرعى بنيامين إلى وادى النطرون ثم إلى الصعيد ، حتى الغزو العربى . وقاد قيرش حملة شعواء لتدمير الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، التى كانت مُنافساً للكنيسة الخلقيدونية فى مصر .

وكان يأمل أيضاً أن صيغة " **المشيئة الواحدة للمسيح**" (Ecthesis one energy) التى ساندها البابا هونوريوس الرومانى ، وبطريرك القسطنطينية ، ستوحد الكنيستين القبطية والملكانية[1] ، ولم يقبل بها الأقباط .

وبدأت حملة قيرش على الأقباط بقتل أخى البابا بنيامين واضطهاد الأقباط بشدة (لقبول مذهب المشيئة الواحدة) فانضم البعض للمذهب الملكانى ، مع إثنين أو ثلاثة من الأساقفة ، ولكن بعد الغزو العربى ، أرجعهم البابا بنيامين للأرثوذكسية بلُطفه وحكمته ، ورجع بعضهم بدموع الندم .

ويخبرنا تاريخ البطاركة (لساويرس ابن المقفع) أنه كان هناك دير مترا (Metras) ، وكان مقراً للكرسى البطريركى ، ولم يقدروا على إرغام رهبانه على قبول مجمع خلقيدونية ، وكان كل رهبانه من المصريين الوطنيين ، ولم يكن بينهم أجنبى ، وهو ما يوحى بأن المصريين كانوا بالضرورة من الأرثوذكس، والأجانب من الخلقيدونيين .

---

(1) Aziz S, Atiya, Cyrus al-Mquwqus, in Coptic Ency.

وفشلت الحملة الوحشية التى قادها قيرش فى جذب الأغلبية القبطية لمذهبه ، سواء بالحوار أو بالقوة . وأن الذين صاروا ملكانيين قام البابا بنيامين باسترداده للإيمان الأرثوذكسى ، بعد هزيمة البيزنطيين (على يد العرب) ورحيل وموت قيرش[1] .

وسنرى فى الفصل التالى مدى تأثير الغزو العربى على مصر ، وطرد البيزنطيين منها ، وهو أمر مُحزن جداً ، ونتيجته خطيرة على المسيحية القبطية (الأقباط الأرثوذكس) .

+ + +

الفصل الخامس

القرون الأولى بعد الغزو العربى (من ٦٤٠ إلى نحو ٩٧٠م)

لمدة أكثر من ١٣٠٠ سنة قبل عام ٦٤٢م ، كانت تنهزم مصر ، وتندمج فى إمبراطورية ، أو بأخرى . ويتعجَّب المرء بما شعرت به مصر سنة ٦٤٠ بعدما حكمتها مجموعة مختلفة من الإمبراطوريات الإسلامية مدة ١٣٠٠ سنة تالية !! **وهل استطاعت القضاء على حضارتها ولغتها ؟!** .

لقد تأسست الثقافة المصرية بعمق فى الفترة الفرعونية ، وبقى الفن والدين ثابتين بدرجة مدهشة لعدة قرون . وبعدما استولى الإسكندر الأكبر على مصر ، وتأسست الحكومة البطلمية فى ٣٣٠ ق.م ، فإن الحضارة الهلينية كان لها تأثيرها العميق – لمدة ألف عام – فى المدن المصرية .

ومع ذلك لم تحل اليونانية محل اللغة والديانة (الفرعونية) فى مصر . وصارت الكتابة القبطية مثل اليونانية ، التى استردَّت حروفها المُقتَرضة منها

---

(١) تذكر بعض المصادر التاريخية أن العرب قد عينُوا " قيرش " حاكماً للإسكندرية ، ولكنه حزن على ما فعل ، وانتحر .

سابقاً . وحتى فى الفترة الإغريقية الرومانية ، لم تتغير الصورة الدينية ، حتى بدأت الحركة المسيحية تقيم حوارات مع أصحاب الأديان الوثنية- بقدر كبير - فى النصف الأخير من القرن الثالث . وقد ظلت الإسكندرية أكثر مدينة ثقافية فى العالم غرب الهند ، منذ عام ٣٣٠ ق.م إلى عام ٦٤٠م ، أى ألف عام !!.

ومن بين الغزوات التى عانت منها مصر ، كان الإسلام.وهو أكثرَها تأثيراً (وكانت الإسكندرية لا تزال حتى القرن ٧م أجمل مدينة فى العالم ، وأن الأقباط ظلوا أوفياء لإيمانهم) .

ويقول بطلر (Butler) : "لوحظت فى التاريخ أمور (مدهشة) ومنها على سبيل المثال أنه استطاعت حفنة صغيرة من العرب - المنتصرين (على الروم)، والوافدين من الصحراء - أن تمتص وتدمر مصر. وبمعنى أوسع، الثقافة البيزنطية القديمة، التى قد انصهرت فى الحضارات القديمة : لروما واليونان ومصر"[1] .

وقد حلت اللغة العربية محل القبطية ، فى الحديث وفى الكنيسة ، وأصبح الإسلام دين الأغلبية ، مع بقاء أقلية مسيحية . وأصبحت " **القاهرة** " أعظم مركز حضارى إسلامى وعاصمة لمصر ، وحتى البابا الإسكندرى نفسه قام بنقل كرسيه إلى القاهرة، ليكون قريباً من الحكام الجُدد.

وبقاء المسيحية فى مصر مع وجود أقلية مسيحية دلالة على قوة صمود الكنيسة فى مصر، وبقاء لغتها القبطية ، رغم توقف الحديث بها . وسنرى - فى هذا الفصل - التأثير الشديد للغزو العربى ، وكيف تأقلّم الأقباط معه !! .

وإن قيام الإسلام ونزوح العرب من الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب (سوريا والعراق) وإلى شمال إفريقيا وأسبانيا ، هى من بين التطورات المدهشة فى التاريخ البشرى ، بسبب سرعة حدوثه .

---

(1) Bulter, op. cit, pp. 291, 464.

فقد هرب (هاجر) النبى محمد من مكة - مع جماعة قليلة من أتباعه - في عام ٦٢٢م ، ومات سنة ٦٣٢م . وبعد عشرة أعوام أخرى تم غزو العراق وسوريا وفلسطين ، وسيطر العرب على مصر أيضاً .

وأما تفسير سبب هذه الانتصارات العربية السريعة ، فأوله الإجهاد الشديد الذى عانى منه أباطرة الروم والفُرس ، من حروب طويلة معاً . والسبب الثانى : الانقسام الدينى المرير بين المسيحيين الشرقيين (بين الأرثوذكس والخلقيدونيين) حول طبيعة المسيح ، والاضطهادات والانقسامات البيزنطية التى نزعت كل ولاء من السريان والأقباط للقسطنطينية وإمبراطوريتها .

ودعنا الآن نرى ما نتج عن الغزو العربى من آثار على المجتمع القبطى المسيحى[1]، وبدايةً نذكر أنه عند الغزو ، كانت الكنيسة القبطية تعانى نحو عقد (١٠سنوات) فوضى (تشويش) حيث أرسل الإمبراطور هرقل " كيرش" – إلى الإسكندرية - ليكون بطريركاً وحاكماً مدنياً - كما سبقت الإشارة - واستخدم سلطانه فى إرغام الكثير من الأقباط المسيحيين - وحتى الأساقفة أيضاً - ليكونوا على مذهبه. وكان البابا بنيامين هارباً إلى الصعيد ، وظل مختفياً ، على الأقل لمدة ١٠ سنوات ، وساد البلاد الإرهاب على يد قيرش الدخيل.

ويبدو أنه لم يكن ثمة دافع ، لدوام حكم البيزنطيين لمصر ، فإن عشرات الآلاف منهم قد قام عمرو بن العاص بطردهم ، رغم زيادة عددهم عن الغُزاة وتحصيناتهم القوية ، كما أن العرب لم يمتلكوا الأجهزة الحربية ، ولا الخبرة اللازمة فى فنون الهجوم الحربى .

وهل انقلبت الأمور ببساطة كما حدث، لأن قيرش البطريرك والحاكم كان خائناً ؟! فإنه رغم قسوته فقد كان جباناً . كما كان قواده الحربيون غير أكفاء .

---

(1) Philip Hitti, The Arabs, AShort History, 5th ed., (Chicago 1949).

* Bernard Lewis, The Arabs in History; 2nd ed., (New York, 1958).

وكانت هناك مناسبات كانوا يدافعون فيها بشجاعة ، ولكن لم تكن لديهم الرغبة الصادقة فى الحفاظ على مصر تابعةً للدولة البيزنطية. ويفند بطلر - بالتفصيل - الزعم بأن المصريين ساعدوا العرب فى غزو مصر(١) . وهو يُشير دائماً إن الأقباط لم تكن لها النيّة فى مساندة جهود البيزنطيين ، حتى ولو كانوا فى موقف يسمح لهم بذلك . كما ضعفت الكنيسة بسبب اضطهادات قيرش لها، لمدة عشر سنوات .

كما دافعت القوات العربية بعزم شديد (بحماسة دينية) ولم تقبل الهزيمة مطلقاً . وقد دخلت مصر من البر فى نهاية سنة ٦٣٩ . وفى معركة عين شمس سنة ٦٤٠ كسبت أول معركة كُبرى ، وسقطت قلعة " بابيلون " الإستراتيجية - الحصينة - فى ربيع سنة ٦٤١ ، أما الإسكندرية العاصمة المحصنة فقد سيطر العرب عليها فى أواخر صيف نفس السنة ، رغم عدم وجود أسطول لأبن العاص للهجوم عليها من البحر. وكان لما حاصر ابن العاص حصن بابليون (بمصر القديمة) سألوه عن شروطه، فكان ردّه " ثلاثة اتجاهات فقط : (١) إما إسلام مع أُخوّة ومُساواة. (٢) أو دفع جزية مع حماية بموقف (اجتماعى) أقل . (٣) أو الحرب حتى يفصل الله بيننا ".

وقد قبلت الأغلبية المسيحية المصرية دفع الجزية عن ترك دينهم وصعوبة الرجوع إليه. وبعد ٣ سنوات من استيلاء العرب على الإسكندرية عاد البابا بنيامين - منتصراً - إلى كرسيه ، كرئيس للكنيسة المصرية ، وبداية علاقة جديدة بين الكنيسة القبطية والحكومة العربية.

ويقول الكاتب مارتن (Martin) مايلى : " إن المدائح التى أُطلقت على الغازى (ابن العاص) كان بدون شك يستحقها. فقد أعطى البابا بنيامين سلطة على رعيته ، لأنه (بذكائه) رَاعَى أن البلد مسيحى ، والمسلمون قليلون ، وأن

(1) Butler, op. Cit. Chapter 13.

الكنيسة المصرية قد صارت بذلك سلطة مقبولة ، لتخـدم كحلقـة وصـل بين الحكومة (العربية) والشعب (القبطى)[1] .. " .

وقال هاردى (Hardy) : " إنه بعد الغزو العربى تشكّلت حكومـة مركزيـة بيروقراطية، لم يكن مثلها منذ العصر البطلمى[2] " . ولعب فيـها الأقبـاط دوراً مركزياً، لاسيما فى العقود الأولى للغزو .

وعلى المدى القصير ، فقد جنى الأقباط – على الأقل – فائدتين من الغـزو العربى ، هما : تقليل الضرائب ، ومزيد من الحرية الدينية ، بالمقارنـة بـالعقد الأخير من الحكم البيزنطى ، ووجد الأقباط أن النير عليهم قد خف ، وأزيل القيـد الدينى . فلم يعودوا يُعامَلون على أنهم هراطقة، بل أصبحوا من " أهـل الذمـة " (أى فى حماية المسلمين حسب رأى الكاتب) ، على أساس أن ينالوا الأمـن فـى بيوتهم، وحمايتهم من أى غزو أجنبى، ولكن تكلفة هذه الحماية كانت غالية جـداً ، كما سنرى فيما بعد.

وتُسمَّى غير العرب، المتحولين للإسلام : "موالى" (mawali) وتعنـى هـذه الكلمة – فى الأصل – زبائن للقبيلة. ومن الناحية النظرية كانوا مساوين لزملائـهم العرب المسلمين، ولكن فى الواقع – على الأقل حتى عصر العباسيين الذين تولوا الخلافة عام ٧٥٠م – احتفظ العرب لأنفسهم بعدد كبير من المزايا المادية.

وكان العنصر السائد – تحت الحكم الإسـلامى – قبـل سـنة ٧٥٠م هـو الأرستقراطية العربية ، من المحاربين . وبعد عام ٧٥٠م – فـى معظـم البـلاد الإسلامية – صار العلماء الموالى ، ورجال الأعمال ، هم السائدون ،فقـد ولـىّ يوم المحارِب ، وجاء يوم الوالى (الحاكم) .

---

(1) Martin, Une Lecture de L' Histoire des Patriarches d' Alex., Proche-Orient Chrétiens, 25 (1985). 17.

(2) Hardy, op. cit. p. 446., Lewis, p. 58, Hitti, p. 57.

وعانى الأقباط الأوفياء – من أهل الذمة – من ضرائب مرتفعة ، وأصبحوا مواطنين من الدرجة الثانية ، والحط من قدرهم اجتماعياً ، وأحياناً تعرضوا للاضطهاد . وتم استبعادهم من الجيش ، لوجود الغزاة به، لحمايتهم واستغلالهم[1].

ولكن كانت للأقباط حقوق للملكية ، وبعض الحقوق لممارسة شعائر دينهم ، وازدهروا فى الأعمال الحرّفية والتجارية والإدارة الحكومية . وكانوا مسالمين ، وقد اضطروا لدفع ضريبة سنوياً ، عن كل واحد بزعم حمايتهم (أمنهم) ومن بين التعليمات إكرام المسلمين ، والخضوع للعدالة (المحكمة) الإسلامية ، وركوب الحمير فقط (أو أحياناً ركوب الخيل للخلف) ، ولبس ملابس مُعينة ، وتحديد صارم لبناء الكنائس. ومع ذلك كان لهم مستواهم المالى ومجتمعهم. وفُرَصاً فى الحكومة والعمل ، ولكن كانت مكانتهم وخبراتهم تثير حسد العرب والموالى. وخلال القرنين الأولين من الاحتلال العربى لمصر، كان غالبية السكان العُظمى من الأقباط المسيحيين ، وقد زاد ضغط العرب عليهم . كما أُسيئ إليهم بشدة ، على نحو مافصّله تاريخ مصر فى العصور الوسطى ، الذى كتبه " لين بول " (Lane-Poole)[2] .

وقد نافس الأقباط المسيحيون ، وأحياناً تفوقُوا على " الموالى " كتجار ، وحرفيين وإداريين . ولم يكن لدى العرب الاستعداد أو الرغبة فى إدارة الحكومة، التى خَلّفتَ ببساطة النظام البيزنطى السابق . والتى أدارها- فى حالات كثيرة – رؤساء من الذين تحولُّوا للإسلام. ولكن أكثر وأكثر عن طريق الأقباط كلما تقدم الوقت .

وهناك حديث نبوى شريف (hadith) يقول إن : " الأقباط سيساعدون المسلمين على التقوَّى ، بالقيام بأعمالهم الدنيوية " !! وكان الأقباط سُعداء بتحقيق

---

(1) Eliyahu Ashor, “ The Social Isolation of the Ahl-al Dhimma “, in Etude Orientale (Budapest, 1950) pp. 73-94.

(2) Stanely Lane-Poole, Hist of Egypt in the Middle Ages (London 1913) p. 26.

ذلك !!. وعندما عاد البابا بنيامين – بناء على دعوة ابن العاص سنة ٦٤٤م – قاد شعبه لمدة ١٨ سنة ، وصاروا من أهل الذمة ، وقد تقوُّوا ونشطُوا ، ولكنهم كانوا مُثبطين (مُحبّطين) فى الهِمَم نحو بلادهم ، عندما عانت ديانتهم ولغتهم .

وكلمة " **قبطى** " فى العربية (qibti) هى من الكلمة اللاتينية اليونانية (aegyptus) مما يدل على أن الأقباط هم المصريون الحقيقيون .

ويبدو أن الغازى العربى عمرو بن العاص قد عامل المصريين بعدل ، ولكن رغبة العرب فى المال (الجزية) كانت شديدة جداً . وقد تم استدعاؤه (لمكة بمعرفة الخليفة عمر بن الخطاب) ، وتولى بعده عبد الله بن سعد ، الذى فرَض جزية، أكثر من المقدار المُتفَق عليه فى المعاهدة . مما وضع الأقباط فى ضيقة مالية عظيمة .

وكان من رأى فيليب حتى أن الغزو العربى ، كان همه – فى الواقع – البحث عن الجزية. وأن الحاجة الاقتصادية للبدو العرب هى التى دفعتهم ليس للتعصُّب ، وإنما لجمع المال " .

بينما ذكر برنارد لويس أنه نتيجة زيادة السكان (وفقر الجزيرة العربية) هى التى ألجأتهم إلى البحث عن مكان خصب يستقرون فيه . وكان هذا هو أهم دافع لدى العرب للغزو . وقد أدار العرب إمبراطوريتهم – مثل المستعمرين فى القرن ١٩م – لتناسب احتياجاتهم ، لا مصلحة رعاياهم .

وبعد أقل من عام من عودة البابا بنيامين ، نجح البيزنطيون فى الاستيلاء مؤقتاً على الإسكندرية ، من طريق البحر ، كما حدث فى السابق .

ولم يساعد الأقباط البيزنطيين الغُزاة ، هذه المرة ، مثلما ساعدوا الغزاة العرب منذ خمس سنوات[1] !!.

---

(١) تذكر المصادر الموثوق فيها ، ومنطق التاريخ نفسه ، أن الأقباط لم يساعدوا البيزنطيين ، ولا العرب فى معاركهم معاً (راجع ما كتبه المؤرخ القبطى ، المعاصر للغزو العربى : " يوحنا النقيوسى " .Jean de Nikiou, Hist. Eccles).

وبعد نياحة البابا بنيامين سنة ٦٦٢م ، خَلَفَه البابا أغـــاثو (Agatho) كـــاتب سيرته ، وكان سكرتيره ، وقد أدار الكنيسة فى وقت اختفائه خلال حملة العُنــف التى قادها قيرش . وكان أغاثو يذهب إلى الأقباط سراً فى الإسكندرية ، فى شكل نجار ، مع أدواته المقدسة ، لإقامة صلوات القداس سراً.

ومن المدهش أنه قضى على الكرسى المرقسى ١٨ سنة ، ولم يُعلم عنه فيـها سوى أنه كان يفتدى الأسرَّى المسيحيين الغربيين . ورســـم أســاقفة للكراســى الشاغرة . ثم حل محله أبوه الروحى يوحنا (الثالث) .

وفى نهاية القرن السابع ، كان الأساقفة يُختَارُون – بصفـــة عامـــة – مــن الأديرة.واستمرت الكنيسة القبطية على ذلك وقتاً طويلاً .

وكان أنبا يوحنا (الثالث) قائداً كنسياً نشيطاً ، رغم أن الوالى " **عبد العزيـز** " أراد أن يضغط عليه ليحصل منه على ثروة كبرى (مائة ألف دينار) ، بإلقائه فــى السجن .

وكان بطاركة الإسكندرية الأقباط لديهم مصادر مالية متعددة خلال التـــاريخ. وكان يُخصَص معظمها لدعم إنشاء الكنائس ، ولكن بدرجـــة أكــبر ، لمســاعدة الفقراء . وكانت هذا الأموال الاحتياطية - أو ما أشيع عنها - كانت تُغرِى الــولاة المسلمين ، الذين كانت أهم وظائفهم الحصول على أكبر دخل من مصر .

وكانوا يزعمون أنهم ماداموا هم حُماة المصريين ، فإنـــهم يحتــاجون فقــط للغذاء والكساء ، وليس للمالِ الذى تحتاجه المصروفات الكثيرة للأمـــن[1] وبعــد تخفيض المبلغ المقرر على البابا يوحنا (الثالث) قام قادة الكنيسة بســـداده ، وتــم إطلاق سراحه .

وصار صديقاً للوالى . وأعاد بناء كنيسة مارمرقس (بالإســـكندرية) وشــيَّد معصرة للزيت وطاحونة للدقيق وعدة منازل ، وكانت استثماراً صالحـــاً ، كمــا ساهم فى إطعام وإيواء الفقراء ، وهو من أهم أنشطة آباء الكنيسة المصرية.

---

(1) History of the Patr. (ed. Soc. d'Arch. Copte. 1948) p. 104.

وكسب البابا يوحنا الكثير من الملكانيين (الروم)، وفى وقــت مجاعــة قــام بتشغيل طاحونته للذين يعانون من قلة الخبز، وجلب مساعداً له، هو الأنبا إســحق خليفته وكاتب سيرته - وكان من دير القديس مكاريوس، الذى صار أهم مصــدر لتقديم قادة الكنيسة القبطية. وتولى الشماس جرجس بعد البابا يوحنا، ولكن الوالــى عبد العزيز، مال نحو إسحق، ولذلك انشغل جرجس بكتابة سير البطاركة.

ورغم أن الوالى صار صديقاً للبابا ، لكنه حاول إرغام المســيحيين لتعليــق على كنائسهم عبارة : " محمد هو أعظم رسول لله ، والمسيح رســـول الله ، وأن الله لا يلد ولا يُولد " !

كما كان لعبد العزيز دور هام فى اختيار البابا سيمون الأول (Simon) وكــان سريانياً ، وقد صار راهباً بدير هناتون (الزجاج) . ونظراً لأنه كـــان قــد مــال للوحدة ، فقد اختار يوحنا رئيس الدير ، ليتولى إدارة شئون الكنيسة ، كما عيَّـــن " يوحنا " آخر لأسقفية نيقيوس (diocese of Nikiu) ومشرفاً على الأديــرة اعتبــاراً من عام ٦٩٦م . وقد سجل تاريخ الفترة الواردة فى هذا الفصل(١) .

وبذلك تحرر البابا سيمون من الإداريات وتفرغ للنُسك ودراســـة الكتــاب . وقد كرهه عدد من أعضاء كنيسة الإسكندرية ، لقلة حفاوته بـــهم . ونلاحــظ أن الكنيسة القبطية قد مالت إلى الروحانية . وكانت تختار رُهباناً - مُحبّين للإختــلاء بالرب والعُمق، لرسامتهم بطاركـــة ، مثلمـــا تـــم للقديـــس يوحنـــا ذهبـــى الفــم (Chrysostom) وكان ينقصهم الحنكة الإدارية ، والقدرات الدبلوماسية ، ومع ذلـــك كان الشعب يحبهم، بسبب نجاحهم ونموهم الروحى .

وفى نهاية بطريركية سيمون نحو عام ٧٠٠م ، كانت مملكتى مقرة ونباطيــا تحت حكم مرقوريوس (الذى تسمَّى قسطنطين الجديد) . وامتـــد سـلطانه إلــى الشلال الخامس فى الجنوب(٢) ، وكان مقاوماً للضغط العربى على أقباط مصر .

---

(1) Chronicle of John. Bishop of Nikou. trans. Charles. from Zotenberg's Ethiopic Text. (London 1916).

(2) Adams. Nubia : Corridor to Africa (Princeton Univ. 1977), p. 454.

وبعد سيمون جلس اسكندر الثانى على الكرسى المرقسي. وهو راهب متعلم آخر من نفس الدير ، وظل بطريركاً على الكنيسة القبطية معظم الرُبع الأول من القرن ٨م ، وهى فترة عاصفة. ونقطة تحوُّل فى تاريخ الكنيسة المصرية .

فبعد موت الوالى عبد العزيز – الذى كان صديقاً للقيادة الكنسيَّة القبطية – تولى عبد الله . أخذ ٣٠٠٠ دنار من البابا اسكندر للدولة، مما أغراه بطلب ٣٠٠٠ دينار اخرى له .

وكان العرب – بصفة عامة – متسامحون بعض الوقت، لأن هدفهم كان الحصول على الجزية وعلى الضرائب عن الإنتاج الزراعى (هدف مادى بحت).

ويقول روبرت لويس[1] : "إن كل تركيبة الولاية العربية تقوم على أساس افتراض أن الأقلية العربية **يمكن أن تحكم أغلبية غير إسلامية دافعة للضرائب.** ورغم أن الحصول على الثروات من الإنتاج الزراعى، قد ظل الهدف الدائم للعرب، لكن الأمور قد تغيَّرت. فقد منع عبد الله عمل الأقباط بالحكومة، وأمر باستخدام اللغة العربية فى الوثائق العامة[2]. وبذلك بدأ طريق طويل نحو "تحويل مصر، من ولاية مسيحية ، ذات أقلية عربية مسلمة وحاكمة ، إلى ولاية إسلامية ، ذات أقلية مسيحية صغيرة نسبياً[3] " .

وخلال بطريركية البابا اسكندر ، امتدت الضرائب لتشمل الرهبان ، وزاد التحوُّل إلى الإسلام . وبعد سنة ٧١٧م زاد الترحيب بدخول الأقباط فى الإسلام . وقد حاول الخليفة عمر الثانى (ابن عبد العزيز) استبْعاد أهل الذمة (النصارى واليهود) من الأنشطة الإدارية التى كانوا يحتكرونها . وأصدر عدة قوانين اجتماعية ومالية عنصرية .

---

(1) Lewis, op. cit. p. 72.

(2) Lane-Poole. op. cit. P. 27.

(3) Lapidus. The Conversion of Egypt to Islam. Israel Oriental Studies. 2 (1972). 248.

وكانت الضرائب الشديدة مع التفرقة العنصريَّة من أكبر العوامل على تحـوُّل الأقباط للإسلام ، لأنها كانت عبئاً ثقيلاً عليهم[1] . فكان الذكـــر القبطـــى يدفـــع ضريبة الرأس (الجزية) ، وضريبة الأرض ، وضريبة نســـبيَّة علـــى الإنتـــاج الزراعى . ودفْع مبالغ لسداد احتياجات المسلمين ، ودعم رجال الدولة !!.

ولم يشجع الولاة العرب التحوُّل للإسلام . وكـــانوا غالبـــاً يحـــاولون عـــدم استبعاد الأقباط – التاركين دينهم للإسلام – من الجزية المفروضة علـــى أهـــل الذمة، ولكن تغير هذا الوضع – فى ذلك الوقـــت – لاسـيما وأن " الموالـــى " المتحولين للإسلام قد صارت لهم قوة وامتيازات خاصة .

وفى سنة ٧٢٠م وماتلاها ، نفد صبر الأقباط وثاروا ، عندما صدر أمر مـــن الخليفة بتدمير كل الصور الدينية (الأيقونات)[2] ، وعندما صار حِمل الجزيـــة لا يُطاق، ونتج عن ذلك هلاك الكثير من الأقباط إذ لم تكن لهم خبرة بالقتال.

وتلى البابا إسحق الأنبا قزمان (Cosmas) الذى اهتم بالأكثر بالصلاة مـــن أجل رحيله السريع من العالم !! وهذا مايُصوِّر نتيجة رسامة راهب زاهـــد فـــى الحياة ، فى منصب يتطلب طاقات إدارية وتنظيمية ضخمة !! .

ويرى آدامز (Adams) من تقرير أبى صالح الأرمنى[3] عن مجئ الجيـــش النوبى – بقيادة الملك قرياقص (Cyracus) سنة ٧٤٥م ، لإرغام الوالى العربـــى لإخراج البابا القبطى من الحبس بقوة غزت مصر ، وكانت مكونة من ١٠٠ ألـــف جندى (نوبى) ، أنه كان دعماً سياسياً لأقباط مصر .

والقرن الذى عاش فيه البطاركة من ميخـــائيل الأول حتـــى يوســـف الأول (٧٤٤-٨٤٩م) قد شهد تغيرّات قوية فى المجتمـــع القبطـــى،وعلاقتـــه بـــالقُوَى

---

(1) Dennett, Conversion & the Poll Tax, in Early Istam (Harvard Univ. 1950) pp. 115-116.

(2) Lane- Poole, op. cit. p. 27.

(3) Abu Salih, The Churches.. etc. (trans. Butler & Evetts) (Oxford, 1895) pp. 267-268.& Adams, op. cit., p. 454.

الإسلامية . وقد انتقل مركز الحُكم الإسلامى من سوريا إلـــى العـــراق (الدولـــة العباسية)، وزاد تعريب مصر ، وتم سحق أكثر الثورات القبطية قـــوة، وأصبـــح الأقباط أقلية فى مصر، كما سنراه بعد ذلك.

وبعد راحة دامت ١١ عاماً صار البابا ميخائيل على الكرسى المرقســـى . وكان راهباً من دير أبى مقار ، وقد اغتالته جماعة من الأساقفة الأقبـــاط وكبـــار الأراخنة العلمانيين (Lay) فى بابيلون ، وأثير فى ذلك الوقت التساؤل : إذا كـــان البابا يُرشَح للرسامة لكرسى الإسكندرية ، أليس من حق الكهنة أن يكـــون لـــهم دوراً مهماً فى اتخاذ القرار بالاختيار ؟! .

وإذا كان هو قائداً لكل المجتمع القبطى المسيحى (ودعاه عمرو بن العـــاص: " أُمَة" عندما استدعى البابا بنيامين من مكان اختبائه ليرعاهم) أليس من الواجـــب إذن أن تختاره كل الكنيسة ، وبالأخص الأساقفة والقيادات الشعبية ؟! .

وقضى البطريرك ميخائيل ١٤ سنة فى وقت التحديات والتغيرُات . وكـــان فى عهده التغِير الكبير من المملكة الإســـلامية الأمويـــة ، إلـــى الإمبراطوريـــة الإسلامية العباسية. وقد أسفرت ثورة قبطية أخرى عن اضطهاد وتـــرك ٢٤٠٠٠ قبطى إيمانهم !!.

وبالنسبة لتحوُل الحكم العربى للعباسيين ، فقد جاء مـــروان الثـــانى ، آخـــر حاكم أموى إلى مصر ، وقبض على البابا ميخائيل وشدد مـــن سياســـة العقـــاب الجماعى للأقباط . وكان الأقباط يأملون أن هزيمـــة مـــروان – وقيـــام الدولـــة العباسية الجديدة – ينتج عنها تحسُن فى معاملتهم .

ولكن بدلاً من ذلك ، فقد صار الحكم العباسى أردأ جداً من الحكم الأمـــوى ، بسبب كثرة استبدال الولاة العباسيين لمصر ، مما كان يدفعـــهم للضغـــط علـــى الأقباط مادياً ، لينالوا أكبر قدر من الأموال قبل انتهاء فـــترة حكمـــهم القصـــيرة لمصر .

وفى الواقع ، خلال القرنين الأولين للحكم الإسلامى لمصر ، كان يحكمها ولاة فى بلاد العرب وفى سوريا ، وفى العراق ، وكانت مصر تقدم لهم كميات ضخمة من الطعام ، بسبب خصب أرضها ومهارة عمالها الأقباط ، كما كانت سوقاً لبيع وشراء المنتجات من كل أوربا وآسيا وأفريقيا . ولهذا لم يكن من المدهش أن ينظر الاستعماريون العرب - فى العصور الوسطى - إلى مصر على أنها أعظم جائزة ، كما أنها فى معظم تاريخها الطويل كانت نسبة كبيرة من ثرواتها نهباً للُحكام الأجانب !!.

وقد ساعدت التجارة والثقافة الجديدة (حركة الترجمة فى العصر العباسى) على زيادة نشر اللغة العربية . وكانت القبطية قد بدأت تختفى ، ولكننا - نرى فى سيرة البابا ميخائيل - أنه لم يعرف التحدُّث مع حارس السجن بالعربية . كما امتاز أول القرن الثامن أيضاً بهجرات عربية كبيرة جاءت إلى مصر ، مما أثر فى اللغة القبطية وساعد على زيادة نشر العربية.

ولكن الكاتب لويس يرى أن درجة مقاومة المصريين للتغييرات السياسية والثقافية لم تكن بدرجة قوية . وأنه لم يكن لديهم الشعور الوطنى اللازم للإحتفاظ بهويتهم ، مثلما فعل الفُرس ، بعد تحوُّلهم للإسلام (فلازالت **اللغة الفارسية** ، هى السائدة حتى الآن فى إيران الإسلامية) . كما كانت الثورات القبطية ضد العرب (الأمويين والعباسيين) وقتية ، وذات انفعالات مؤقتة ، وغير منظمة ، ولم تكن مصحوبة بحركات دينية(١) ، أو بإحياء للشعور القومى ، أو بالتوعية بأهميتها(٢)".

---

(١) لقد حاول البابا تهدئة البشامرة الثائرين على أساس أن **السلام أفضل من الثورات الحماسية** والغوغائية الهوجاء والعُنف المثار ضد الدولة العباسية القوية ، وهى حكمة استمدها من التعاليم المسيحية ، التى تدعو إلى المطالبة بالحقوق **بطريقة منطقية** ، وليس بالإضرابات أو بالتمرّد أو بالعصيان المدنى، المحكوم عليه بالفشل حتماً ، وموت كثيرين، وخراب الأملاك، بلا طائل !!.

(2) Lewis, Egypt & Syria (Cambridge Univ. 1970) vol. I, p. 176.

وقد خلف البابا **مينا الأول** البطريرك ميخائيل ، وكان تلميذه وكاتبه ، ومن دير أبي مقار . وعانى من الحبس ، إلى أن دفع فدية مالية (ransom) كبيرة ، إذ كان العرب يظنون أن الكنيسة والبطاركة أغنياء وأن لهم مصادر مالية كثيرة ، وكان كبار الأقباط (الأراخنة) من جباة الضرائب ، وكانوا يساعدون كنيستهم وآباءهم، ويجمعون لهم المال المطلوب منهم للولاة القُساة .

وأعلن البابا مينا أن الكنيسة فقيرة، حتى أن كؤوس التناول، التي ظن الولاة العرب أنها كانت من الذهب، ليست سوى من الزجاج أو الخشب. ومن الواضح أن سَجن البابا مينا هو إشارة إلى قدرة الوالي العباسي لمصر على اتهام الباباوات لدى الخلفاء. وكذلك اتهامهم بالسيمونية (Simony) في مصر في العصور الوسطى، بأخذ مبالغ لرسامة الأساقفة أو حتى الكهنة، مع أن تلك الرسوم كانت – تبدو أحياناً – **ضرورة للبطاركة لدفعها للولاة**، الذين كانوا ينتهزون فترة حكمهم القصيرة لجمع المال بالظلم، مما كان يُحزِن قلب الشعب القبطي وآباؤه أيضاً، لعدم قدرتهم على الدفع لهم ما يطلبونه من مبالغ فوق طاقتهم.

وقد بلغت قمة عظمة الدولة العباسية في عهد الخليفة هارون الرشيد ، الذي حكم من عام ٧٨٦ إلى ٨٠٩م ، ولكن بعد موته فإن الحرب المدَّنية بين إبنيه على تولي العرش قد أضعفت الدولة . وقد جاء إبنه " المأمون " إلى مصر بنفسه ليضع حداً لثورة قبطية سنة ٨٣١م (بشمال الدلتا) لفشل قواده في إخمادها[١] (لتحصن الثوار الأقباط في مناطق مستنقعات) .

كما جاء غُزاة من الأسبان المسلمين، واستولوا على الإسكندرية ، كما سجله تاريخ بطاركة الإسكندرية (وقد عانى منهم سكانها الأقباط أيضاً). والأربعة

---

(1) Sourdel, The Abbasid Caliphate, in the Cambridge History of Islam, vol. I, pp. 122-123.

بطاركة الأقباط ، قبل عام ٨٤٤م – بعد استبعاد سيمون الثانى القصير الفترة – كانوا من دير أبى مقار ، وغالبيتهم بنوا كنائس ورحموا البعض . ورأى البابا مرقس الثانى تدمير أعظم مراكز الرهبنة – فى وادى النطرون – بيد البدو ، ولكن البابا يوسف الأول أعاد بناء تلك الأديرة ، وزرع الكروم وصنع عصارات للزيتون ، وعمَّر دير أبى مقار وغيره .

وقد بذل البابا يوسف (يوساب) جهداً كبيراً فى النهوض بالمجتمع القبطى ونثق فى كل ماجاء فى سيرته لأنه قد سجلها معاصر له . وقد تم إحضاره فى قيود لرسامته بطريركاً ، وهو مايدل على أن صاحب منصب " البطريرك " كان يتعرَّض إلى خطر عظيم. وعدم وجود الطموح فى تلك الدرجة الروحية الرفيعة.

وكان أهم منافس له على الكرسى المرقسى، هو علمانى غنى، كان متزوجاً، وكان هذا القبطى الكبير يُدعَى " اسحق " ، وقد تمت رسامته شماساً ثم أسقفاً لأوسيم (بالجيزة) ، مع الإشراف على أسقفية العاصمة المصرية الإسلامية (مصر القديمة حالياً) . وفى بداية بطريركية البابا يوسف قامت الثورة القبطية البشمورية العنيفة[1] ، والتى حاول قداسته – مع ديونيسيوس بطريرك إنطاكية – على وقفها سنة ٨٣١ ، ولكن دون جدوى.

ومن الجدير بالذكر أن المسلمين شاركوا فيها أولاً ، لأن المسيحيين لم يكونوا وحدهم الذين عانوا من ظلم الولاة المسلمين ، وقد انهزم الثوار الأقباط ، لتخلى الشعب المسلم (المصرى) عنهم ، ولعدم وجود التدريب الحربى المناسب ، فتم سحقهم بقسوة شديدة وهدم بيوتهم وكنائسهم.

وقد ذكر المؤرخ المُسلم " **المقريزى** " أنه نتيجة اليأس أتت موجة من إنكار الإيمان المسيحى . وقد اتُخِذت خطوات كبيرة للتحوُّل للإسلام ، فى النصف الثانى من القرن التاسع ، بدءاً من الدلتا[2] .

---

(1) Evetts. The History of Patr. (1915) pp. 476-547.

(2) Gellens. Egypt Islamization. in Coptic Ency.

وقد ذكر مؤرخ معاصر أن القرن التاسع قد شهد تحولاً كبيراً للإسلام ، وضيقات مالية ، وتشدداً اجتماعياً صارماً ، والحط من مستوى الشريعة (قوانين الكنيسة القبطية) وانعدام الأمن ، والعداوة الإسلامية[1] ، للكثير من المسيحيين. وأصبحوا أقلية لأول مرة منذ القرن الرابع .

وبعد مرور قرنين من الغزو العربي لمصر اشتدت سلطة الأساقفة والأراخنة فى الكنيسة (وهو تعميم غير واقعى). ونرى أن كتاب تاريخ البطاركة الذى كان يركز على البطاركة ، يتحول إلى كتاب حكايات ، دون أن يهتم بتسجيل أحوال المجتمع القبطى[2] ، ومع ذلك نعتمد على هذا الكتاب فى الحصول على معلوماتنا ، عن تلك المرحلة .

وإن كان للأقباط كنائسهم إنما كان من الصعب – بطبيعة الحال – السماح لهم ببناء أو حتى ترميم كنائسهم المُتهدّمة . ولم يعد يوم الأحد هو إجازة فى القطر المصرى ، لذلك أصبحت العبادة قبل العمل (فى الفجر) أو بعد العمل ، إلا إذا كان الإنسان يعمل لنفسه (قطاع خاص) . ولا يُسمَح بالطلاق فى الأسرة القبطية (إلا بسبب الزنا ، وترك الدين) ولذلك **نرى استقراراً فيها** (وهو درس هام لكل إنسان ، فى كل زمان ومكان.وشهادة من عَالِم غربى) .

وقد تم استدعاء البابا يوسف ، ليصنع سلاماً بين ملك النوبة المسيحى وحكام مصر المسلمين ، وبمساعدة الأسقف اسحق ، أرسل زكريا ملك النوبة إبنه إلى مصر، وإلى الخليفة فى بغداد . وتمت رسامة أعداد من الأساقفة الأقباط للنوبة . وقام ملك النوبة بالوساطة الدبلوماسية بين مصر وأثيوبيا أيضاً .

وقد عرف البابا يوسف الصفح (مثل يوسف الصدِّيق) حيث سامح أسقفين ثائرين[3]، وتشفع لهما ، حتى لا يتم عقابهما بيد الحاكم الإسلامى .

---

(1) Lapidus, op. cit. p. 260.

(2) Letter received From Maurice Martin, 9 June, 1992.

(٣) والأصح أنهما أساءا التصرُّف وشكاهما شعباهما فى تنيس (بالشرقية) ومصر القديمة له ، وأوقعا فتنة بين البابا يوسف والوالى • ولما ظهرت حقيقتهما – وكان لابد من عقابهما – تشفّع قداسته لدى الوالى ، ليصفح عنهما • وهو ماتم بالفعل.وهو درس هام لكل نفس اليوم.

وكذلك صفح عن هرطوقى (خلقيدونى) يُدعى لعـــازر (Lazarus) ، الــذى أخرّب كنائس قبطية لصالح الخليفة (لأخذ رخامها لقصره فى بغداد) وعندما وقــع الشرير – فى ضيقة – ساعده قداسته !!.

وهذا البطريرك الدبلوماسى (الذى لم يعرف اللغة العربيــــة) كــان مُشَـيِّداً للكنائس . واشتهر بتقواه ، وقيل إنه كان يتلو جميع المزامير (الــــ ١٥٠) كــل يوم (ولا يقتصر فى صلواته على مزامير الساعات فقط = الأجبية) .

وقد تم حدوث تغيُّرات فى الحكومة . فقد كوّن **ابن طولون** (من عــام ٨٦٩) **والإخشيد** (من عام ٩٣٥) أسُراً حاكمة لمصر ، رغم أنهما كانا مــن الأتــراك ، وقد سندتهما قوات تركية ، وقد كانا يحكمان مصر رسمياً باسم الخليفة " السُـنّى " فى بغداد.

" وقد ساعد الطولونيون على إحلال الأمان والرخاء فـــى مصـــر ، إذ تــم شطب الضرائب الإضافية ، وقيام مشاريع زراعية (ترع للرى) ســاعدت علــى زيادة الإنتاج الزراعى ، ومحو أسلوب احتقار الأقباط ، وكذلك عم الرخاء بسـبب إنفاق مبالغ كبيرة فى مصر بدلاً من إرسالها إلى بغداد[1] " .

وهذا النص ، المنقول عن المؤرخ الإسلامى العظيم (المقريزى) يدل علــــى أنه كيف أنه خلال القرن المبتدئ بعام ٨٥٠ إلى ٨٦٠م ، فإن الحكومة صـــارت لها فاعلية إيجابية فى الاقتصاد المصرى .

ومع أن ابن **طولون** استولى على ما استطاع من البابا القبطى، إلا أنه كـــان متسامحاً – بصفة عامة – مع الأقباط، ولكن لم يزل الأقباط قلائل بالنسبة لعــــدد السكان .

وقد تمثل حظ الأقباط السَّئ ، فى رسامة العالم والمُختبر – والقصير العُمـــر – البابا ميخائيل الثانى ، الذى تردَّد فى قبول المنصب الدينى الرفيع ، ثم قبلـــه . وقد زَادت أثقال كبار رجال الدين ، من الحكام .

---

(1) Lewis, op. cit. p. 183.

وخلف ميخائيل البابا قزمان الثانى ، الذى عانى من حاكم الإسكندرية ، مما اضطره إلى ترك كرسيه بالإسكندرية والإقامة فى " دمـــرو " ، وتــرك أعمــال الكنيسة الإدارية مسئولية إثنين من كبار الأراخنة الإداريين بالدولة .

وأمر الخليفة العباسى " المتوكل " بمنع لبس الأقبــاط الملابــس البيضــاء ، وتشويه (طمس معالم) كنائسهم ، والطرد من وظائفهم . وهو ما حدث لكثـيرين . كما منع نائبه (حاكم مصر) رفع الصلبان على الكنــائس وعــدم الصــلاة فيــها بصوت مسموع للمسلمين ، وعدم ركوب الخيل ، أو استعمال النبيــذ . ويعجـب المرء لماذا لم يقبل المسيحى أن يترك الذل ، ويتمتع بكل الامتيازات الماديـــة ، بالتحوّل للإسلام ، رغم سهولة هذا الأمر[1] ؟ولم يُرحِب الولاة بذلك ، لكــى لا يقل الإيراد المالى للدولة من الجزية من أهل الذمة ، وإن كانت سياســة الخلفــاء تشجيع الدخول فى الإسلام .

وكانت الضرائب الباهظة هى التى تضغط على المسيحيين للتحوّل للإسلام ، علاوة على المضايقات الشديدة ، السابق ذكرها . وأما الاضطـــهادات الدمويــة فكانت نادرة ، ماعدا فى أيام " **الحاكم بأمر الله** " (وكان مجنوناً غالباً) واستشـــهد فى أيامه كثيرون (بين عام ١٠١٠-١٠٢٠م) وعانى الأقباط بشدة فـــى عــهده، ربما بتشجيع من كبار رجال الدين المسلمين !!.

وتم استبعاد الأقباط من الوظائف الحكومية الرفيعة ، ومن أعمـــال أخــرى إدارية ومالية ، ولم يكن أحياناً من السهل نزعهم منها،بسبب خبراتهم ، فلم يكـــن يدوم الطرد طويلاً ، ولكنه كان كافياً لإرغام البعــض علــى قبــول الإســلام ، وخاصة تلك النوعية الطموحة للمناصب والمال !!.

---

(١) لم يُجِب الكاتب عن تساؤله ، ونرى أن السبب يرجع إلى قوة إيمان الأقبــاط علــى مــر الزمن ، واهتمام الكنيسة بأبنائها وتوعيتهم بعظمة دينهم.وبَركة الألم من أجــل المســيح ، وأن الظروف المادية الشديدة لم تزحزح المؤمنين عن إيمانهم . وإن كانت فئة قليلة قد أسلمت ، بعد كل اضطهاد شديد ، لأسباب عالمية فقط، وللجهل الروحى أساساً .

وتُشير الدراسات التاريخية المتخصصة فى حركة التحوّل من المسيحية إلى الإسلام ، أنها كانت على وجه الخصوص فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين[1] ولكن الأقباط المسيحيين لم يختفوا من مصر ، كما حدث فى باقى شمال إفريقيا اللاتينى[2] . ويُخلّد التاريخ القبطى تُراث الآباء والشهداء ، الذين لم يهابوا التهديد أو الاضطهاد الشديد ، لتمسكهم بتعاليم المسيح ، ومفهوم الألم السليم (بَركَة للمؤمن)، وحتمية الاضطهاد (كحملان وسط ذئاب) .

وأشار موريس مارتن إلى تأييد الله للشعب المسيحى القبطى **بالمعجزات** ، التى ظهرت على يد آباء قديسين ، أو من أيقونات . وكانت تنتقل من شخص إلى آخر ، تُنعش الإنسان المؤمن ، وتعطيه صبراً ورجاءً ، فى وسط الضيقات[3] وعلاوة على الأسباب الدينية ، فإن الأقباط استمروا دائماً يتخذون لأنفسهم مكانة هامة فى مصر، بسبب مهاراتهم كمسئولين ماليين وإداريين ومحترفين فى هندسة العمارة ، والطب ، والحرف اليدوية . وكانوا – ولا يزالون – من مُنفّذى المشاريع الممتازين.

وفى الواقع كان نجاحهم أحياناً يجمع لهم ثروات تثير غيرة واضطهاد المسلمين. وكوّنوا مجتمعاً قوياً ومتماسكاً (ومتعاوناً) مما أعطى لهم هوية مسيحية خالصة، تقف أمام الاضطهاد الإسلامى المتكرر، بصلابة مُدهشة. وكان المسلمون يُشكّون فى الذين تحولوا لدينهم ، بأنهم لم يتركوا إيمانهم القديم ، وارتباطهم

---

(١) يرى Brett أن المسيحيين ظلوا أغلبيّة حتى القرن ١٠م ، بينما يرى Bullient أن ثلث عدد الأقباط الذين تحوّلوا للإسلام حدث فى القرن ٩م : –

- Lapidus, op. cit. p. 260.
- Bulliett, Conversion to Islam in the Medieval Period (Cambridge 1975).
- Brett, The Spread of Islam in Egypt & North Africa (London 1973).

(٢) راجع تفاصيل ذلك فى كتابنا : " تاريخ كنيسة الخمس المدن الغربية " .

(3) Martin. op. cit. p. 35.

الشديد بأسرهم وصداقاتهم المسيحية ، وأنهم كانوا يتظاهرون بقبول الإسلام لمجرد الاستفادة من ميزات الانتساب إلى سُلطة مسيطرة .

وفى تلك المرحلة التى ندرسها ، نجد أن هناك تحولات للإسلام . أما بالنسبة للتحوُّل منه للمسيحية ، فكان أمراً خطيراً للغاية . فقد ذكر سيد بركات أحمد أنه لم يُعاقَب الارتداد بالقتل[1] ، رغم وجود حالات للقتل ، سُجلت فى تاريخ البطاركة ، وسنشير إليها عندما نصل إلى دراسة القرن الحادى عشر .

وعانى الأقباط من مشاكل – بدون سبب – من الحُكم الإسلامى ، كما ظهرت مشكلة السيمونية أو الشرطونية (Cheirotonia = أخذ المال من أجل الرسامة للكهنوت) فى عهد البابا قزمان الثانى ، وخليفته شنودة الأول (٨٥٨-٨٧٩) ، وذلك بسبب مُطالَبة الولاة المسلمين البطاركة الأقباط بأموال ضخمة . وقد حاول بعض البطاركة منع السيمونية ، بسبب آثارها الدينية السيئة ، ولكن لم يستطيعوا فعلاً .

وفى عهد البابا شنودة الأول زادت الضرائب على الأقباط، وبالتالى زاد الارتداد. وقد هرب هذا البابا نفسه عندما هددته الحكومة . كما ظهرت عدة هرطقات لهراطقة قدماء مثل أبوليناريوس وأوريجانوس وجوليان من Halicarnassus ، وبدعة أخرى تزعُم أن لاهوت المسيح قد مات مع الجسد !! وقد قاومها البطريرك شنودة الأول، بالتأكيد على الثبات فى الإيمان الأرثوذكسى.

كما عانى من شماس شرير رفض أن يُحقِّق له البابا طموحه برسامته أسقفاً، فشكاه زوراً للوالى. فألقاه فى السجن ، ولما ظهر الحق تم الإفراج عن البابا الحنون ، الذى سامح الشماس الشرير، ولم ينتقم منه !.

وفى نفس الوقت حاول ابن طولون التركى السيطرة على جهاز الحكومة فى مصر (من عام ٨٦٩م) ، وقد قام هذا الوالى بالضغط على البابا ميخائيل الثالث

---

(1) Sayed Barakat Ahmed, Conversions from Islam. (Princeton, 1989) pp. 6-7.

(٨٨٠-٩١٠م) للحصول على المال ، وبدون سبب مُوجِب لتعذيبه بـــالحبس[١] ، وساعد كبار الأقباط الأساقفة فى جمع نصف الفديـــة المطلوبـــة لابـــن طولـــون لإخراجه من السجن.

واضطر البابا ميخائيل أن يبيع بعض أملاك الكنائس فى الإسكندرية لســـداد نصف قيمة الفدية الباقى ، وتعهَّد بأن يدفع لكهنة الإسكندرية ألف دينار ســـنوياً . ولم يجد أمامه سوى السيمونية لاستكمال الفدْيـــة . ممـــا أوجـــد مشـــاكلاً بـــهذا الخصوص . فعندما تولى بعده البابا غبريال الأول - وكان فى الأصل راهباً بديـــر أبى مقار - كان عليه أن يفرض ســـيمونية، ليدفـــع المبلـــغ المســـتحق لكهنـــة الإسكندرية.

وقد وجد البابا غبريال نفسه مضطراً للاختباء بدير أبى مقار ، بعيـــداً عـــن أعمال البطريركية الإدارية . وكان غيابه عن أنشطة الكنيسة يدل على هبوط حاد فى دور البابا القبطى فى إدارة أمور الكنيسة. وهذا الانحدار يظهر فـــى كتـــاب تاريخ البطاركة، الذى لم يُشِر إلا بالقليل عن أعمال البطاركة الثلاثة الذين جـــاءوا بعد البابا غبريال ، والذين خدموا ٣٥ سنة . والأول منهم هو البابا قزمان الثالث، والذى كانت قد تمت رسامته مطراناً لأثيوبيا. وهنا يُذكر بـــأن هـــذه الكنيســـة - الأكبر فى إفريقيا - كانت لها علاقة قوية بأمها الكنيســـة المصريـــة منـــذ أقـــدم العصور حتى الخمسينيات من القرن ١٩م ، إذ كانت خاضعة لها .

وأصبحت اللغة العربية هى لغة الكتابة عند الكتبة الأقباط ، ومن أولهم أبـــو اسحق بن فضل الله ، الذى كتب تفسيراً عن نهاية العالم[٢] .

وتدلنا سيرة البابا مكاريوس أنه قد تمت رسامته ثلاث مرات ، الأولى فـــى الإسكندرية ، ثم فى دير أبى مقار، ثم فى العاصمة (القاهرة) . وقد تأثَّر هذا البابـــا

(١) كانت هناك دسيسة بأن البابا غنى ويكتنز الثروات. وكان ابن طولون يحتاج لمـــال كثـــير لتمويل حملته الحربية ، للإستيلاء على الشام ، وضمه لمصر .

(2) Khalil Samir, Abu Is`hak ibn Fadlallah, in Coptic Ency.

عندما كلمتّه والدته عن ثقل المسئولية الواقعة على كاهله بصفته مسئولاً عن الشعب القبطى ، ولذلك لا ينبغى له أن يفرح بعِظَم المنصِّب[١] .

وأما المسكين ثيؤفانيس (Theophanes) الذى خلف مكاريوس ، فقد أصيب بلوثة من الجنون ، ومات عام ٩٢٦م ، بعدما عانى من كهنة الإسكندرية ، الذين ألحوُّا فى طلب الألف دينار ، التى كان يدفعها لهم البطاركة السابقون !!.

وخلال الخمسة والثلاثين عاماً السابقة – والمجهولة – فإن الوالى "**الإخشيد**" سيّطر على حكومة مصر. ثم ترك أبناءه الصغار فى يد المعلم الحكيم السودانى " **كافور**" . ومن بين مشاهد الكُتاب الأقباط بالعربية – فى مصر – يهودى سريانى تحول للمسيحية على يد طبيب مسيحى . وهو عبد المسيح الإسرائيلى ، وكان نابغاً فى الرياضيات والفلسفة[٢] ، وهو مايدل على ازدهار الأقباط ثقافياً ، رغم وجودهم فى عصور الظلام !!.

وحَكَم كافور بأمانة من ٩٤٦-٩٦٨م . المرة الأولى بصفته وصياً على أبناء الإخشيد . ثم باسمه شخصياً . وكان الطولونيون والإخشيديون قد ساعدوا على عودة مصر للرخاء ، ولم يكونوا قساة على المسيحيين ، وتلاهم الفاطميون ، الذين أفادوا البلاد (ماعدا عشر سنوات من عهد الحاكم بأمر الله) وعلى العموم ساعدوا على نمو الأقباط ، كما سنرى فى الفصل التالى .

+ + +

---

(١) قال ذهبى الفم : " عجبى على رئيس يخلُص " ، وقال أيضاً : "الرأس كثير الأوجاع " .

(2) Khalil Samir, Abdal- Masih al-Israili, Coptic Ency.

الفصل السادس

الكنيسة القبطية فى أيام الفاطميين
والأيوبيين (من ٩٧٠-١٢٦٠م)

بدأ حُكم الفاطميين لمصر سنة ٩٦٩م وامتد نحو قرنين، ظهر فيهما الرخاء الاقتصادى والزراعى والصناعى. وزادت الاستفادة من موقع مصر الإستراتيجى للتجارة . وأصبح الأزهر هو مصدر العلم الإسلامى الشيعى الإسماعيلى ، ودون تعصب لباقى المذاهب الإسلامية . وصارت القاهرة الجديدة عاصمة للعِلم العربى.

وكان الخليفة " **المعز** " قد أرسل – من تونس – قائده " **جوهر** " (الصقلى) لغزو مصر سنة ٩٦٩م،فاستولى عليها، وشيد القاهرة كعاصمة للخلافة الفاطمية، وبنىَ جامع الأزهر. وجاء المعز لمصر سنة ٩٧٣م واستقّر بها .

وكان مجئ جوهر ، فى عهد البابا مينا الثانى (٩٥٦-٩٧٦) . ولا نعرف عنه الكثير.ولكننا نقرأ فى سيرته أن الحُكم الفاطمى أعاد تعيين وزير كافور المسيحى،واستخدم كبار الأقباط فى الإدارة والحُكم ، لكفاءتهم المالية والإدارية، عن غيرهم من المسلمين[1] .

واختيار البابا ابرآم بن زرعة (٩٧٦-٩٧٩) ربما كان بتأثير فاطمى[2] . وقد تم اختياره فى اجتماع للأساقفة ومن كتبة القاهرة، وكانوا علمانيين متعلمين ، ومن كهنة من الإسكندرية ، وكان لهؤلاء الثلاث مجموعات نفوذاً فى الكنيسة فى ذلك الوقت .

---

(1) De Lacy O'Leary, A Short History of the Fatimid Khalifate (London 1923) p. 113.

(٢) ليس ذلك الافتراض صحيحاً ، وإن كان ابن زرعة صديقاً للمعز، قبل رسامته .

وكان ابرآم تاجراً سريانياًمشهوراً فى القاهرة بكرمه. وكـــان مُعجبــاً بــه المسيحيون والحُكام المسلمون أيضاً ، من الذين تعاملوا معـــه . وبعــد رســامته ظهرت تقواه فى إلغاء السيمونية ، وقلل المبلغ المقرر لكهنـــة الإســكندرية إلـــى ٥٠٠ دينار ، وحرَم الأراخنة (archons) الأقباط الذيـــن كـــانت لـــهم ســرارى (Concubines) (ربما تقليداً لأصحابهم المسلمين الذين كان مسموحاً لهم بـــزواج أربعة نساء) !!.

وقد كانت له صداقة مع الخليفة المعز، الذى كانت له مودة مع الأقباط ومـــع غيرهم من المسيحيين. وقد أصر الخليفة "**العزيز**" على سُكنى الأنبا إبـــرآم فـــى القاهرة .

وفى عهده ظهر القديس " ساويرس " أسقف الإشمونين، الذى ألفَّ عدة كتــب لاهوتية للأقباط ، ووضع الجزء الأول منّ كتاب تاريخ بطاركـــة الإســكندرية ، والذى ظل يحمل اسمه بعد رحيله من العالم (رغم أن البعض قد استكمله)[١] .

وفى سيرة البابا إبرآم بن زرعة السريانى (البطريرك القبطى ٦٢) نقرأ عــن معجزة نقل الجبل (المقطم) بالصلاة ، ولم تُنسَب لهذا البابا العجيب ، وإنما لناسِـك مسكين ، غير معروف الاسم[٢] ، والذى كانت تقواه سبباً فى بصيرته، لتشـــجيع البابا، وبالإيمان تم تحرُّك الجبل لأعلى.

وفى سيرة البابا أيضاً أنه تشفع لدى الحاكم (المعز) ليسامح شـــيخاً مســلماً اعترض على إعادة بناء كنيسة مُصرّح بها (وألقى نفسه فى الأســـاس ، وأصــرَّ الخليفة على ردمه عليه، ولكنه سمع لإلحاح البابا) .

وبعد نياحة البابا إبرآم ، تولى البابا فيلوثاؤس (Philotheus) وجلـــس علـــى الكرسى المرقسى ٢٥ سنة، حتى عبرَت الألف سنة الأولى . وكانت قلايته (مقــر

---

(١) راجع كتابنا : " تاريخ بطاركة الإسكندرية " لساويرس ابن المقفع (طبعة المحبة) .

(٢) فى المصادر القبطية هو القديس العفيف **سمعان الخرّاز** (الدبّاغ) .

إقامته) فى بلدة " دمرو " من عام ٩٧٩-١٠٠٤م. وكان على النقيض من سابقه السخى فى العطاء، فقد مال فيلوثاؤس للسيمونية، وعاش فى ترف حتى انتقاله للعالم الآخر. واستولى إخوته بالجسد على ماكان لديه من مال، قبل أن تأخذه الكنيسة !!.

وفى هذه الفترة ، آمن شاب مسلم بالمسيحية[١] ، وطلب من كاهن الإجابة عن أسئلته وأتى له بالأناجيل وكُتب الكنيسة (العهدين القديم والجديد) وترجمتها له من القبطية إلى العربية ، مما يدل على أنها تُرجِمت تدريجياً للعربية .

وقد عيَّن الخليفة العزيز (٩٧٥-٩٩٦) المسيحى "أبو الفضل عيسى بن نسطوروس" وزيراً للمالية لمدة عشرين سنة، وكان قد سبق طرده مع مسيحيين آخرين، ثم دفع فدية ضخمة وصار مديراً لأملاك الشاب :"الحاكم" ولكنه عانى مثل بقية المسيحيين، وتم قتله ونال إكليله، لتمسكه بإيمانه المسيحى سنة ٩٩٧م[٢].

وكان فى تلك الفترة كثير من الأطباء الأقباط المشهورين بعلمهم ، ومن أشهرهم (١٠٠٣) " أبو الفتح بن سهلان " الذى توّسط للعاملين الأقباط. وأما البابا **زكريا** (١٠٠٤-١٠٣٢) فقد كان طاعِناً فى السِن قبل رسامته ، وكان مشرفاً على كنائس الإسكندرية . وحل دور كهنة الإسكندرية فى اختيار البابا الجديد .

وكان إنسان مشهور قد اختير، ولكن رفضه الأساقفة ، ووقع الاختيار على زكريا المسكين ، بسبب رغبتهم فى السيطرة عليه !!.

بينما يذكر كتاب تاريخ البطاركة أنه قد اُختِير ، بسبب معجزة حدثت أمام الآباء الحاضرين . فقد حدث أنه بينما كان نازلاً من درجات سلُّم أن سقطَت من يده جرة خمر ، ولم تتكسر أو ينسكب منها شئ !! .

---

(١) هو الواضح بن رجا ، وقصة إيمانه وخدمته موجودة فى كل المصادر القبطية التاريخية ، وهو بانى كنيسة دير الملاك القبلى الحالية (بمصر القديمة) .

(2) André Ferré, Abu al-Fadl Isa ibn Nasturus, in Coptic Ency., 1991

وقد شهد البابا زكريا سبع سنين من الراحة ، قبل أن يتولى الخليفة الحـــاكم بأمر الله، الذى أثار الاضطهاد الشديد على الأقباط ، فتحوّل كثيرون إلى الإسلام. وعندما رفض سكرتير برجَوان - وأستاذ الحاكم - أن يترك المسيح ســنة ١٠١٣ قطع هذا الخليفة رأسه، ونال إكليله .

وقد تم سجن البابا **زخرياس** . ثم اختفى تسع ســـنوات ، فـــى أديــرة وادى النطرون، كما تم غلق الكنائس ٣ سنوات ، ولكن قبـــل واقعـــة اختفـــاء الحـــاكم الشهيرة سنة ١٠٢١م (ولا يزال الدروز بجبل لبنان يتوقعون ظـــهوره ثانيـــة) ، توقّف الاضطهاد . وتم السماح للذين تركوا الإيمان بـــالعودة للمســيحية ، وتـــم استرداد الكنائس ، كما أصدر الخليفة الظاهر (١٠٢١) قراراً لصـــالح الرهبـــان الأقباط سنة ١٠٢٤م[1] ، ومع ذلك تم قطع رأس أنبا زكريا سنة ١٠٢٥م[2] !!.

وكان اختيار خليفة للبابا زكريا ١٠٣٢ عن طريق اقـــتراح وزيــر مســلم بانتخابه بنظام القُرعة (Lot) ، ولكن الأساقفة وكبار رهبان أديرة وادى النطــرون اجتمعوا مع أهل الإسكندرية ، واختاروا **شنودة الثانى** ، الذى جلس على الكرسى المرقسى ١٥ سنة بائسة (١٠٣٢-١٠٤٧م) حيث كانت السيمونية هـــى القـــاعدة السائدة. وقد قاوم أهل أسيوط الأسقف المرسوم بالسيمونية ، ورفضوه بســـببها ، فتخلّى عن الكرسى بعد ثلاثة أعوام من المحاولة ، كما فشل فى استرداد المبلـــغ المدفوع للبطريرك !!.

وتمت رسامة البابا **خريستوذولوس** سنة ١٠٤٧م ، وكان كاهناً فى إيبارشـــية الفيوم ، وتمت رسامته فى دير أبى مقار. وكانت أهم التطورات فـــى منتصـــف القرن ١١م هى نقل البابا خريستوذولس كرسيه إلى القاهرة ، وصـــدور قوانيـــن للكنيسة[3] ، والخاصة بالعبادة والطقوس والكهنوت .. الخ .

---

(1) Stern, Fatimid Decrees (London 1964) pp. 15-22.

(2) André Ferré, Fatimids & the Copts, in Coptic Ency. 1991.

(3)KHS-Burmester, Canons of Christodoulus, LXVI Patriarch of Alex., in Le Muséon, 45 (1942) 71-84.

وفى سيرة البابا خريستوذولوس إشارة إلى شاب يُدعى "**فيبامون**" (Phoebammon) الذى تحوّل من الإسلام إلى المسيحية . ولما رفض التهديد، تم نيله إكليل الشهادة • ولم يكن القتل شائعاً فى مثل هذه الحالة .

وقد جبلت بطريركية خريستوذولس له المتاعب ، وخاصة عندما ركّز السلطة فى يده ، وعارضه الأساقفة[1] ، وحاولوا خلعه ، ولكن هذا النزاع تمت تسويته عن طريق مسيحى علمانى رفيع المركز (يتعجَّب المسيحيون الغربيون من تدخُّل كبار العلمانيين فى إدارة الكنيسة القبطية) !!.

كما تعرض خريستوذولس لنقد شديد من رهبان دير أبى مقار ، عندما أمر بعدم إبقاء أى جزء من سر الإفخارستيا (لمن يطلبه فى أى وقت) ولايزال هذا المنع سائداً فى الكنيسة القبطية[2] .

وطلب البابا من الأساقفة نصف دخلهم فى إيبارشياتهم ، حتى يتجنّب أخذ السيمونية . وبذلك جمع مالاً وفيراً . وذات مرة وجدوا فى خزينته " بدمرو " مبلغ ستة آلاف دينار ، فاستولت عليها الحكومة (لأنها مال ظلم بالطبع) .

وأرجع كاتب سيرته سبب متاعبه وتجاربه إلى الحياة العالمية التى عاشها كبار الموظفين الأقباط فى الحكومة ، ونتج عنها السلوك بالعجرفة والبَطَر ، والتى قادت – حتماً – إلى الحسد والعداوة من غير المسيحيين !!.

وكان الرخاء الذى عمَّ مشروعات الكنيسة – فى دمرو – قد أثار أحد الأشخاص. وشكا البطريرك للوزير ، الذى أمر بإغلاق الكنائس، وطلب المال

---

(١) كان الصراع قائماً على أساس رفض السيمونية وعدم قبول استيلائه على أموال الإيبارشيات ، بعد نياحة أساقفتها ، وتبعية الأديرة للبطريركية مباشرة .

(٢) كان التقليد الرسولى القديم بضرورة تناول كل الذبيحة المقدسة من خبز وخمر (سر الشكر) فى القداس ، ولم تكن الكنيسة القبطية تُبقّى منه شيئاً بعد القداس • وان كان الكاثوليك (فى روما) **يُبقون –للآن – جزءاً** ، لمن يطلبه فى أى وقت !!.

من البابا والأساقفة . وكان المطلوب منهم ٧٠ ألف دينار ، مما أثار المتاعب للمسيحيين . ولما حلّت المتاعب بالمتزعمين للحركة ضد الأقباط ، تم تخفيض المبلغ إلى النصف ، عن طريق توسُّط حاكم صديق للأقباط . ودفَع نصفه الملكانيون.

ويبدو أن متاعب خريستوذولوس لم تكن لها نهاية . فقد إتُهِّم زوراً بأنه يتصل بالأثيوبيين ضد مصر . وقد تم كشف المُدعِى كذباً ، وتقرر إعدامه . ولما عرف البابا بهذا الحُكم قال للوالى :" لا يحق لنا - حسب ديننا - أن نقتل أو نعامل الشر بالشر ، ولكنك أنت السلطان ، وأن السلطة لله ولك".

ومات البابا خريستوذولوس سنة ١٠٧٧م فقيراً (رغم سعيه الدائب لتولى المنصب الرفيع ، ومحاولة جمع المال بكافة الطرق) !!.

وكان كاتب هذه السيرة هو موهوب بن منصور بن المُفرِّج[1] ، وكان شماساً إسكندرياً ومعاصراً للبابا خريستوذولوس ، وكان أخوه قد مات شهيداً سنة ١٠٨٦م ، وكان أخوه مسئولاً عن حفظ رأس مارمرقس الرسول ، وهو الواجب الذى ورثه عن أبيه . وكان متزوجاً وغنياً، واستطاع أن يدفع لخريستوذولوس الفدية ، وكان فى خدمة القائد الفاطمى " بدر ". ولم يكتفِ موهوب بكتابة التاريخ المعاصر له ، وإنما جمع وترجم معلومات من عدة مصادر قبطية .

وبعدما يسجل تاريخ حياته كشماس ، يتحدّث عن حبيب ميخائيل ، الذى كان من دمنهور ، وقد ساعده فى ترجمة وإعداد السير من القبطية إلى العربية ، والتى أنتهى منها عام ١٠٨٨م ، كما ذكره بنفسه .

كما نستخدم مصدراً آخر لهذه المرحلة ، وهو كتاب : " تاريخ الكنيسة " الذى أعده سعيد بن بطريق - المشهور باسم " إفتيخيوس " ، الذى كان هو البطريرك الملكانى (الرومى) فى مصر (٩٣٣-٩٤٠) .

---

(1) Den Heijer, Mawhub. in Coptic Ency.

ورغم أن يومياته (Annals) لها فائدة تاريخية[١] ، فإن مصداقيته محل نقد حاد . فقد ذكر المؤرخ جون ماسون نيل (Neale) : " إن أهم صفات المؤرخ لا تتوفر في افتيخيوس " ولكنه يستدرك قائلاً : " إلا إننا مَدينين له بمعرفة أحوال الكنيسة الماكانية في مصر[٢] في زمانه " .

كما أن مسألة علاقة ابن بطريق بهذه المادة التاريخية غير واضحة ، وربما كانت هناك أمور متوازية ، بين نسب يومياته إليه، ونسب تاريخ البطاركة للأسقف " ساويرس" (ابن المقفع)[٣] (Severus) .

وكانت مدة الثلاثين سنة التي قضاها خريستوذولوس بطريركياً كلها متاعباً في مصر. حيث ثار الصراع بين جنود الخليفة المستنصر (الفاطمي) السودانيين، التي أيدتهم أم الخليفة الزنجية ، وقائد جيشه التركي المُنافِس له ، والذي سنده حلفاؤه من بربر شمال أفريقية ، الذين كانوا يدُمرّون كنائس الريف والأديرة القبطية ، وقد تم اغتيال ٣٦ راهباً (١٠٦٦-١٠٦٧) بالقرب من الأشمونين[٤] (بالمنيا) .

ثم جاء القائد بدر الجمالي الأرمني – من عكا سنة ١٠٧٤م – وأعاد الأمور إلى أحوالها الطبيعية . فكان من الطبيعي أن يتم تعيينه قائداً للجيش، وحاكماً مدنياً. وظل هكذا قائداً لمدة عشرين سنة (وتلاه إبنه الأفضل مدة خمسة وعشرين سنة أخرى) .

---

(1) Found in Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium, Ser. 3, vol. 7, ed. Cheiko (Beirut 1909)

(2) Neale, A History of the Holy Eastern Church (London 1847) vol. 2 p. 182.

(٣) ويذكر البعض أن ابن المقفع قلّد ابن بطريق في إعداده تاريخاً للأقباط ، ولأصلاح أخطائه التاريخية .

(4) André Feer, Fatimids, in Coptic Ency.

وقد أحلّ بدر الجمالى السلام والأمن فى مصر . وكانت تنظيماته الحربية والإدارية قد أجلت سقوط الدولة الفاطمية لمدة قرن . كما كان حكمه مفيداً للأقباط . وقد امتدحه كتاب تاريخ البطاركة . وقيل إنه كان يوقّر البابا خريستوذولوس ، وقد كان من والدين مسيحيين ، وكان متسامحاً مع كل المسيحيين ، مع أنه كان من الطبيعى أن يميّز الأرمن الأرثوذكس (بنى جنسه) والذين لم يقبلوا مجمع خلقيدونية مثل الأقباط .

وكان البابا التالى هو **كيرلس الثانى** (١٠٧٨-١٠٩٢م) وقد أُطلِق عليه لقب " قديس " . وكان راهباً بدير أبي مقار ، وقد حاول باتضاع أن يستبعد نفسه من الرسامة، معلناً أنه ابن زوجة ثانية ، وهو أمر غير شرعى (والقبطي يمكنه أن يتزوج مرة ثانية بعد موت زوجته ، ولكنه لا يُنظَر لهذه الزيجة الثانية نظرَة الزيجة الأولى).

وعندما وصل إلى القاهرة استقبله الخليفة وبدر الجمالى بتكريم ، واتخذ مقره فى جزيرة الروضة ، أمام حصن بابيلون . وعارض السيمونية ، ولكنه - مثل فى خريستوذولس - رتّب مع الأساقفة لإرسال نصف دخول كنائسهم للبطريركية ، وخصص هذا الدخل لعدة مشروعات وأديرة قبطية.

ولم يكن كيرلس (الثانى) متعلماً ، ولكنه ثقّف نفسه بدراسة الكتاب المقدس وتفسيره . ولم تكن له خبرة بأمور العالم ، وقد تحداَّه بعض أساقفة الوجه البحرى ، الذين أرادوا السيطرة عليه .

وعقد بدر الجمالى مجلساً ضم البابا مع ٤٧ أسقفاً ، لحل الإشّكال . وتم الاتفاق على إعداد قوانين جديدة ، ولكن أساقفة الصعيد فضلُّوا السير على القوانين الكنسّية القديمة .

وقد جاء كثير من الأرمن إلى مصر ، وبنوا كنائساً لهم فيها ، فى عهد بدر الجمالى الأرمنى ، ورحَّب بهم الأقباط كأخوة لهم فى الإيمان الأرثوذكسى . وجاء بطريرك الأرمن إلى مصر وتعلّق بهم . وقد تم الاتفاق بين الأقباط والأرمن والسريان والأحباش وأهل النوبة على الإيمان الأرثوذكسى، ورفض آراء نسطور والبابا ليو ، ومجمع خلقيدونية (٤٥١م) ولم تكن علاقات كل الأقباط مع بدر الجمالى سليمة .

وقد تم فرض عليهم ارتداء حزام أسود ، وزيادة الجزية المفروضة عليهم. كما وجدوه يستبد بهم ، إلى أن وصلت هدية من ملك النوبة المسيحية مع ابنه ، الذى أراد رسامته أسقفاً للنوبة .

وتمت رسامة البابا **ميخائيل الرابع** (١٠٩٢-١١٠٢) وهو راهب متعلم ومتوحد وكاهن ، فى متوسط عمره ، فاضل وعالم بتعاليم الكنيسة . وفى أيامه استولى الصليبيون (Crusaders) على أورشليم (القدس) وأقاموا دولة مسيحية بفلسطين ، وعاصمتها أورشليم (القدس).

ومن سخرية القدر ، أن هذا الوضع لم يصنع للأقباط خيراً،لأن كاثوليك الغرب اعتبروا الأقباط هراطقة، ومنعوهم من زيارة الأراضى المقدسة (الحج) !

وهناك إشارة موجزة – فى نهاية سيرة البابا ميخائيل – فى كتاب تاريخ البطاركة عن الحملة الصليبية الأولى ونصها : " لم يذهب الأقباط للحج (Pilgrimage) إلى أورشليم ، ولم يستطيعوا الاقتراب منها بسبب ما هو معروف عن الإفرنج (Franks) من حقدهم لنا ، وكذلك أيضاً عدم سلامة إيمانهم ، ومعتبرين إيانا غير أتقياء " !!.

وقد أساء الصليبيون بشدة إلى الأقباط ، ولم يفعلوا لهم خيراً ، وهذا ربما يفسر سكوت المصادر القبطية المختلفة عن الإشارة إلى الحملات الصليبية ، وبخاصة فى كتاب تاريخ البطاركة .

وعندما تم اختيار البابا ميخائيل طلبوا منه التوقيع على عدة شروط وهـي :
" منع السيمونية ، وأنه كبطريرك ليس سوى أسقف لمدينة الإسكندرية وأنه رئيس للأساقفة المصريين، وأنه ليس مشاركاً لهذه الأسقفيات " (فى دخولـها الماليـة) . ووقع عليها . ولكن بعد الرسامة تخلىّ عن الاتفاق ، واستبد بالأساقفة ، ولكنه لـم يستطع أن يُسيطر على الأسقف سنهوت بالقاهرة ، والذى كان يسنده الأراخنـة (بمصر القديمة) ، واضطر البابا ميخائيل أن يوقف جـهوده ضـده ، وإن كـان غرضه إيجاد فراغ فى القاهرة ، لكى يقـدر أن يقـوم بـدور أسـقف مصـر، والسيطرة على هذه الإيبارشية الهامة .

ونظراً لأن الخليفة الفاطمى فى مصر كان مُسيطراً علـى فلسـطين ، فقـد استولى الصليبيون عليها ، وعلى أماكن أخرى فى الأرض المقدسة ، ولـم يكـن الفاطميون فى قدرة حربية لطردهم منها . وقد انهزم الوزير الأفضل على يدهـم فى عسقلان ، كما فشلت محاولات أخرى لطرد الصليبيين . وفى عـام ١١١٨م ، استطاع بلدوين ملك أورشليم الصليبى أن يستولى على الفرما Pelusium (جنـوب شرق بورسعيد) ويدمرها ، وهدّد تنيَس Tinnis (صان الحجر بالشرقية) ، ولكـن مرضه وموته أنهى تهديده باحتلال مصر .

ولاختيار من يخلف البابا ميخائيل ، اجتمع رجال الكنيسة فى القـاهرة مـع رهبان من دير أبى مقار ، ودعوا الأساقفة وكهنة الإسـكندرية للتشـاور . وقـد اقتصر الترشيح على إثنين : مكاريوس العالم الروحى، ويوحنا الكـاهن الشـاب اللبق فى حديثه .

ومع أن مكاريوس حاول الهرب بتوضيح أنه ابن إمرأة ثانية، فقـد تمـت الموافقة على رسامته، على أية حال .

وأصبح الأفضل هو الحاكم الفعلى لمصر ، بعدما أعلن ابن المستنصر خليفـة بعد موته . وقد استقبل الأفضل البابا مكاريوس الثانى فى العاصمة . وأيضاً فـى

الإسكندرية . وقد تمت رسامته فى الكنيسة التاريخية " المعلقة " بمصر القديمة (التى لم تندمج فى القاهرة فى رأى الكاتب) وتمت قراءة رسالة رسامته باللغات اليونانية والقبطية والعربية ، مما يدل على وجود دور لليونانية فى ذلك الوقت!!.

وكان البابا مكاريوس خارج القاهرة، عندما تنيَّح الأسقف العظيم أنبا سنهوت أسقف مصر القديمة . لذلك رأس البطريرك الأرمَنى الصلاة عليه . وقد أُرسِلت عدة رسائل من كنيسة مصر إلى البابا مكاريوس ، بخصوص اختيار أسقف جديد. وترجع أهميتها إلى أنها تناقش الصفات المطلوبة عند رسامة أسقف فى ذلك العصر ، ومنها السن الناضج ، والالتزام بالحياة النُسكّية ، ومعرفة قانون الكنيسة، والقيادة الروحية المناسبة ، وحياة البذل، والتعليم والنقاوة والزُهد والتواضع ، والرحمة، والسلوك السليم .

ورفض البابا مكاريوس اتهامه بتأخير الرسامة لأسقف جديد (لمصر القديمة) ، موضحاً أن قانون الكنيسة يقول:" إن الشعب هو الذى يختار أساقفة وليس بمعرفة البطريرك". وقد تم اختيار أسقف مصر بالقُرعة من بين إثنى عشر راهباً مناسباً . وتمت رسامته بعدما وعد بتقديم نصف دخل الكنيسة للبطريركية. وأكثر من نصف ماورد فى سيرة البابا مكاريوس قد تم تكريسه لمحاولة التخلُّص من الأسقف الجديد !! ، كما أن اغتيال الأفضل قد تم وصفه بالتفصيل ، فى حين مر موت مكاريوس فى صمت !!.

وكان البابا **غبريال الثانى** من أسرة كبيرة مشهورة بالعلم فى مصر . وكان كريماً وفاضلاً ، وله خبرة إدارية كبيرة ومعرفة باللغتين القبطية والعربية . وبعد نياحة أسقف مصر لم يرسم هذا البابا أسقفاً محله ، وبدون شك كان ذلك للأهداف الأنانية السابق الإشارة إليها .

وقد تعقدَّت أمور الحكومة فى عهد البابا غبريال ، بعد اغتيال الوزير الأفضل سنة ١١٢١م ثم اغتيال الخليفة " الآمر " سنة ١١٣٠م . وقام الوزير

الجديد بالضغط على المسيحيين ، ونهب الكنائس ، وأمر بقتل البطريرك الأرمني ورهبانه ، وضاعف من الجزية على أهل الذمة ، وطرد المسيحيين من وظائفهم. وقام الوزير أيضاً بقتل رئيس ديوان العدالة ، المدعو أبو البركات بن أبي الليث[١] .

وقد رسم البابا غبريال ليس أقل من ٥٣ أسقفاً ، مما يدل على أن الكنيسة المصرية لم تزل قوية . وقد رفض السيمونية.ولكن كانت قراراته غريبة على الأقل . فقد رفض السيمونية لرسامة مرشح ، ولكنه لما عرف أنه كان غنياً ، وأنه ربما يتحوّل للإسلام ، رسمه لكرسي أسقفي آخر ، للاحتفاظ به وبماله (الكثير لكي يُستخدَم في ترميم الكنائس) .

وقد وقع الاختيار على البابا التالي **ميخائيل الخامس** ، الذي كان أُمياً ، ولكنه كان تقياً ، بدلاً من الكاهن المتعلم ابن كدرّان ، الذي كان يبحث عن هذه الوظيفة لنفسه.

وخلال شهور قليلة – بعد رسامته – رسم خمسة أساقفة ، وتم ترشيح **يوحنا الخامس** للكرسي المرقسي ، وخدم عشرين سنة حتى عام ١١٦٦م . وقد حاول ابن كدران الطُموح السعي مرة أخرى ، للحصول على المنصب الرفيع ، وتدخلت السُلطة لصالحه ، ولكن المسيحيين أوضحوا للخليفة أن تلك الوظيفة هي التي تسعى للإنسان ، وليس الإنسان هو الذي يسعى وراءها[٢] . ويجب أن يتصف المرشح للبابوية بالقداسة والعلم والسلوك الحسن والعفة وفعل الخير . وقد ربطوا يوحنا بقيد حديدي، لئلا يهرب.وطبقاً لما رواه أبو صالح الأرمّني ، مارَس يوحنا السيمونية ، وتدل سيرته على أن الأموال التي كان يأخذها عند

(1) André Ferré, Fatimids & the Copts, in Coptic Ency.

(٢) قال مار اسحق السرياني : " من هرب من الكرامة سعت إليه ، ومن سعى وراءها هربت منه ".

الرسامات كانت لإصلاح أبنية الكنائس. وقد ظهر مُصلِح فى ذلك الوقت هو الراهب القس" مرقس بن قنبر".

وكان يؤيد الاعتراف الخاص (على يد الكاهن)، والتناول عدة مرات من السر الأقدس ، والاحتفاظ بجزء من مادتى السر الأقدس (الأفخارستيا) ، وتغييرات جديدة فى أصوام الكنيسة ، ورسم علامة الصليب . وكان له معجبون كثيرون ، ولم تكن هذه الإصلاحات تبدو غريبة بالنظر للكاثوليك فى الغرب ، ولكن الكنيسة القبطية قد رفضت هذا الإصلاحات الدينية[١] .

وقد شهدت أيام عام ١١٦٠م تقلبات وتطلعات للسيطرة على المنطقة،وتشمل الصراع بين أماليريك (Amalric) ملك أورشليم (القدس) الصليبى ، وبين المغامر شاور ، لحماية الظهير السورى لشيركوه عم صلاح الدين (الأيوبى) .

وكانت نتيجة هذه الصراعات ، نهاية الحكم الفاطمى فى مصر ، وانتصار صلاح الدين الأيوبى، وتعيينه وزيراً . ثم قيام السلطة الأيوبية .

وكانت الأسرة الأيوبية الحاكمة قائمة فى مصر على أساس حماية من جيش تركى وكُردى، ومن قواد أتراك ، وكانوا يستطيعون - أحياناً - السيطرة على السلطان نفسه[٢] .

وقد ساد النظام " **الإقطاعى** " فى مصر • وكان استيلاء الطبقة الإرستقراطية على إيعاديات واسعة ، قد أعطى الأقباط الفرصة للخدمة فى هذا المجال[٣] .

ومع ذلك ، فإن مصر ظلت - فى الواقع - مملكة متحدة وقوية ، وأكبر قوة إسلامية فى الشرق الأدنى ، وأكبر حصن للإسلام ضد الغرب . واعترفت بالخليفة العباسى فى بغداد، وتبعت المذهب السُنى ، وأنشأت مدارس سُنية لنشره

---

(1) Vincent Frederick, Murqus ibn Qanbar in Coptic Ecy., 1991.

(2) Lewis. The Arabs in History (New York 1967) pp. 154-155.

(3) Sobhi Labib, Mark lll, in Coptic Ency.

ومحاصرة الأفكار الفاطمية (الشيعية) وتحويل الأزهر إلى مقر لتدريس المذهب السُنى، بدلاً من الشيعي.

وتبدأ سيرة البابا مرقس الثالث بموجز لتاريخ الحكام الفاطميين ، ثم تمتدح صلاح الدين (الأيوبى) وتشرح نظام حكمه . كما تسُجل خطابات إسلامية رسمية تصف الصليبيين بأنهم " مُشركين ومُلحدين " .

ويتعاطف كاتب السيرة بوضوح مع المسلمين فى كفاحهم ضد الصليبيين، وأن جهود صلاح الدين للسيطرة على سوريا علاوة على مصر جعلته الخصم الأول للصليبيين ، والأكثر نجاحاً فى غلبتهم ، وأنه بعد استرداده أورشليم من يدهم سنة ١١٨٧م أصبح من الممكن أن يحج الأقباط إليها .

وفى عام ١١٧٣م أرسل صلاح الدين أخاه – على رأس حملة حربية – إلى جنوب النوبة ، ربما ليصنع له ظهيراً للحماية من الصليبيين أو من أى منافس للمسلمين . واستولى شمس الدولة على قصر إبريم وتحرك فى النيل نحو دنقلة عاصمة النوبة ، ولكن انسحبت الحملة وحل السلام فى النوبة لمدة مائة عام أخرى .

وفى الأيام الأولى لصلاح الدين ، والبابا مرقس الثالث ، تعرَّض المسيحيون إلى أردأ مضايقة فى اللبس وركوب الدواب ، وبناء الكنائس. وقد حاول السلطان – رغم عدم نجاحه – فى الاستغناء عن الأقباط ، وقد تسبب التضييق على أقباط القاهرة فى تحوُّل كثيرين للإسلام ، ومنهم بعض الكتبة المشهورين فى الدولة.

ولكن بعد ذلك غيَّر صلاح الدين من سياسته ضد الأقباط . لذلك كان الأقباط فى حالة أفضل من قبل . وقد أرجع كتاب تاريخ البطاركة ذلك إلى بركة صلوات البابا مرقس ، وإلى صبر المسيحيين ، وإلى رجوعهم إلى الله وطاعتهم لرئيسهم (البابا) ، ولكن فى الواقع كان هذا التغيُّر لإدراك أهمية الأقباط لحكومته، ولقلة تعاطفهم مع الصليبيين زملائهم فى المسيحية ، والذين عاملوا الأقباط مُعاملة سيِّئة، خلال وجودهم فى الشام .

وقد تم ترميم الكنائس ، وحلت بها نهضة معمارية فنية كبيرة. وبعد موت البابا مرقس سنة ١١٨٩م بخمسة أسابيع ، تمت رسامة إنسان علمانى مُتدَين وسخى وبتول، وحمل اسم "يوحنا السادس".وضد رغبته ، وبناءً على رأى الأراخنة فى القاهرة ، والأساقفة الذين حضروا ، وأول متاعبه كانت فى اختيار مطران لإثيوبيا ، وفى مخالفته ، ومخالفة إثنين من رهبان دير أبى مقار ، ودخل ابن السلطان وخليفته - الكامل - فى الجدال لصالح البابا[١] .

وحكم الملك الكامل مصر من ١٢١٨ إلى ١٢٣٨م ، وفى أيامه زاره القديس فرنسيس الأسيسى ، وحاول الصلح بينه وبين الصليبيين بدون جدوى . وكانوا قد أدركوا أهمية مصر كمركز للمقاومة الإسلامية فى فلسطين ، فتحولوا إلى غزو مصر سنة ١٢١٨م ، ولكن تم ردهم على أعقابهم سنة ١٢٢١م بعد نجاح محدود للصليبيين فى البداية .

ومن آخر وأعظم إنجازات السلطنة الأيوبية هى إحباط محاولة الحملة الصليبية غزو مصر - بقيادة القديس لويس ملك فرنسا - من ١٢٤٩-١٢٥٠م .

ومن النساء الشهيرات " **شجرة الدُر** " (Shajar) التى قادت الحكومة خلال حملة الدفاع عن مصر ، ضد الصليبيين ، وحكمت باسم زوجها السلطان الراحل (نجم الدين أيوب) إلى أن وصل ابنها من العراق ، ولكن تم القضاء على الأسرة الأيوبية ، وتولى المماليك الحُكم فى مصر من ١٢٦٠ حتى ١٥١٧م .

وكان الاضطراب (السياسى) فى هذه العقود الأخيرة للحكم الأيوبى يوازيه فى البداية - فى الكنيسة القبطية - فترة خلى فيها الكرسى المرقسى من البابا (interregnum) نحو عقدين من الزمن ، بسبب مكائد داود بن لقلق ، الذى أراد أن يصير بطريركاً (رغم إرادة الشعب والآباء) ثم بقائه بطريركاً لمدة ٨ سنوات، وتبعها خلو آخر للكرسى البطريركى لمدة ٧ سنوات بعده .

---

(١) راجع تفاصيل ذلك فى كتاب تاريخ البطاركة للأنبا ساويرس (من إعدادنا وطبع مكتبة المحبة) .

ويبدأ مؤرخ سيرة البابا يوحنا السادس – الذى كتب سنة ١٢٢١م – بذكـــر سلوكيات داود ومحاولاته الأولى ليكون مطراناً لأثيوبيا. ثـــم ليكـــون بطريركـــاً (وينتهى بالصراع الحربى بين السلطان والصليبيين ، وتركز حـــول استيلائهم على دمياط سنة ١٢١٨م) .

وقد تم العثور على مخطوطة عربية (فى باريس) وتصف ماحدث للأقبـــاط فى العصور الوسطى ومنها ١٨ ورقة، عما حدث من صراع دام ثلاث ســـنوات بين الملك الكامل والصليبيين . وماعاناه الأقباط خلال تلك الحرب من الصليبييـــن والمسلمين ، ومن نتائجه تحوُّل عدد منهم للإسلام ، للهرب من القيـــود الشـــديدة التى قد فُرِضَت عليهم[1] .

وفى عام ١٢٢٨م زار الملك الكامل دير أبى مقار ، وكان كرمـــه وعطفـــه على الرهبان قد جدد الموقف الكريم الذى اتبعه بعض الفاطميين تجاه الأقبـــاط . ولما طالبه الرهبان برسامة بابا، وعدَهم بالموافقة على رســـامة مـــن يختارونـــه بدون دفع أية رسوم، ولكن كان الوضع مُعقداً ، فقد كان لابن لقلق أعوان أقويـــاء وخصوم كثيرين من الأساقفة والرهبان ومن كبار العلمانيين من رجال الحكومة ، وعرض البعض وساطتهم لحل النزاع لقاء مبلغ من المال بالطبع.

وبعد عشرين سنة من " الزيف والانقسام والاحتيال " (من ابن لقلق) !! تمـت رسامته باسم البطريرك كيرلس الثالث. وقد مارس السيمونية (دفع مـــال مقـــابل الرسامة) مُفسِراً لجوءه إليها ، لأنه لا بديل عنده لسداد المبلغ الكبـــير المطلـــوب للحكومة. وكان تصرفه أيضاً غير صَائب – وعلى سبيل المثال – قيامه برســـامة مطران لأورشليم (القدس) مما عادَى بذلك بطريرك إنطاكية، الذى كـــان حليفـــاً طبيعياً للكنيسة المصرية فى الإيمان الأرثوذكسى (ضـــد الخلقيدونييـــن).وكـــانت أورشليم تابعة للبطريرك السّريانى (بما فيها من رعايا أقباط) .

(1) Mss. Arabe 302, in Bibliothèque Nationale, (Paris), folios 287 verso to 355 rect, publ. De la soc. d'Arch. Copte, 1974.

وقد بُذِلت جهود مُكثفة لاستبدال ابن لقلق ، وذلك بسبب السيمونية ورسامة مطران لأورشليم ، ورسامة مرشحين غير مناسبين ، وترف الملبس ، والاستيلاء على عوائد الكنيسة . وقد اضطر إلى الموافقة على اتباع قانون الكنيسة وتغيير سلوكياته . ثم مات سنة ١٢٤٣ بدون مسحة القداسة ، وغير مُبَّكى عليه !! .

وقد كانت نظرتنا للكنيسة القبطية من سنة ٩٧٠م إلى سنة ١٢٦٠م قد تركزت – بدرجة كبيرة – على تاريخ البطاركة ، لأن المصدر الأساسى عندنا هو كتاب تاريخ البطاركة ، ولأن الحُكام المسلمين وجدوا أن من المناسب لهم التعامل مع الأقباط من خلال بطريركهم ، والأتيان به إلى العاصمة المصرية لهذا الغرض .

واختلفت طرق اختيار البطاركة الأقباط ، فقد تمت رسامة علماء وأميين ونُسَّاك ، ومحبين للمال ورهبان وتجار وكهنة وشمامسة وعلمانيين ، من المتضعين وممن المتعجرفين . والبعض قد اختيروا بالقوة. والغالبية بحذر وتعقّل وبناءً على قداستهم ، أو لمعجزات حدثت عند الاختيار . وقد اشتهروا بعمل الخير ، كما يُفترَض فيهم . وكانوا من ذوى التقوّى ، حتى فى أردأ أيام الكنيسة القبطية ، التى جعلتهم مُعرَّضين لمشاكل كثيرة ، كما رأينا من قبل .

ورغم أن الأديرة قد شهدت دماراً كبيراً – وأحياناً ذبحاً للرهبان – لكنها لم تختفِ أبداً . وبكل قوة ربطت الأقباط بعصرهم الذهبى ، فى التكريس والالتزام . ومعظم الرهبان كانوا من العلمانيين ، وكانت الأديرة هى التى تمد الكنيسة غالباً بالأساقفة ، وقد احتفظت بالقليل من السجلات عن تاريخ الكنيسة القبطية فى العصور الوسطى .

ولكن لسوء الحظ ، لا نعرف سوى القليل عن الأساقفة . ويوجد لدينا بعض القوائم والأسماء ، وبعض الإحصاءات ، التى تدل كلها على أن الأسقفية

المصرية استمرت أن تكون متينة. ومن أشهر الأساقفة العالم القديس سنهوت أسقف مصر القديمة • وساويرس أسقف الأشمونين، العالم اللاهوتى الكبير .

ويقول موريس مارتن :" إن الأساقفة كانوا ينتمون إلى عائلات غنية وشهيرة[1]". (وإن كانوا غالبا من بين رهبان الأديرة) . وإن رأينا أن جماعات من الأساقفة ، قد حاولوا أن يجعلوا " بطريركهم " يسير كما يعتقدون أنه ينبغى أن يكون . كما رأينا إشارات إلى أن أعضاء الكنيسة بالإيبارشية – من الأراخنة – كانت لهم القرارات الحاسمة فى اختيار أسقفهم .

أما كهنة الإيبارشيات فمعلوماتنا عنهم ضئيلة . وكانت مسئولياتهم محلية ، وأنهم كانوا يمكثون فى نفس المكان (عدم نقل الكاهن من الكنيسة المرسوم عليها)، لذلك لم يكن أحد يعلم عنهم شيئا خارج مجتمعهم . وكان عليهم حفظ غيبيا الأجزاء المفروض أن يتلونها فى القداس . ودرجاتهم الدينية هى التى تحدد نظام خدمتهم فى الكنيسة.

وقد زادت أهمية الأراخنة (الأعضاء العلمانيون) – فى الواقع – لقيامهم بالأنشطة المالية للكنيسة ، ولأنه لا غنى عنهم للعمل الرسمى، من حكومة إلى أخرى . ورغم صعوبة القرن الثالث عشر ومتاعبه للأقباط ، **فقد صار أعظم قرن للأدب القبطى العربى**[2] . فقد قام الأسقف بطرس ساويرس الجميل بكتابة أول سنكسار قبطى فى بداية هذا القرن ، أو ربما قبله .

وأما أبو المفضال بن العسال ، الذى حمل لقب " فخر الدولة " ، كان والد كتبة أقباط ، فى بداية القرن ١٣ . وكان من أسرة غنية بالقاهرة.وتزوج مرتين وأنجب منهما أطفالاً ، من بينهم أربعة أبناء ، وكان لهم دور فعّال فى النهضة (renaissance) القبطية فى القرن ١٣

---

(1) Letter from Maurice Martin, 9 June, 1992.
(2) Aziz Atiya, Copto-Arabic Literature, in Coptic Ency.

وأسماء الأبناء: **أولاد العسال** " وكانوا مجموعة من العلماء الكُتّاب في محافظة بني سويف ، ولهم دراية بقواعد اللغة القبطية.وتُراثهم يمثل حضارة الأقباط في العصور الوسطى الإسلامية .

وألف **الصفى بن العسال** قانوناً للكنيسة في عهد (كيرلس الثالث) وصار أساساً لقانون الكنيسة المصرية ، والأثيوبية[١] . وقد شرح عدة مبادئ مسيحية – بدرجة مقنعة – حتى أنها كانت تجد استجابة لدى المسلمين في القرن ١٧م . وقد دعاه سمير خليل : " أعظم مدافع قبطي في العصور الوسطى ، وأحد أعظم المدافعين المسيحيين باللغة العربية " .

وفي نفس الوقت ، كتب الأسقف **يوحنا السمنودى** كتاباً عن قواعد اللغة القبطية ، وبياناً شرح فيه كتب الكنيسة (بما فيها الكتاب المقدس). وكَتَب الطبيب والكاهن أبو الخير الرشيد بن الطيِّب ملخصاً للعقيدة المسيحية، وكتباً أخرى للدفاع عن الإيمان المسيحي. كما كتب ابن العميد – الملقب ابن المكين – كتاباً في التاريخ العام[٢] .

أما الأسعد أبو الفرج هبة الله بن العسال ، فقد كان إدارياً عظيماً ، وعمل ترجمة جديدة للأناجيل إلى العربية. وكتب كتاباً عن الرسول بولس ، وكتاباً عن قواعد اللغة القبطية .

---

(١) كل مافعله ابن الغسال هو أنه جمع كل القوانين الكنسيّة وقوانين الملوك (البيزنطيين) والطوائف ، وهو مالا تأخذ به الكنيسة المصرية ، بصفة عامة. وكان سكرتيراً للجنة التي وضعت قوانين ابن لقلق.

(٢) وهو الذى أكمل به تاريخ الطبرى ، واستفاد منه المؤرخ المقريزى ، كما أنه وضع كتاب: " الحاوى " . وهو موسوعة روحية (راجع كتابنا : " موسوعة علوم الدين ، لأبن المكين طبعة مكتبة المحبة .

وكان كل هذا النشاط القبطى الأدبى ، خلالاضمحلال الدولة الأيوبية ، كما استمر العلماء الأقباط – فى كتاباتهم – خلال العصر المملوكى ، الذى حل بعد ذلك . وكانت الحالة التى عانت منها الحكومة والبطريركية القبطية فى منتصف القرن ١٣ مُحبِطَة للأقباط ، الذى صاروا أقلية واضحة .

وكانت الكنيسة المصرية على وشك الدخول فى قرون صعبة فى أيام حكم المماليك، ومع ذلك كانت قوية بدرجة كافية، لكى تحيا كأقلية هامة ، فى أسوأ أيامها .

وأما الفترة التى غطيناها – فى هذا الفصل – فقد تحولت لفترة اختبار ، ووقت اكتشفت فيه الكنيسة المصرية كيفية النجاح ، رغم أنها كانت كنيسة صغيرة (تسبح فى وسط بحر كبير من العالم الغير مسيحى) !! .

+ + +

الفصل السابع

الدولة المملوكية (١٢٦٠-١٥١٧)

• **المماليك** : عبيد من نوع خاص من الأتراك والشراكسة من شمال بحر قزوين والبحر الأسود ، وكان يتم شراؤهم وهم صبيان. ويُعاد بيعهم إلى أن يصلوا إلى البلاد المصرية . وكانوا طموحين فوصلوا إلى مراكز القُوَى في مصر ، وكانوا مسلمين متذمتين . وكان ولاؤهم للذين يشترونهم . واعتادوا على التدريب الحربى ، ولذلك كانوا محاربين أشداء .

ويتشابه النظام المملوكى مع النظام الإقطاعى الأوربى[1] . ونظام حكمهم دكتاتورى (استبدادى) ، وكانوا أحياناً يتعلمون العربية ولكنهم كانوا يتكلمون التركية ، التى كانت لغة الحكام .

ويُعتبر **بيبرس** أول حاكم مملوكى لمصر ، وهو من أصل مغولى . وقد وصل إلى الحُكم بقتل آخر الحُكَّام الأيوبيين ، ثم اغتال " قُطز " الذى كان قائداً وزميلاً له فى الانتصار على المغول فى فلسطين سنة ١٢٦٠م . وأقام بيبرس خليفة (صورى) فى مصر من أبناء العباسيين ، وكان يهدف بذلك لإعطائه دعماً شرعياً للحُكم ، ولكن لما قام الخليفة بحملة حربية لصالحه ، قام بيبرس بتحطيم الحملة والخليفة العباسي وأهله .

وأما بالنسبة لسياسة بيبرس نحو المسيحيين، فقد كانت شديدة لحدٍ كبير . فقد أرعب أهل الناصرة بتدمير كنيستها ، وأخلىَّ قرية مسيحية شمال دمشق من سكانها . ومن ناحية أخرى ، فقد سمح لبطريرك ملكانى بالعودة إلى كرسيه ، لأن الإمبراطور البيزنطى ميخائيل رمم مسجداً إسلامياً فى القسطنطينية .

---

(1) Irwin, the Early Mamluk Sultanate (1986) p. 11.

وقد قام بقتل قبطى كان قد أسلم ، ثم عاد لإيمانه ، متــــهماً إيـــاه بـــالضغط والإساءة إلى الناس[1] ، وكانت سياسة الحكام المماليك الخارجية ذات آثار ســـيئة على الأقباط .

عهد المماليك لتوحيد سوريا ومصر تحت إشراف مملوكى، لضـــرب المغـــول والصليبيين الغربيين . وفقد الأقباط مساعدة النوبة ، بعد تغلُّب المماليك عليها .

وقد نافست المدن الكاثوليكية – مثل البندقية وجنَوا – ممـــاليك مصـــر فـــى السيطرة على أسواق غرب آسيا . كما سيطَّر البرتغاليون المسيحيون على البحـــر الأحمر ، من يد المماليك ، فى آخر عقود حكمهم لمصر . كما عانى الأقباط مـــن الاضطهادات فى عهدهم .

وكان إيمان الكنيسة القبطية (الأرثوذكسى) قد جعل الصليبيين والإيطـــاليين والبرتغاليين الكاثوليك يعتبرون الأقباط بمثابة جواسيس وهراطقة . وكان كل هـــمْ قادة الكنيسة الكاثوليكية هو ضم الأقباط لهم ، ولكنهم فشلوا فى كل محاولاتـــهم ، لأن الأقباط اعتبروهم مُنحرفى العقيدة . ومع ذلك حاولت بعض المدن التجاريـــة الكاثوليكية الغربية مساعدة الأقباط ، فى التخفيف من الاضطهاد القائم عليهم[2] .

وقد استطاع المماليك القضاء على الصليبيين فى آسيا بحلول عـــام ١٢٩١م ، وتم إيقاف تهديد المغولى تيمورلنك فى أوائل القرن ١٥م[3] . واتجه المماليك إلـــى التجارة مع المسيحيين بدلاً من محاربتهم ، واستفادوا من موقع مصر الجغرافى.

ومع أن المماليك لم يكونوا فنانين ، لكنهم شجعوا الفن المعمـــارى حتـــى أن القاهرة تشمل آثاراً مملوكية جميلة ، خاصة وأن مصـــر كـــانت ملجـــأً للفنـــانين الهاربين من المغول من بغداد والموصل ودمشق. وبتشجيع المماليك انتقل الفـــن

---

(1) Adams Nubia op cit p 508

(2) Bosworth. The Protected Peoples. in Medieval Egypt & Syria. Bulletin of Jhon Rylands Library. 62 (1979). 12.

(3) Irwin. p. 53. calls Mamluks " a sort of Noah's ark for Eastern Islamic Culture ".

العربى من بغداد ودمشق إلى مصر ، التى صارت أهم مركز للحضارة العربية[1] .

وعاشت أيضاً الثقافة القبطية المسيحية ، وغلّفت الحضارة العربية ، واحتوتها بعد انحدارها فى العصور الوسطى .

ومن علماء الكنيسة – علاوة على ما سبق – **أبو شاكر بن الراهب** ، وكان إبناً لكاتب مشهور ، صار كاهناً بعد نياحة زوجته . وكان أبو شاكر شماساً فى المعلقة سنة ١٢٦٠م وكان يجيد القبطية والعربية . وقد كتب عن العقيدة والقوانين ، والتاريخ العام فى كتابه " **التواريخ** " . **وأبو الفخر المسيحى** ، الذى كان يهودياً وآمن بالمسيحية . وكتب تاريخاً منذ بدأ الخليقة. وكان " **ابن كبر** " من أسرة مسيحية غنية بمصر القديمة، وكان متمرساً فى القبطية والعربية ، وكان عالماً كبيراً فى العصر الذهبى القبطى الأدبى . وألّف قاموساً قبطياً ، وعمل سكرتيراً للأمير بيبرس المنصور ، ولكنه استقال من الحكومة سنة ١٢٩٣م ، وصار كاهناً للمعلقة[2] . **وبولس الحبيس** كان من عائلة من الكتبة ، وكان من كبار موظفى سوريا، ونقله السلطان المملوكى إلى مصر، ثم صار راهباً ، ثم توّحد فى مغارة بالقرب من حلوان بجنوب القاهرة . وكان غنياً ، وقد استخدم ماله فى فداء المسيحيين واليهود سنة ١٢٦٥م ، وقد نال إكليل الشهادة . وتولى البابا **يوحنا السابع** رئاسة الكنيسة القبطية، عندما وصلت أعداد أتباعها لأدنى حد.

وقد لاحظ أحد دارسى تاريخ مصر وسوريا فى عهد المماليك – فى بداية القرن ١٤م – أن وصول أخبار عن معاملة المسلمين ، فى أجزاء من أسبانيا ،

---

(1) Saunders, A History of Medilval Islam, (London, 1965) p. 183.

(٢) راجع مجلد كتاب ابن كبر " مصباح الظلمة فى إيضاح الخدمة " (من إعدادنا ، طبعة مكتبة المحبة) .

التى غلبها المسيحيون ، والخوف من التحالف المسيحى – المغولى فى الشرق ، وتأثيراتها على شعور المسلمين ، التى ألهبها رجال الدين المسلمين ، **قد أدت إلى ازدياد العنف ضد الأقباط** ، وبلغت قمته فى الأعوام ١٣٠١ ، ١٣٢١ ، ١٣٥٤ .

ويشير المقريزى إلى تدمير الكنائس والأديرة سنة ١٣٢١م وطرد موظفى الحكومة الأقباط من مكاتبهم ، وغلق أبواب الكنائس والأديرة .

ويقال إن القرن ١٤ كان هو عصر التدمير الحقيقى للمسيحية القبطية ، فزاد فيه التحول للإسلام . ومن ناحية أخرى ، يقول مؤرخ إسلامى رفيع المستوى : " إن القرن ١٤ – ككلٍ – كان فترة هدوء وسلام ، ولم يهدد المماليك عدو كبير . كما جلبت التجارة المزدهرة ثروة كُبرَى لمصر ، وعوائد ضخمة للخزانة العامة[1] " ، وإن كان هذا الكاتب يهمش الأقباط بسبب ماجرى لهم من خراب فى كل مكان . ورغم أن المماليك أنفسهم كانوا مسلمين متشددين[2] ، لكن يبدو أنهم كانوا قليلى الصراع والجدال مع المسيحيين الأقباط ، لحاجتهم إلى مهاراتهم علاوة على المتحولين منهم للإسلام ، ولم يكن الأقباط سبب تهديد أبداً للمماليك .

والواقع أنه قد تم تعيين وزير قبطى – لأول مرة – فى دولة المماليك أثناء بطريركية البابا **أثناسيوس الثالث** (١٢٥٠-١٢٦١م) . كما كان الضغط الشعبى – خاصة فى القاهرة – هو الذى أرغم الحُكام لاتخاذ أسلوب الشدة مع المسيحيين. فقد استخدم الكثير من القادة المسلمين نفوذهم لتحريك الجماهير ، واتخاذ إجراءات قانونية ضد الأقباط ، وتم الاستيلاء على أملاك وأموال بعض الأقباط ، وكذلك التدخل للحد من وجود بعض الأقباط فى الإدارات المالية السلطانية ولدى الأمراء الذين كانوا يقومون بالتجارة الداخلية والخارجية.

وكانت أكبر نسبة من الإداريين من الأقباط (وكانت مثل نسبة المتحولين منهم للإسلام) ، بسبب الطبيعة الخاصة للإقطاع (iqta = feudual) التى تتطلب

---

(1) * Wiet, in Ency. de L'Islam.
* Little, Religion Under the Mamluks (1983) p. 553.
(2) Petry, The Civilian Elite of Cairo (1981) p. 273.

مسح وإعادة توزيع الأراضى الزراعية وعوائدها (rawk) مما كان يغْضِب بعضاً من الذين فقدوها. ومن البيروقراطيين الأقباط ، الذين كانوا يضعون لها الخطط أكثر من المماليك الذين استولوا عليها . وقال المؤرخ ابن خلدون : " كان من عادة (الأتراك) أن يُعينُّوا وزيراً من الأقباط ، لرئاسة إدارة السجلات وجميع الضرائب ، لأنهم كانوا – في مصر – من ذوى الخبرة بتلك الأمور ، منذ العصور القديمة[1] " .

ولكي يصل المرء إلي قمة الإدارة المالية ، فقد كان علي القبطي أن يصير مسلماً، وكثيرون فعلوا ذلك من أجل المنصب ، وكانوا يسمُّون : " مُسلِّيمة " .

وكانت هذه التحولات للإسلام شكلِّية (صُوَّرية) Pro forma (من أجل الاحتفاظ بالوظيفة، بينما لا يزال إيمانه بالمسيح فى قلبه)، وكانوا يُستبعدون من طبقة " العلماء " (ulama) ويتركزون فى الأعمال المالية والإدارية . وكان المثل الشائع عن المدير الحكومي : " قاضيه مسلم ، وشيخه مسيحى ، والحاج جاسوس" ، كما كانت تتردَّد صيحات استنكار ، وتُسمع دائماً كلمات عن : " السيطرة القبطية[2] " !! .

وتوجد مخطوطة هامة (كراسة) من القرن ١٤م (بالمتحف البريطانى رقم ١١٥٨١ ، ورقات ٦-١٤) ، " عن تشغيل أهل الذمة " كتبها شخص إسناوى ، جاء لمصر فى شبابه وصار محترماً ، لاستقامته وتديُّنة وخبراته القانونية والأدبية. وطبقاً لما كتبه هذا الإسناوى إن : " الأقباط لا يزالون يعلنون أن مصر هي بلدهم ". ولذلك فإنهم (الغزاة) يسرقون مالهم ، وهم يتهمون الأقباط بكثرة احتساء الخمر ، واغتصاب النساء المسلمات ، وإشعال الحرائق عمداً ، وبالأخص التآمر لهدم مسجد المدينة (المنورة) .

---

(1) Ibn Khaldoun, Introduction to History, 2,19

(2) * Wiet. L'Egypte Arabe. de la Conquête Arabe à la Conquête Ottomane.
* Hantoux. Hist. De La Nation Egyptienne. Paris 1926. P. 570.

وشك الإسناوى فى حقيقة ترك القبطى المسيحى إيمانه ، خاصةً إذا كان عضواً واحداً فى أسرة . كما لاحظ أن طرد الأقباط من الوظائف الإدارية الحكومية لا يدوم ، ولكنه بالطبع يدافع عن استبعادهم من الحكومة بدون مبرر.

وفى وقت مبكر ، أعلن الشيخ (المفتى) الشهير " ابن تيمَّية " بأنه يعارض بشدة : " نفوذ المسيحيين واليهود فى السياسة المملوكية ، وفى الاقتصاد ، وعن التهاون فى التشريعات الخاصة بهم(١) " .

وكانت الأفكار السائدة بأنه على الأقباط دفع ضرائب مُعيَّنة ، للسادة المسلمين. وقد قال ابن خلدون : " لقد قوَّى الله ، وأعز الإسلام ، وساعد وحمىَ المسلمين ، وضايق أعداء الإسلام والمسلمين ، وأذَّل وأخفَّض الكفَرَة الخاضعين لهم(٢) " !! .

وفى السنوات بعد ١٣٤٠م كانت الأحوال صعبة على الكل . فقد طورد المسيحيون . وعم الفساد والرشوة والخيانة داخل قصر السلطان .

وبعد عام ١٣٥٤م عاش الأقباط ٥٠٠ سنة فى جكب (حتى عام ١٨٥٤م حين تمت رسامة البابا كيرلس الرابع " أبى الإصلاح ") .

وقد تجددت قوانين التمييز الخاصة بلبس الأقباط ثياباً مُعينة . وقيود السفر والاستيلاء على أملاك الكنائس . وجرت محاولات لمنع تغيير الدين الشكلى ووقف الاستيلاء على أوقاف الكنائس (Waqfs) .

وقد سجَّل المؤرخ " المقريزى " المسلم ، بعد هذه الأحداث بنصف قرن ، أن الأقباط كانوا يفقدون وظائفهم وأملاكهم ، وتدمير كنائسهم ، مما قاد إلى تحول عدد كبير للإسلام . لذلك كانت سنة ١٣٥٤م نقطة تحوُّل فى التاريخ الدينى المصرى ، حيث استكمِل التحوُّل للإسلام .

---

(1) Irwin, op. cit. P. 97.

(2) Ibn Khaldon, op. cit. 2.137.

وفى القرن ١٤م ، تحدث العَالِم المُسلم القلقشندى عن واجبات البطريرك المصرى ، وهى رئاسة رجال الكهنوت ، ورعاية الشعب ومراقبة المواريث ، والصلاة من أجل المسلمين بالدولة ، وإكرام المسلمين والمسافرين ، وتجنب التجسس ، أو التحالف مع أية دولة أجنبية . وهذه الواجبات هى التى حددها المماليك للبابا وليست هى الكنيسة .

ونقرأ فى إحدى مصادرنا – الموثوق بها – أنه : " من المُدهش ، أنه أمام وجه العجز القانونى والاجتماعى ، وأمام الضغط الاجتماعى والثقافى الإسلامى ، والاضطهادات المستمرة ، عاشت الجماعات الغير إسلامية ، كما كانت عليه فى العصور الوُسطى الإسلامية[1] " . وقد عاش الأقباط فى وقت كريه ، خلال الحكم المملوكى . ولا يُقدّم لنا كتاب تاريخ بطاركة الإسكندرية سوى الأسماء والتواريخ للبطاركة ، لمدة أربعة قرون، ابتداءً من العصر المملوكى ، لعدم قدرتهم على فعل شئ، خلال هذه الفترة العصيبة، بسبب الضغط عليهم، وعلى رعاياهم .

وبعد موت بيبرس سنة ١٢٧٧م واستمرار الصراع عدة أشهر، استطاع **قلاوون، ثم إبنه الناصر** ، أن يحكما ٦٢ سنة ، سادها الانحلال التدريجى . وتسمى المماليك – الذى سيطروا على البلاد من ١٢٦٠-١٣٨٢م – باسم " **المماليك البحرية** " لسكناهم فى جزيرة الروضة أمام القاهرة . وكانت فترة مرعبة للأقباط . فقد تعرضوا للطرد من أعمالهم الرسمية ، والتفرقة العنصرية وتدمير الكنائس، والمذابح ، خلال أعوام ١٣٠١ ، ١٣٢١ ، ١٣٥٤ ، علاوة على الطاعون ، الذى انتشر وباؤه فى ١٣٤٧-١٣٤٨ ، وفى ١٣٧٥ وجلب المعاناة لكل المصريين .

---

(1) Sobhi Labib, Benjamin ll, in Coptic Ency.

وفى عام ١٣٧٥ هاجم الإسكندرية أجانب مسيحيون ، مما انعكس بدوره على الأقباط ، الذى أرغمتهم الحكومة على دفع تكلفة طرد هذه الحملة الصليبية .

وفى عهد **البابا بنيامين الثانى** (١٣٢٧-١٣٣٩) هدد ملك أثيوبيا بالانتقام من حكام مصر لاضطهادهم الأقباط ، ونجح لحدٍ ما فى تقليل مستوى الاضطهاد. وقد تم السماح بترميم الكنائس، والقيام بواجبات البابا الروحية والطقسية مثل إعداد " **الميرون** " (Chrism).

كما تمت رسامة أسقف لفاراس وقصر إبريم (بالنوبة) سنة ١٣٧٢م (وقد تم العثور على وثائق هذه الرسامة حديثاً) .

وقبل الانهيار التام لنظام دولة المماليك البحرية سنة ١٣٧٨م صار **متى** (متاؤس) **الأول** بطريركاً للأقباط . ويذكر التقليد أنه كان صبياً بالصعيد وراعياً شُجاعاً للغنم ، وقد أظهر نمواً روحياً مبكراً . فتمّت رسامته كاهناً ، وهو فى سن الثامنة عشرة !!.

وقضى وقتاً فى دير أنبا أنطونيوس بالصحراء الشرقية ، وفى أورشليم ، حيث اشتهر بمعجزاته واتضاعه . وعندما عاد إلى دير أنبا أنطونيوس عانى من الجنود الذين حاولوا إرغام الأقباط على دفع مصاريف الحملة التى قامت ضد الصليبيين سنة ١٣٦٥م . وحاول أن يفتدى الأقباط الذين لم يستطيعوا دفع الفدية.

وبعد وقت قضاه فى دير المحَرَّق ، تم إرغامه سنة ١٣٧٨م على رسامته بطريركاً . وقد اشتهر باتضاعه واهتمامه بالمساكين والفقراء وخاصة الراهبات القبطيات ، كما اهتم أيضاً بمساعدة اليهود والمسلمين مثل المسيحيين (فى المجاعة) ولذلك تسمّى " **متى المسكين** " كما اشتهر باعتباره وسيطاً وقاضياً ، حتى فى أمور الدولة ، وبين الملكانيين والمسيحيين الكاثوليك . وأوجد الحب والود بين ملوك المسيحية : الأثيوبيين والفرنجة (المسيحيين الغربيين) .

ويُسجل كتاب تاريخ البطاركة – فى سيرة البابا متاؤس الاول (الفـــاخورى) أن " **برقوق** " أول سلاطين " **البرجية** " . أحبَّ البابا متاؤس، وحماه مـــن الأذى ، وطلب موافقته (بركته) على تجليسه على العرش سنة ١٣٨٢م .

كما كان البابا متاؤس مُستعداً أن يُسامح – بروح الاتضاع – المســـيحيين ، الذين دبروا مؤامرات له ، ولكنهم كانوا دائماً ينالون عقابهم (من الله) فى النهايـة، ولكنه كان نداً مُهاباً . ففى إحدى المناسبات ، نجح فى تهديد موظف كبير ، كـــان يريد إصدار تشريع ، لإرغام نساء الأقباط على ارتداء ملابس مُعيَّنـــة (يرتديـــها النسوة الفاسدات) ، مُذكراً إياه : " بأن المسيحيين ليسوا بدون ملوك فـــى الأرض". وبصفة عامة ، كانت صلواته لها تأثيراتها الشديدة على كبـــار العـــاملين الذيـــن عارضوه .

وبعد نياحة البابا متاؤس فى عُمر ٧٢ سنة (١٤٠٨م) شارك اليهود وغـــيرهم فى جنازته . ولم تكن مدة بطريركيته فترة سهلة للمسيحيين ، لأننـــا نقـــرأ عـــن استشهاد ٤٩ شخصاً فى زمانه[1] وعانت البلاد من الطاعون والمجاعة . وقـــدَّم البابا متى المسكين الكثير من المعونات للمحتاجين .

وكان القديس أنبا رويس ، معاصراً للبابا متاؤس ، واشتهر بُنســكِه وعمـــل المعجزات ، وقد تذكرته الكنيسة القبطية ببناء الكاتدرائية والبطريركيـــة الجديـــدة فى دير الأنبا رويس بالعباسية، فى القرن العشرين ، حيث لاتزال توجـــد كنيســـة صغيرة مُكرَّسة باسمه.

وقد تولى برقوق بعد ذبح السلطان شعبان والسيطرة على أبنائه الأطفال ســنة ١٣٨٢م ، وبدأ سلاطين دولة المماليك **البرجية** ، الذى تركزوا فى القلعة . كمـــا تسمَّوا " **بالشراكسة** " (Circassian) لأن برقوق ومعظم الحُكَّام الذين تلوه – حتى

(1) Iris Habib el-Masri, The Story of the Copts (Middle East Council of Churches, 1978) pp. 439-445.

حكم الدولة العثمانية لمصر سنة ١٥١٧م – كانوا من هذه المجموعة العرقية (التركية) .

وقام برقوق ببناء مدارس إسلامية ، وتسامح مع المسيحيين ، وخفض لهم الضرائب ، وحكم – هو وإبنه فرج – لمدة ٣٠ سنة ، وكانت كلها صراعات وعنف سياسى، وتغيير للحكومات المتتالية .

وانتهت حياة برقوق المليئة بالدماء – للوصول للسلطنة – على يد سكير شرير ارتكب تجاوزات كبيرة ، ويسمى " الشيخ المؤيد " ، والذى حكم حتى ١٤٢١ ، ثم انتصر عليه السلطان **برسباى** ، بعد صراع على السيطرة على البلاد المصرية.

وفى عهد برسباى ، تم الاستيلاء على قبرص ، وزادت التجارة عبر البحر الأحمر عن ذى قبل . وظهر الاحتكار الحكومى لزيادة الدخل ، وهو إجراء قد أضر – على المدى البعيد – بالتجارة . **وكان الإقطاع** – بالسيطرة على الأراضى المنتجة – **واحتكار الحكومة للتجارة** قد صارا من أكبر العوامل التى ساعدت على الانحدار الاقتصادى ، لمصر المملوكية[1] .

وفى عهد بطريركية **البابا غبريال الخامس** (١٤٠٩–١٤٢٧) قامت عدة ثورات فى مصر . وتم طرد كبار الموظفين الأقباط من أعمالهم ، والتضييق على المسيحيين ماليا . كما عانوا من قوانين ظالمة أخرى .

وقام الإثيوبى اسحاق النجاشى بمهاجمة مسلمى إثيوبيا سنة ١٤٢٣م ، وخرب مملكة جبرت (Jabart) لعدم سماحها للمسيحيين بالسفر إلى أورشليم ، وقام برسباى بالانتقام من المسيحيين فى مصر.

---

(1) Muir. Ahistory of Egypt from the Fall of the Ayyubid Dynasties to the Conquest of the Osmalis (London, 1930 ; & Amsterdam , 1968).

وكانت تلك الأيام صعبة على الأقباط ، وصار البابا فى فقر شديد. وتوقّف الأثيوبيون (الأحباش) عن مساعدته مالياً[1] .

وقد عانى **البابا يوحنا الحادى عشر** (١٤٢٧-١٤٥٢) من أوقات صعبة ، وهو مايُفسّر لنا سبب توقيع مندوبى الكنيسة القبطية على اتفاق بالاتحاد مع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية[2] . مع أنه فى حالات أخرى لم تأتِ نتيجة من هذا الاتفاق !!.

وقد عاني البابا من متاعب شديدة من الحكومة ، التى لم تسمح بترميم الكنائس. ولما أعلن ملك أثيوبيا أنه سيتدّخل إلى جانب البابا يوحنا ، وصلت الأمور إلى حالٍ أردأ ، فتعرَّض البابا للضرب والجَلد . وصدرت تعليمات تأمر بعلاج الأقباط للمرضى المسلمين على نفقتهم ، وعدم إقتناء جاريات مسلمات. وعندما أغضب وزير قبطى السلطان، استولى على أملاكه، وجلده حتى الموت .

وفى أيام البابا القبطى **يوحنا الثانى عشر** (١٤٧٩-١٤٨٢م) تراسل مع روما ، من أجل إمكانية إعادة الإتحاد !! ، وجاء فى رده لروما : "أنه ينبغى مناقشة موضوع الخلاف بدون مكابرة أو عناد ، والصُلح والسلام بين كل الطوائف " ، ولم تكن لهذه المراسلات أية تأثيرات . ولا يدلنا تاريخ البطاركة عن بطاركة آخرين، فى القرن المملوكى الأخير (١٤٠٩-١٥١٧) ، ماعدا أسماء أديرتهم ، وتواريخ رسامتهم وتاريخ نياحتهم فقط.

وقد تم إيجاز الأسباب الداخلية لانحلال الدولة المملوكية ، والتى قادت إلى إدماج مصر فى الإمبراطورية العثمانية ، فى كثرة حلول الجفاف والطاعون والمجاعات ، وسوء الإدارة المالية والصراعات الداخلية ، وفساد النظام المملوكى الذى وضعه برقوق وخلفاؤه ، وكلها متحدة مع هجمات تيمورلنك

---

(1) Gill, The Council of Florence (Cambridge 1959) pp. 321-326.

(2)Iris Habib el-Masri, pp. 429-32, a work in Arabic : " attibr-ul- Masbuk... by Muhammad as-Sakhawi. (والواقع أنه لم يوقع فى ذلك الوقت أى اتفاق بين الكنيستين)

(المغولى) فى أوائل القرن ١٥ ، وانتصار التجار البرتغاليين فى منافستهم لهم فى المحيط الهندى ، علاوة على قيام قوة عثمانية كانت فتاكة للسلطة المملوكية ، ومع ذلك استمر المماليك كعنصر قوى فى المجتمع ، وفى المال وفى الحكومة .

وربما شعر الأقباط أنه فى سنة ١٥١٧م أن الأمور ستزداد سوءاً ، وأن الاندماج فى الإمبراطورية (العثمانية = التركية) ، التى نافست بشدة القوَى الأوربية قد تساعد مصر وإياهم ، ولكننا سنرى – فى الفصل التالى – ماذا تعنى الإمبراطورية العثمانية حقيقةً ، بالنسبة لمصر وللكنيسة القبطية !!.

+ + +

الفصل الثامن

مصر تحت الُحكم العثمانى (١٥١٧-١٧٩٨)

عاشت الكنيسة القبطية ثمانية قرون ونصف تحت حكم العـــرب ، قبـل أن تخضع للإمبراطورية التركية العثمانية سنة ١٥١٧م . وخلال هذه الفترة أصبـــح الأقباط أقلية . وسادت اللغة العربية على لغتهم ، ولكن مواهبهم وخبراتهم جعلـت الحكومات المتتالية تعتمد عليهم بشدة.

وكان ولاؤهم للإيمان المسيحى ومحبتهم القوية لوطنهم قـد فـاقت صفـات اليهود وغيرهم من الوافدين من البلاد الأخرى إلى مصر . ولذلك لم يكن هنــاك أى مبرر لكى يسعى الأتراك العثمانيون إلى محو المسيحية من مصـــر، بدرجـة أكبر مما فعله أسلافهم المسلمون من قبل.

وبعد انحدار الدولة العباسية، فى القرن ٩م ، فإن حكام مصر لم يكـــن لـــهم أدنى اهتمام بالإمبراطوريات الخارجية، ولكن كان من المتوقع تغيُّر الموقف مـــع مجئ الأتراك ، لأنهم كانوا يكوّنون إمبراطورية كانت أكبر منافس على الســـاحة العالمية . ولم يكن هَمّ الدولة العثمانية سوى جلب ثروات مصر إلى تركيا. ولذلك تركت المماليك يسوسونها .

وكان المماليك قد تصارعوا - أولاً - مع العثمانيين ، بسبب مصالحهم فـــى سوريا . وكانت أول الحروب بينهم مـــابين ١٤٨٥-١٤٩٠م . وكـــانت الدولـة الصفوية الجديدة - فى فارس- قد عقّدت الأمور بتحدى التوسع للإمبراطوريـــة العثمانية بقيادة سليم الأول " الشرس " ، الذى بدأ يستعرض قوته فى ربيع ســـنة ١٥١٦م فى المشرق .

وقد ابتدأ يستخدم قواته أولاً ضد المماليك ، لأنهم كانوا على وشك التحـــرّك نحوه . وقد مات السلطان " **الغورى** " المملوكى ، فى أول معركة مع العثمـــانيين

بالقرب من حلب بشمال سوريا ، ولم يستطع المماليك إيقاف تقـدم العثمـانيين ، واستمر زحفهم نحو القاهرة واستولوا عليها ، بعدما قضى سليم على المقاومـات المحلية فى مصر ، وقتل السلطان طومنباى فى ربيـع سـنة ١٥١٧م . وفشـل مماليك الداخل فى صراعهم مع العثمانيين، لعدم التكافؤ مع القوات العثمانية التـى كانت تستخدم البنادق ، والمدربة عليها جيداً ، وتأخّر المماليك فى استعمالها .

وقال مؤرخ فرنسى " إن حكومة الباشوات الأتراك استمرت حكومة حقيقيـة أو أسمية – لمدة ٢٨١ سنة ، وظلت فيها مصر منسية، وفى ظلام ونوم "[١]. ثـم يضيف بقوله :"أما بالنسبة لتنظيمات السلطان سليم لحكم مصر ، فلم يقـم بثـورة اجتماعية ، وإنما قصد أن يبنى فوق النظام المملوكى".

وقد أراد سليم أن يستفيد من حكم مصر ، فقام بنقل نحو ألفين،كبار التجـار والحرفيين وكبار رجال الدين المصريين،**إلى اسطنبول** (الأستانة = القسـطنطينية = بيزنطة القديمة). وبناء أسطول عثمانى ، باستخدام السُفن التـى غنمـها مـن الأسطول المملوكى بالبحر الأحمر[٢]. وقد سمح إبنه سليمان للحرفيين والمثقفيـن المصريين بالعودة لمصر، ولكنه عرض عليهم حوافز ضخمة، أغرت معظمـهم على البقاء هناك، وبهدف حرمان مصر من مهاراتهم.

وعيّن سليم، خير بك حاكم حلب – الذى تحالف معه ضـد سـلطانه سـنة ١٥١٦ – حاكماً لمصر، وبعد موته سنة ١٥٢٢ (ومات سليم قبله بعامين) ، حـل محله باشا (حاكم) تابع مباشرة لاسطنبول، وأحكَم سليمان من قبضته على مصـر، وجاءت فترة – لمدة ٦٠ سنة– خاملة ، لم يُسَجل فيها شيئاً. وكذلك لم يُشَر فيـها – في تاريخ البطاركة– إلا على القليل جداً،عن بطريركيـة **البابـا يوحنـا ١٣**،

(1) * Deherain , L'Egypte Turque.

* Hanataux , Histoire d'Egypte , Tom. 5 , (Paris 1931) P.2.

(2) Shaw , History of the Ottoman Enpire , (Cambridge , 1976) vol . I. pp. 85-86.

ونقرأ فيها ما يلى :" في زمن هذا الأب كان غزو مصر على يد السلطان سليم من نسل عثمان، واستولى عليها من السلطان الغورى، آخر ملوك الشراكسة".

وأما بطاركة القرن والنصف التالى، فقد وردت أسماؤهم وتواريخ رسلتهم. ولم يُذكر عنهم شيئاً، سوى خطاب ورد إلى البابا فى روما، وبدون ذكر كلمة عن محتواها.

وقد حكم أقاليم مصر – حسب النظام العثمانى– ٢٤ من البكوات، الذين كانوا يُشبِهون الأمراء المماليك السابقين في وظائفهم[1] ، وكانوا مسئولين أمام الباشا التركى نائب السلطان في مصر، وكان بعضهم يحاولون تدعيم قوتهم والتقليل من سلطة الباشوات، وكانت لهم بعض النجاحات في هذا الغرض، وأحيانا كانوا ببساطة يرفضون الباشا، الموفد من قِبَل حكومة إسطنبول، أى المعيّن بمعرفة الباب العالى.

ويمكن أن نرى مشاكل الباشوات (الحكام العثمانيين) عندما نجد أنه قد حكم مصر ١١٠ باشا، خلال ٢٨١ سنة ، من عهد سليم الأول إلى نابليون.

وكان حكام الأقاليم من بكوات المماليك يعتمدون في بسط سيادتهم وشرعيتهم على قوتهم المسلحة، وكبار رجال الدين ، والقضاة، والمعلمون الذين كانت لهم الرقابة الروحية والأخلاقية على الطبقات الأخرى. وكانوا يُعتبرون – بالنسبة اليهم – القادة السياسيون[2] ، وكان علماء الدين (Ulama) يقومون بدور الوسيط السياسى – خلال القرن ١٨ – بين البكوات المماليك والشعب المصرى .

وبالنسبة للمسيحيين تحت حكم العثمانيين : كانوا – كباقى الجماعات الدينية – تحت قيادة رؤسائهم الدينيين . فكان للبابا القبطى سلطة واسعة على

(1) Holt , Egypt & The Fertile Crescent , 1516 – 1922 (Cornell Univ. 1966) p . 52.

(2) Vatikiotis , The History of Egypt (Baltimore , 1985) P. 36.

الأقباط ، وعلى إدارة أملاك (أوقاف) الكنيسة ، وضرورة تطبيق قانون الكنيسة (الأحوال الشخصية) ، مثل الزواج والتطليق، وصحة نسب الأطفال وتوزيع الميراث وحل الخلافات الأسرية، وتنظيم إدارة الكنيسة.

وعاشت كل طبقات المصريين تحت حكم الأجانب ، ولكن اختلفت المعاملة حسب الطبقة. وكان هناك أقباط في كل طبقة ، وكان الإداريون الأغنياء (بسبب مراكزهم) والتجار، ومُلاّك الأراضى ، يشترون الأمن والنفوذ اللذين يحتاجون إليهما .

وكانت النقابات الخاصة بالتجار تحمّى أعضاءها وامتداد نشاطها، أما الفلاحون، الذي اعتمد عليهم الاقتصاد المصرى فلم تكن لهم القوة ولا الحماية ، إلا من بعض أصحاب الأراضى العاملين عندهم، من ذوى النفوذ .

ومن الناحية المالية ، فقد **خُلِق نظام الالتزام** . ولا نعجب إذا وجدنا الأقباط دائماً يعملون فيه ، مع أنهم كانوا يعملون بحِرَف الهندسة والبناء . وكانوا يميلون إلى العمل الكتابى(المكتبى). كما استفاد الملتزمون الأقباط من رجال الأمن الأتراك الذين كانوا يعطونهم تصاريحاً لإنتاج وبيع المشروبات الكحولية[1].

وقد وصف الكاتب القبطى "**أبو دقن**" (Abudacnus) حياة الأقباط الاجتماعية والدينية، وحرفهم، وكيفية بلوغهم لمراكز عالية، عن طريق الوصول لذوى السلطة، وإظهار مهارتهم لهم. وتمسكهم بدينهم بشدة، ونُسكهم. كما وصف طرق عبادتهم، ودرجات الإكليروس وقراءاتهم الروحية وقداساتهم والتناول من السر الأقدس ، وهو نفس ما كان يحدث في أواخر القرن العشرين[2].

---

(1) Shaw , The Financial and Administrative Organization .., in Ottoman Egypt (1962) P.140.

(2) * Latin Version of 1675 , English trans. , by Sadleir, (Lonon, 1978).

* Cfr. Iris El-Masri , op. cit ., (1978) PP. 470-471.

وقام الأب (الكاثوليكى) "**ڤانسليب**" ، بقضاء عامىّ ١٦٧٢، ١٦٧٣ ، في مصر-وزار العديد من الأديرة والكنائس المصرية . وفي عام ١٦٧٧ نشر في باريس "تاريخ الكنيسة القبطية"(١). وله ملاحظات هامة . وقد ذكر في الجزء الأول ، إنه ليس من سلطة البطريرك (البابا القبطى) أن يُغيّر أو يأتى بشىء جديد (فى الطقوس) ، وأنه كان بمصر في زمانه ١٧ أسقفية قبطية.

ويسجل في الجزء الثانى كثير من الأشياء . وقد أعجبه أتضاع العذراء مريم ، وهي تحمل طفلها يسوع ، في فن الأيقونات القبطى ، وأن الأقباط يرفضون الاعتقاد في " **المطهر**" (Purgatory) بعد الموت ، وتقتصر آلاتهم الموسيقية على الدفوف والتريانتو (المثلث) فى الكنيسة.

كما يذكر قائمة بالكتب القبطية الطقسية والأصوام المتعددة ، وتلاوة الكهنة للقداس (Mass) عن ظهر قلب ، والتعاليم تُقرأ بالقبطية ثم بالعربية وضرورة أكل وشرب كل الذبيحة والخمر (في سر الشكر) وذكر مؤرخ قبطى أن **البابا يوحنا السادس عشر** ، هو الذى بدأ التقليد – الذى لايزال متبعاً حتى الآن – وهو قيام الكهنة بمناولة المرضى والعجزة والمسنين ، الذين لا يستطيعون حضور القداس بالكنيسة فى منازلهم(٢).

وفي نفس فترة تلك المطبوعات ، يعود البطاركة الأقباط إلى الظهور في كتاب تاريخ البطاركة ، ابتداءً من البابا يوحنا ١٦ ، الذى خدم لمدة ٤٢ سنة (من ١٦٧٦ – ١٧١٨م)، وكان في شبابه صرافاً لتحصيل الأموال العامة ، (وهى وظيفة قبطية دائمة)، ثم هرب إلى دير أنبا أنطونيوس ، حيث ترهَّب.

ولما صار بطريركاً حول إدارة أموال كنائس القاهرة إلى "**الأراخنة**" (نظار الكنائس) . وقد حفظوا أموالها وساعدوا فقراءها . كما تم إعادة بناء كثير من الكنائس والأديرة في عهده .

---

(1) Vansleb , Histoire de L'Eglise d'Alex., Fondée par S. Marc… (Paris , 1677).

(٢) والواقع أن هذا التقليد قديم جداً في الكنيسة القبطية وليس من القرن ١٨ م .

وقد دفعت المجاعة ١٦٩٢/ ١٦٩٣ كثيراً من أقباط الصعيد للمجيء للقاهرة، حيث تمت أعمال بطولية – بمعرفة قادة الكنيسة– لمساعدتهم . ومن أهم تلك القيادات القبطية ، التى ظهرت في تلك المرحلة :" **المعلم جرجس**" (الجوهرى) وكان علمانياً مشهوراً ، وقد فَقَد إبنه الوحيد . وكرّس باقى حياته وثروته لخدمة الكهنوت والفقراء ، وإعادة بناء الكنائس ، وتدبير مواد الميرون ، وأخذ البابا يوحنا معه في رحلة إلى أورشليم (القدس).

وقد عرفنا حقيقتين هامتين من عهد البابا يوحنا ، أولهما : أنه عندما أراد حاكم اتخاذ إجراءات ضد المسيحيين ، لم يحدث أى ضرر للأراخنة أو للمعلمين الأقباط ، القائمين بالخدمة في كل مصر . وثانيهما : تقديم البابا قداسات كل يوم وشارك فيها عدد كبير من الشعب القبطي . وهو ما يدل على حُسن إختيار " علمانيين" ، لحماية أموال الكنيسة ، ونتيجة للتقوّى الزائدة للأب البطريرك " وإن لم تكن دائماً فيهم" (١) !!.

وفي عام ١٧١١ حدث شقاق بين مجموعة التركيبة الحاكمة ، والجماعات العسكرية في مصر ، وتسمّى "بالعصيان (التمرُّد) الكبير".

وقد تم وصفه بالتفصيل في سيرة البابا يوحنا . علاوة على تحريض آخر للفتنة (العصيان) وكان أقل فى نتائجه . واستمر ٤ سنوات ، ومع ذلك ظلت سيادة البكوات على مصر. ولم تضمن هذه التمرُّدات الحربية لمصر . أى تغييرات في الحكومة العثمانية.

وتم تقدير عدد الأقباط – في نهاية القرن ١٧ – بنحو ١٥٠,٠٠٠ قبطى مسيحى[٢] ونحو ٢٠٠,٠٠٠ سنة ١٨٣٢ ، ٦٠٠,٠٠٠ في بداية عام ١٩٠٠ ، وعلى الأقل ٣ مليون سنة ١٩٨٧[٢] .

---

(١) وهو تعميم سقيم ، وتحامُل من الكاتب على الشخصيات القبطية الكنسية العظيمة والكثيرة التى خدمت الكنيسة على مدى التاريخ المسيحي الطويل، وحتى العصر الحديث.

(2) Trossen , Les Relations du Patriarche Copte Jean xvi avec Rome (1948)

based on Anba **Isidorus** (Book of the Precious Pearl) (الجوهرة النفيسة)

وذكر باحث متخصص فى تلك الفترة أن أحوال الأقباط في مطلع القرن السابع عشر كانت هكذا : " الأحوال الثقافية كانت منعدمة ، ويسود الجهل بين رجال الكهنوت ، مع احترام شعبى كبير للبابا " .

ويذكر إحصائيات مأخوذه من زوار لأديرة قبطية ، تدل على أنه في النصف الثانى من القرن ١٧ قل عدد رهبان دير أنبا أنطونيوس من ٥٠ إلى ١٥ راهباً ، ودير أبى مقار من عشرين إلى أربعة فقط ، ودير أنبا بيشوى من ٢٥ إلى أربعة رهبان فقط[١] !!.

وقد رسم البابا يوحنا رئيس دير أنبا بولا كاهناً ، وقد خلفه على الكرسى المرقسى باسم " **بطرس السادس**" ، والذى خدم حتى عام ١٧٢٦ ، وتم إحضاره للقاهرة – في قيود – لرسامته (رغماً عنه).

وعندما طلب ملك إثيوبيا مطرانا لكنيسته ، أرسل له البابا بطرس مطران أورشليم. وهو أمر غير معتاد اتخاذه في الكنيسة القبطية ، بالنسبة لنقل مطران من الايبارشية المرسوم عليها إلى أخرى !!

ولا نعلم الكثير عن عصر هذا البابا ، سوى عن علمانى شهير وكريم هو المعلم "**لطف الله**" ، الذى دفع مبلغاً كبيراً لينجو من عقاب بسبب ترميم كنيسة ، ولكن تم اغتياله فيما بعد !!.

وهذا الأمر يُذّكرنا بثلاثة حقائق هامة عن الكنيسة القبطية في العصور الوسطى وهى : أنه كانت جريمة بصفة عامة ترميم كنيسة ، وكان يمكن للقبطي

= التعداد الرسمى في ذلك الوقت ، ذكَر نحو ٤ مليون قبطى . والواقع أنه كان أكثر من ذلك بمقدار لايقل عن ٥٠ % ، وحالياً نحو ١٥ مليوناً ، من بين ٧٤,٥مليون مواطن مصرى (٢٠٠٤م).

(1) Trossen , Ibid. p . 9 .

دائما أن يجمع ثروة ، ومع ذلك لم يكن للأقباط الأثرياء أدنى احترام فى المجتمع (وعُرضَة للإنتقاد الشديد) !!.

وأما البابا التالى **يوحنا ١٧** ، فقد كان أيضا من دير أنبا بـولا. وظـل على الكرسى المرقسى حتى عام ١٧٤٥م ، وفـي عـهده زادت الجزيـة علـى المسيحيين (وعلى اليهود) ، ولم يتم إعفاء الرهبان منها، وكـان البـاب العـالى يرسل الأجانب لجمع هذه الضرائب .

وفي نفس هذا الوقت الصعب حلت مجاعة شـديدة (١٧٣٩/ ١٧٤٠م) ، وبعد سنتين قامت فتنة (عصيان) وبيع عدد من الفقراء المسيحيين عبيداً ، لعـدم دفع الجزية ، ولكن تم فداؤهم بمعرفة رجال الكنيسة من العلمانيين الأثرياء .

ولم يرد في سيرة البابا يوحنا ١٧ – في تاريخ البطاركة – إشـارة إلـى المراسلات التى تمت بينه وبين العاهل الرومانى البابـا كليمنـت (Clement) الثانى عشر ، من ١٧٣٥– ١٧٣٨ ، وأعلـن فيـها البابـا المصـرى إيمانـه الأرثوذكسى[1] ، ولم يُخفِ حقيقة أنه كان " **أخاً**" لبابا روما، وليس أعلى درجـة روحية منه (Superior).

وأكد على أن الروح القدس ينبثق من الآب ، وعلـى وحـدة المسـيح . وبالتالى رفض مكتب الإعلام الرومانى هذا الاعتراف القبطى السليم . وبحلـول عام ١٧٤٠ قُطِعَت هذه الصلات.

وفي عام ١٧٣٩ كتب الشيخ الدمنهورى للتضييق على المسـيحيين فـي عبادتهم ، وفي مبانيهم الدينية . وضرورة وضع حد لنشاطهم ، لحماية الإسـلام . وهذا يوضح أن هذا العَالِم الإسلامى ، كان يُقدم تبريراً ثقافيـاً ودينيـاً للتميـيز الدينى، ضد المسيحيين المصريين .

---

(1) Détré , Contribution à L'Étude des Relations du Patriarche Jean xvii , avec Rome`, Studia Orien. Christ. Collect . No. 5 (1960) 123-169.

وفي عام ١٧٤١ تحوَّل مطران القدس القبطي إلى المذهب الكاثوليكي وعينّه البابا الروماني رئيسا للكاثوليك في مصر ، ولكنه لم يأتِ اليها[١] ، وكانت الكنيسة الأرثوذكسية تحزن على خطف رعاياها ، ولأسباب كثيرة معروفة .

وحل محل البابا يوحنا ١٧ **مرقس السابع** ، وظل على كرسيه حتى سنة ١٧٦٩م .وكان مثل سابقه من دير أنبا بولا . وكان قساً قبل رسامته . وحدثت في أيامه صراعات سياسة دموية . وكان في عهده عشر إيبارشيات قبطية فقط ، طبقا لما جاء في مصادر الفاتيكان[٢] .

وقبل نياحة البابا مرقس بدأ "**على بك الكبير**" حملته للسيطرة على مصر، بالعنف والخيانة. وفى أواخر عام ١٧٦٨ م خلع نائب السلطان، وقام بعمله، وكذلك صار شيخ البلد (محافظ القاهرة). وهو أهم مركز ممكن لمملوكي أن يصل إليه .

وعندما جاء نائب سلطان آخر لمصر – فى الصيف التالى – خلعه على بك أيضاً. وفى السنة التالية أستولى على أرض الحجاز، وسيطر على مقدساته. وكان حاكماً واقعياً، حتى هزيمته وموته سنة ١٧٧٣م[٣] ، وقد فضّل الإداريين الأقباط، وهو أمر غير معتاد. وعيَّن القبطي الشهير "**المعلم رزق**" مديراً للإيرادات والمصروفات (المالية) للدولة.

وجلس **البابا يوحنا** ١٨ (١٧٦٩-١٧٩٦) إلى وقت غزو نابليون لمصر . ونعلم القليل عن أعماله، ولكن كانت صراعات البكوات المماليك بينهم وبين بعضهم قد أثقلت من حِملها على الأقباط، لأنهم كانوا مُعَرَّضيّن لمزيد من الضرائب، اللازمة لتمويل الصراعات لكل جانب.

---

(1) Meinardus , Christian Egypt , Cahiers d'Histoire Egyptienne (Cairo 1965) p. 405.

(2) Trossen , op. cit. p.9.

(3) Holt, op. cit . pp , 92-98.

هذا وقد تم إرسال حسن باشا من قبل الحكومة العثمانية، لتدعيم سلطتها فى مصر، ضد إبراهيم بك ومراد بك ، اللذين انتصرا ظاهرياً. فساءت الأحوال أكثر على المسيحيين، الذين تعرضوا للعديد من المظالم .

وفى عام ١٧٩١ قتل الطاعون كثيرين، بما فيهم نائب الباب العـــالى . ممـــا أدى إلى تقوية نفوذ القائدين المملوكين إبراهيم بك ومراد بك. ولم تتحسن أحـــوال الأقباط ولا باقى الشعب. ثم ظهرت المأساة المُريعة للغزو الفرنسى لمصر !! .

وفى عام ١٧٨٣ م زار مصر "فولني"(١) (Voleny) وكتب عن الأقبـــــاط : " أنهم من نسل قدماء المصريـيـــن، وأُمنـــاء ســـجلاتها وســـكرتارية وصيارفـــة للحكومة، وكان الأتراك يكرهونهم فى خدمتهم، كما يكرههم الفلاحون الذين كانوا يُحصلّون منهم الأموال الأميرية بالضغط " !!.

ويتحدث مترجم فرنسى عن جمعهم ثروات ضخمة، حتى أن بعضهم كـــــان لديهم الخَدم بعدد ٦٠ – ٨٠ عبداً أبيض وأسود يملئون الحُجرات(٢).

وملاحظة أخرى عن أقباط ذلك العهد. فقد جاء زائـــــر آخـــر ســـنة ١٧٧٨ (وهو إيطالى وربما كان جاسوساً لفرنسا) وكان يكره معظم الأقباط، وخصوصـــــاً الرهبان (الذين كان يسرق منهم مخطوطاتهم) ، وقد لاحظ أنهم كـــانوا عديديـــن. وأنهم من أصل مصرى أصيل. وأقوياء، ويثق فيهم السواد الأعظم من الناس(٣) .

ويؤيد الكاتب – مؤرخاً معاصراً – بأن الأقباط – فى عهد نابليون – كـــانوا قد فقدوا استقلال أُمتهم، ولكنهم لم يفقدوا ضميرهم نحوها. وأنه نتيجـــــة للتعليـــم الحديث والانضمام إلى صفوف الجيش المصرى – فى القرن التاسع عشر – قـــد إقتنع كثيرون منهم ، بأنهم ليسوا فى حاجة إلى أجنبى ليحكمهم(٤) (والواقع إن هذا

---

(1) Volney, Travels .. (London 1787) 2 vols (English Version).

(2) Dehérin , op. cit. p .81.

(3) Sonnini de Manoncourt, Travels … , trans. Hunter (London 1807) p. 632.

(4) Little, Modern Egypt (London . 1958) pp. 27-28.

الفكر القبطى كان موجوداً فى وجدانهم منذ أقدم العصور، ولم تُمكنهم الظـــروف من تحقيقه فى حينه).

وقد عانى الأقباط ، فى نهاية القرن ١٨ م من وباء الطاعون، والمجاعـــات بسبب انخفاض مياه النيل لعدة أعوام، والدمار من الفيضانات العالية. واســتمرت مع غلاء الأسعار، كما فصلّه المؤرخ المصرى الجبرتى ، والفرنســى ســافارى (Savary). وسوء الإدارة. وكلها اجتمعت لتجلب البؤس لمعظم المصرييــن. وإن كان الأقباط قد ظلوا يتعاونون معاً ، ويعطف أغنياؤهم على فقرائــهم، ويُقدمــونَ لهم الموائد يومياً.

وعندما قاد نابليون حملة من العساكر والعلمــاء والفنــانين ، لمصـــر عـــام ١٧٩٨ م ، كانت له – بالتأكيد – خططه الطموحة، ولكــن هــل كــان ســيكون للفرنسيين أعظم النتائج على مصر والأقباط ؟! هذا هو موضوع بحثنا فى الفصل التالى .



الفصل التاسع

مصر في القرن التاسع عشر
(١٧٩٨-١٨٨٢)

في عام ١٧٩٨ كان أقباط مصر أقلية في بلدهم ، فلم يكونوا سوى ١٥٠,٠٠٠ ألفاً من بين ٢,٥ مليون من السكان ، ومع ذلك كان غذاؤهم اليومى التمييز العنصرى والإذلال ، لإرغامهم على قبول الإسلام.

ومع ذلك لم يكن لهم حول أو قوة ، إلا أنهم استمروا في جعل أنفسهم نافعين للإدارة الحكومية ، خصوصا في الشئون المالية . وكان الحُكّام يُفضلُّون الموظفين الأقباط ، لأنهم لم يكونوا في مواقع التحدّى لهم ، كما قد يفعل المسلمون العاملون فى الحكومة.

والعوامل التى ساعدت على بقائهم ، لم تمنع عنهم الأذى والاحتقار والاستغلال والحط من كرامتهم. ويعجب المُفِكر العلمانى الحديث (والغربى بالذات) عن كيفية إصرار الأقباط على بقائهم مسيحيين !!.

ومع أن المسلمين – يشكوُّن بصفة عامة – في الذين يتحوُّلون إلى الإسلام، من جهة إخلاصهم وخدمتهم لمصالحهم . ومع ذلك فإن المرء يمكنه أن يتحوّل ببساطة من وضعه – في أقلية وضيعة – إلى وضع ممتاز، ضمن الأغلبية الحاكمة، بمجرد تحوّله للإسلام !!.

وقد تحوّل حظ الأقباط نحو الأفضل . فلم يعودوا يختفون كأقلية ضعيفة ، بل أصبح للكنيسة القبطية الأرثوذكسية أهمية خاصة في القرن ١٩.

ويبدأ هذا القرن بالاحتلال الفرنسي (١٧٩٨) وينتهى بالاحتلال البريطـــانى لمصر سنة ١٨٨٢ . وقد فشلت الحملة الحربية لتدخُّـــل الأســطول الإنجلــيزى والمعارضة المصرية للفرنسيين ، فلم يبقوا سوى ٣ سنوات في مصـــر، ولكــن التدخُّل والنفوذ الفرنسي قد زاد ، وقدّم معونة لكل من الأمة المصرية والكنيســة القبطية ، بعد الاتصال بالعالم الحديث ، اقتصادياً وتكنولوجياً وثقافيـــاً وسياســياً. وكانت النتائج مُدهشة .

ومن أول النتائج ، تلك النهضة القبطية ، التى وصلت إلـــى قمتـــها – فـــي منتصف القرن١٩ – في الأيام القليلة للبابا كيرلس الرابـــع ، وكـــانت إصلاحاتــه الثورية قد قوبلت بمعارضة ، وبدأت الصراعات داخل الكنيسة القبطية .

وكان الاحتلال الإنجليزى – على نقيض الاحتلال الفرنسي– قـــد أخضــع مصر لعدة عقود ، وقيدها سياسيا واجتماعياً، ووقف ضد تطورها الاقتصادى !!.

وكان نابليون قد جاء على رأس فرق حربيــــة قوامـــها ٤٠,٠٠٠جنـــدى ، وفريق من العلماء يضم ١٢٢خبيراً وعالماً في المصريات . وقد كان من نتيجــــة غزوته الحد من سلطة البكوات المماليك وتخليص مصر من العثمانيين ، وقـــرَّب الطبقة المصرية المتعلمة من أفكار الثورة الفرنسية .

ولم يأمل الأقباط في مجيء الفرنسيين خيراً ، فقد جاء في المادة ٤ من أمـــو يوم ٤ عن تنظيم الإدارة المصرية ما نصه:"إن الأقباط هم أقلية مكروهــــة مـــن المسلمين ، ويعانون من هذا الحقد ، ويميلون للعدل والحرية ، ولكنه من الخطـــر بمكان أن نختارهم كحُلفاء ، ونمنحهم أية امتيازات" !![1]

وكانت سياسة نابليون اتخاذ المسلمين حلفاء له ، ومنحهم امتيازات . وأعلــن لهم – مع ضباطه – أنهم جاءوا لتحريرهـــم مـــن حُكـــم الشراكســـة الممـــاليك

(1) * Servianus , Les Coptes de L'Egypte Musulmane (1959) , 74-75 .
* Young , Egypt (New Yerk , 1927) p . 28.

والباشوات الأتراك • ومال إلى النفاق بالادعاء بأنهم مسلمين ، مع أن الجنرال مينو وقليل من الضباط الفرنسيين قد تحولوا للإسلام فعلاً .

ويُقدِّم لنا كتاب تاريخ البطاركة قصة حزينة عن تجربة الأقباط بسبب الغزو الفرنسي لمصر . فقد صارت حياتهم صعبة. ورغم أن الحاكم الفرنسى بذل جهوداً لحمايتهم عند مجيئه لمصر ، لكن المصريين المسلمين هجموا عليهم ، بزعم أن الفرنسيين مسيحيون، وقد يميل الأقباط لمساعدتهم !!.

وكان يأمل الأقباط من انتصار الفرنسيين على المماليك،سوف يُحسِّن موقفهم ، ولكن المماليك الذين هربوا للصعيد نهبوا الأقباط هناك . ولما تولى القائد مينو رئاسة الحملة بعد اغتيال الجنرال كليبر (الذى تركه نابليون في مصر) ، تم طرد الموظفين الأقباط من دواوين الحكومة (المجالس الإدارية).

ولم يُرد الإنجليز أن يبقى جندى فرنسي – في مصر – ليهدد طريقهم إلى الهند . وأراد الأتراك استرداد مصر ، وساعد الإنجليز البكوات المماليك ، لطرد الفرنسيين . وكان نابليون قد ترك مصر في أغسطس سنة ١٧٩٩ ، ثم تمت محاصرة الجنرال مينو ، وخرج آخر جندى فرنسي من مصر فى نهاية سبتمبر سنة ١٨٠١، وعمّت الفوضى مصر، ومنها نبعت مصر الحديثة ، تحت حُكم محمد على .

ولابُد أن نلقِى الضوء الآن على ثلاثة من الأثرياء والحكماء الأقويا، من الأقباط، في الجزء الأول من القرن ١٩م.

ففى تاريخ البطاركة ، نقرأ سيرة **البابا مرقس الثامن (١٧٩٦-١٩٠٨)** وكان مريضاً . ولكن كان هناك أخوَان مشهورَان ، من الأراخنة (العلمانيين) الأقباط . ففى أيام إبراهيم بك ومراد بك كان إبراهيم الجوهرى قد وصل إلى

درجة " رئيس كتبة لكل مصر" ، أى مايُعادل رُتبة رئيس وزراء حالياً. وكان كثير الثراء ومشهوراً بالسخاء على الفقراء.

ولما مات ابنه الوحيد فجأة (قبل زواجه مباشرة) كثّف من خدماته للكنيسة، التى وهب إليها معظم ثروته ، فبنى الدار البطريركية ورمم الكثير من المبانى الكنسية، ونسّخ المخطوطات القديمة على نفقته. وقد مات عشية الغزو الفرنسي لمصر .

وسار أخوه **جرجس الجوهرى** على منواله ، حتى وصل إلى قمة الجهاز الحكومى ، وفي مد يد المعونة القوية لأنشطة الكنيسة ، وأكمل بعض المشروعات الخيرية القبطية التى بدأها أخوه .

وتولى جرجس الجوهرى شئون الدولة المالية تحت حكم إبراهيم بك ومراد بك ، وتحت حكم الفرنسيين (ويبدو أنه أرضَّى الكل ، وساعد جيش الفرنسيين وقدم لهم القروض من أغنياء الأقباط).

واستعاد مركزه المالى ، بعدما استردَّ العثمانيون الإدارة ، وحتى محمد على نفسه احتفظ بخدماته ، ولكنه أخيراً انقلب ضده ، فقضى أربع سنوات في المنفى بالصعيد – مع أصدقائه المماليك – قبل عودته للقاهرة ، ليموت فيها .

ومن الشخصيات القبطية الأخرى المعلم " **يعقوب حنا**" ، وكان قبل الغزو الفرنسي قد صارت له قوة في الصعيد ، حيث كان قد مارَس التدرُّب على طرق القتال والإدارة، التى استخدمها المماليك ، وكان يتعاون معهم .

وكان قد استنتج أن الأتراك وبكوات المماليك كلاهما ضار لمصر . واشترك مع الفرنسيين، وقدم لهم مساعدات في القتال في الصعيد . وقد حصل على تصريح من كليبر ، لتكوين فيْلق قبطى حربى بقيادته ، وبعد قليل ترك

الفرنسيون مصر ، فترك الجنرال يعقوب مصر مع قائد إنجليزى ، ومن خلالـــه أراد أن يُبَلِّغ رسالة للحكومة البريطانية لكى يحثهم على دعم اســـتقلال مصـــر ، وقبل موته كان يأمل في مساعدة أوربية لتحرير مصر من الحكم الأجنبى القابض عليها بيد من حديد ، سواء المماليك أو العثمانيين[١] .

وإذا مارجعنا إلى حُكم مصر ، نجد أن رحيل الفرنسيين قد أتبعته صراعات متعددة بين بكوات المماليك ، والقوات الاستعمارية التركيـــة، والقـــادة الدينييـــن المصريين . وكبار الوجهاء ، الذين ذاقوا طعم المشاركة في المشورة الحكوميـة ، تحت قيادة الفرنسيين ، وقواد مثل محمد على . والأخير كان ألبانيـــاً مُغـــامراً ، واستطاع من خلال التكتيكات والتحالفات، والغدر ، والعُنف ، أن يُسيِّطر علـــى مصر سنة ١٨٠٥ . ولم يتوقف الفرنسيون والبريطانيون عن تدخلهم في الشـــئون المصرية ، لتحقيق أهداف كل منهما ، في مصر.

وكان انتصار محمد على هو تطور هـــام فـــي تـــاريخ مصـــر . ويـــرى المؤرخون أنه هو " **مؤسس مصر الحديثة**"[٢] . ولما استقرت له الحال ، وضـــع نظاماً جديداً لمصر ، في الثلاثة عقود الأولى من القرن ١٩م ، وهو مـــا صـــار أساساً لتحضّرها لمدة مائة سنة تالية ، وذلك عن طريق تطويـــر نُظـــم الإدارة ، والإصلاح الزراعى ، والتصنيع ، والتعليم ، وتكوين جيـــش مصـــرى حقيقـــي ، وسيادة القانون والنظام . وقد قام الضباط والخبراء الفرنسيون بإسهامات كبـــيرة في كل تلك المجالات. وتركت فرنسا آثارها على الثقافة وغيرها [٣].

---

(١) تذكر مصادر أخرى أن الجنرال يعقوب قد تحرّك مع الأسطول الفرنسي خـــلال تركـــه مصر ولكنه مات في البحر قبل وصوله لفرنسا .

Cfr., Atiya. A History of Eastern Christianity (London 1968) pp. 101-103.

(2) Dodwell , A Study of Muhammad Ali (Cambridge, 1931).

(3) Holt, The Later Ottoman Empire in Egypt (Cambridge, 1970) p. 336.

وكانت تكلفة بسط القانون والنظام عالية . فقد تم ترويع القيادات الإســلامية الدينية (العلماء) سنة ١٨٠٩م ، وفي عام ١٨١١م ، دعا محمد على ٤٠٠ مملوك إلى حفل عُرس. وقام بقتلهم ، وهى أكبر خطوة في القضاء على قوة المماليك .

وقام محمد على بتحسين الإنتاج الزراعى ، واستصلاح الأراضى ، وأدخــل زراعة القطن ، واستطاع أن يركز مساحات كبيرة من الأراضى في يد أســرته ، وأعطى الفرصة للاستثمار الخاص ، وأبقى على أسلوب اســتغلال الفلاحيــن . وأصبح المستثمرون – بما فيهم الأقباط – قادرين على بناء مراكز قويــة لــهم ، من خلال النماذج الجديدة للملكية (نظام الالتزام).

وأما العلماء الذين جاءوا مع نابليون ، فقد وضعوا خططاً طموحة للتصنيــع في مصر ، ولكن لرغبة الأوربيين في الحصول على مواد خام ، مــن مصــر ، فوضعوا خططاً رديئة ، وكانت هى السبب الرئيسى في فشل مشاريع التصنيــع في مصر ، في القرن ١٩.[1]

وحاول محمد على النهوض بالتعليم وتحديثه بالخبرة الفرنســية ، وإن لقــى صعوبة في تحويل التلاميذ من نظام المكاتب الإسلامية إلى تعليم حديــث يُطــوِّر المجتمع .

واعتمد محمد على في جيشه على الفلاحين بدلاً مــن الممــاليك والالبــان والسودانيين ، ليكون قوة للدفاع عن الوطن، مع أنه هو نفسه كان أجنبى .

وقد تطورَّت العلاقة بين البابا بطّرس السابع (١٨٠٩-١٨٥٢) وبين محمــد على ، فأصبح من السهل عليه القيام بمشروعاته الإنشائية الكنسيّة.

ويذكر تاريخ البطاركة قصة شفاء أحد الأساقفة لإبنة محمد على بمعجــزة (شفاء الأنبا صرابامون أسقف المنوفية لزُهرَى إبنة محمد على من روح نجس).

1() Marsot, Egypt in the Reign of Muhammad Ali (Cambridge, 1984)pp . 258-260.

فلما أراد محمد على من مكافأته المالية لم يأخذها.ثم طلب منه نيافته إعـــادة تشغيل الأقباط الذين تم طردهم من الحكومة .

كما كانت صلاة البابا سبباً أساسياً في زيادة مياه فيضان النيل ، فـــي ذلـك الوقت .

وكان البابا بطرس (الجاولى) سابقاً راهباً في دير أنبـــا أنطونيـــوس ، وقـــد اقترح رسامته مطرانا لإثيوبيا ، ولكن تمت رسامته أسقفاً عاماً للكرازة المرقســية ثم رُقِي إلى درجة البطريركية بعد ثلاثة أيام من رحيل سلفه .

وقد تنيحّ البابا بطرس الثامن ، عندما فتح محمد على السودان ، وقد عـــاد الكثير من سكانه إلى المسيحية ، فرسم لهم البابا أسقفين على التوالى .

وقد استعاد الروم الكاثوليك نشاطهم في مصر ، ولكن كان لم يزل ارتبـــاط روما بالكنيسة القبطية بعيد المنال ، ولو أنه نتيجة لتأثير مجموعة من مستشـــارى الحكومة من الفرنسيين ، حاول محمد على توحيد كنيسة مصر مع كنيسة رومـا ، ووصلت به الحال إلى أمر رئيس ماليته المعلم غـــالى وإبنـــه أن يتحـــوّلا مـــن الأرثوذكسية إلى الكاثوليكية ، فقبلا مع مجموعة صغيرة من الأقبـــاط الانضمـــام للباباوية الرومانية في الظاهر، ولكن غالي خطّط للعودة للأرثوذكسية في وقــــت مناسب .

وقد أمر محمد على بقتل المعلم غالى لشكه في إخلاصه لـــه ، حيـــث دس البعض بقيامه بإبلاغ ميزانية الدولة سراً للبابا العالى[1] !!.

وبدأت الجمعية التبشيرية الإنجيلية نشاطها ، في العقد الثانى من القرن ١٩م بهدف " تجديد الكنيسة الشرقية وتبشير المسلمين بالمســـيحية" ، وقـــد ورد فـــي تقارير وسجلات الجمعية صوراً للأقباط – في ذلك الوقت – بأنهم فقراء – ماعدا

(1) Meinardus, Christian Egypt (Cairo 1970) p . 17 .

القلائل من العلمانيين الأغنياء. وعددهم كبير ، ولكنهم جـــهلاء ويميلــون إلـــى الخرافات[1] !!

وكان أول مُبشر إنجيلى انجليزى زار مصر هو وليم "جويت" (Jowett) ، لإنشاء مدارس وتأسيس جمعيات الكتاب المقدس ، ورفض البابا القبطى التصريـح له بالخدمة في الكنائس القبطية ، وأعلن له إنه هو نفسه سـيقوم بعمــل جمعيــة للكتاب المقدس ، وعلل جويت ذلك :" بأنه كان غيوراً من امتداد النفوذ الأجنبى".

وتدل سجلات الجمعية الإنجيلية على أنه من ١٨٣١ حتى ١٨٣٩ أتخذ البابا القبطى موقفا إيجابياً نحو جهود إثنين من الخُدّام السويسريين من بازل ، واللذيــن أرسلتهما جمعية التبشير، لتوزيع كتب روحية ، وبدء الخدمة في مصر .

وقد ذكرت البعثات التبشيرية أنه على عكس اليونان والكاثوليك ، فإن كهنــة الأقباط كانوا يشجعون شعبهم على اقتناء وقراءة الكتــاب المقــدس ، وأن البابــا وبعض الأساقفة شجعوا على توزيعه .

وقد جاء في أحد تقارير المبشرين إنه في فبراير ســـنة ١٨٢٨م، فــي بنــي سويف قوله : " دخلْتُ حجرة مدرسية – لا يمكن في بلدنا أن تكون مقراً لجحــش – ووجدتُ فيها كفيفاً مسكيناً (عريف المدرسة) جالساً علـــى الأرض ، بيــن ٢٥ طفلاً، وبجوار العريف كان هناك شماس ، وهو ولد في سن نحو عشرةُ أعــوام ، يعلم الأطفال القراءة".

وكان أول مجهود للمبشرين في التعليم،والذى بدأ سنة ١٨٣٣م بعمل معـــهد لتدريب المدرسين. وفي بداية عام ١٨٤٠ تسلموا رسالة لوضع خطة لبناء معـــهد لتعليم الكهنة الأقباط. وبارك البابا الخطة ، وتولى الإشراف عليه ، وكوَّن لجنـــة من أسقف وستة كهنة، وستة من كبار الأراخنة الأقباط الأرثوذكس ليتولـــوا إدارة المعهد .

---

(1) Church missionary Society, Rigisters , 1820 -1940 .

وجاء أثنان من الشمامسة من كل الكنائس القبطية الإثنى عشر من القـــاهرة وضواحيها ليكونوا طلبة ، لدراسة الكتاب المقدس واللغتيـــن القبطيـــة والعربيـــة والأقوال الروحية وتاريخ الكنيسة .

وافتتح المعهد القبطى سنة ١٨٤٢م ، وبعد ثلاث سنوات تمت رسامة ثلاثـــة من الخريجين بيد البابا القبطى ، ولكن بعد ثلاثة أعوام أخرى أُغلِـــق المعـــهد ، وجاء في تقرير البعثة التبشيرية " أنه قد تم إرسال طلبة غير صالحين للتعليـــم" !! وكانوا قد تركوا الخدمة الدينية ليعملوا في الحكومة، لإغرائها لهم بالعمل بها .[١]

والواقع أن البابا بطرس كان يشك في البعثات ، وقد اشتهر بأنه ضد نشـــر تعليمها (الإنجيلي) في مصر .

وقد ردّ جهود الكنيسة الروسية الأرثوذكسية في محاولـــة قبـــول الأقبـــاط لحمايتها ، مرتين . ففى عام ١٨٤٥م مضى رئيس دير روســـى إلـــى أورشـــليم: " لعمل اتحاد بين الكنيسة الروسية الأرثوذكسية وبين الأقباط اليعاقبة " ، ولكنـــه فشل[٢] في محاولته .

وفي مرة أخرى ، زار السفير الروسي البابا نفسه ، وعرَض عليه حمايـــة القيصر له ، فشكره قداسته لأنه ليس في حاجة إلى حماية أخرى غير حمايـــة الله، فلما علم محمد على بذلك زاد تقديره للبابا .

وتوسّع محمد على في الاستيلاء على الشام والحجاز والســـودان ، ووقفـــت ضده إنجلترا وفرنسا ، لأنهما أرادا أن يبقى الحال على ما عليه من حُكم الأتـــراك (Status quo) ، ولو أنه نجح في الاستقلال بمصر من النفوذ العثمانى .

وقد مال محمد على باشا إلى احتقار الأقباط ، ولكنه لم يستغنِ عن خدماتـــهم المتميزة . ولكن أحوالهم – في عهده– كانت أفضل من ذى قبل . ولو أنه فضّـــل الأرمَنَ عنهم[٣] .

---

(1) Egypt & Sudan Missions , p . 15.
(2) Volkoff , Voyageurs Russes en Egypte (Cairo , Instit . Français d'Arch-Orientale , 1972) p . 173.
(3) Letter (to the author), From Maurice Martin , June 9 , 1992 .

ومع أن مصر تطورّت في عهد محمد على ، لكن الكنيسة قد تـأخرت في يقظتها ، فقد قل الأدب القبطى العربى ، وكانت القرى بلا كنائس ، وكان الكهنة لا يعرفون سوى تلاوة القداس ، واقتصرت الرهبنة على التقوّى ، ولكن تمسكهم بإيمانهم كان قوة حقيقية لهم .

وقد استفادوا من نظام التعليم الحديث ، بدلاً من نظام "الكُتّـاب" (Kuttab) التقليدي ، حيث كانوا يتعلمون الدين والسلوكيات ، والقراءة والكتابة والعربية والقبطية ، وكان كل الأولاد يحضرون للدراسة ، بينما كانت البنات تشارك في الكتاتيب ، لو أرادت أمهاتهن . وكان الذكور يُعدَّون ليكونوا مساحيّ أراضٍ ، أو نُظار زراعة ، ومحاسبين وكتبة ، وصيارفة لجمع الضرائب ، وبعد دروس الكُتابّ كانوا يتعلمون على أيدى والديهم.ونفس أعمالهم .

وعندما فتح محمد على مدارس أميرية كانت غالباً للكل . وكان التعليم مرتبطاً بالثروة، مع الولاء الدينى. وكان من ثمارها إخراج أراخنة (علمانيين) أقوياء لهم تأثيرهم الهائل على كنيستهم .

وإن كان محمد على قد ناضل لربط مصر بالعالم الحديث ، فإن البابا القبطى **كيرلس الرابع** (١٨٥٤-١٨٦١) قد حاول أن يفعل نفس الشيء، للكنيسة القبطية. وكان إصلاحه، هو نقطة تحوُّل في تاريخ مصر المسيحية الحديثة .

وكان راهباً باسم داود ، وترهب في دير أنبا أنطونيوس سنة ١٨٣٨م في سن ٢٢ سنة، وبعد عامين فقط صار رئيساً للدير، وعلى الفور انشأ في " بوش" (ببنى سويف) – في أملاك الدير – مدرسة للأطفال ، ومعهداً تعليمياً للرهبان .

وقد أرسله البابا بطرس ، في مأمورية إلى إثيوبيا ، استمرت ١٦ شهراً ، وخلالها تنيَّح البابا سنة ١٨٥٢م ، وتم ترشيح داود ، ليخلُف البابا بطرس ، ولكن

ظهرت معارضة شديدة ومحافظة ، ربما لصغر سِنّه ، ولأفكاره المتطورة ، التي سيتخذها لتوجيه الكنيسة على ضوئها .

وقد تم الاتفاق على رسامة داود مطراناً عاماً ، كما حدث لسابقه ، وفي هذا الموقع استمر داود سنة وشهرين ، وسلك بطريقة جعلته مستحقاً للرسامة للبطريركية . وبالتالى صار البابا كيرلس الرابع سنة ١٨٥٤م .

وكان التعليم على رأس أولوياته ، فأسس مدارساً في البطريركية وحارة السقايين (بعابدين) مع التركيز على دراسة اللغات القبطية والعربية والأوربية ، وافتتح مدارساً للبنات . وأرسلت الطبقات العليا أبناءها لمدارسه ، التى ساهمت في تخريج الكثير من القادة للعمل فى الدولة،أواخر القرن ١٩ .

كما استورد البابا كيرلس الرابع مطبعة من النمسا ، وتم استقبالها باحتفال كبير من محطة السكة الحديد إلى دار البطريركية !!.

وكان مهتماً بتعليم رجال الكهنوت ، فكان يجتمع معهم أسبوعياً ، ويتناقش معهم في معلومات لاهوتية وقراءات روحية لتعليمهم .

وقد قام البابا كيرلس الرابع بترميم الكنائس ، واستكمّل الكاتدرائية المرقسية (بكلوت بك) بالقاهرة . وأعاد تنظيم إدارة أملاك (أوقاف) الكنيسة ، وأعد سجلات للمواليد والزواج والوفاة ، وأموال الكنائس .

وكان سعيد باشا قد تولى حكم مصر، في بداية بطريركية البابا كيرلس، وبصفته بطريركاً لمصر وأثيوبيا، فقد أرسله – في بعثة هامة- لإثيوبيا لكى يوقف التعديات البريطانية. وقد استغرقت منه سنة ونصف ولكن نجاحه الباهر، قد خُتِم بموته !!.

فقد كان يتصادق مع الطوائف ولاسيما الأرمينية واليونانية الأرثوذكسية، مما اعتبره سعيد باشاً منافساً لزعامته (تتهم الأستاذة إيريس المصرى

الدبلوماسيين الإنجليز والفرنسيين ببذر الشك في قلب سعيد من جهته ، فقام بقتلـه بالسُم)[١].

وعلى أية حال ، فقد تم استدعاء البطريرك من مقابلـة مـع البطريركييـن اليوناني والأرمينى إلى سعيد ، وبعدها بوقت قصير مات سـنة ١٨٦١م.وشـك الأقباط في قتل الحكومة له .

ويقول عنه ميناردُس :"كانت شخصيته الديناميكية ، وتفكيره الثـاقب ، قـد جذبت انتباه السلطات ، التى تخلَّصت منه بهدوء"[٢] (سراً) .

وكان لم يزل في سن السادسة والأربعين . ولم تتوقـف إصلاحاتـه بعـد نياحته ، ولكن كان على الكنيسة القبطية أن تنتظر قرنا آخر ، لتجـد بطريركـاً آخر مثل كيرلس الرابع في أفكاره المتطورة وديناميكيته .

ولو أدرنا عقارب الساعة إلى الوراء ، نجد أنه بعد موت محمد على سـنة ١٨٤٨م ، تولى بعده أكبر أبنائه إبراهيم باشا ، ثم مـات بعـد أشـهر قلائـل ، فخلفهما الحفيد عباس ، الذى حاول أن يقلب جهود جدّه ، في تحديـث مصـر ، وحكم سبع سنوات ، طرد فيها المستشارين الأجانب الذين جلبـهم محمـد علـى وإبراهيم باشا ، وأغلق المدارس الأميرية ، وقضى على النفوذ الفرنسي ، ومنـح الموافقة للإنجليز على مد خط سكة حديد من القاهرة للإسكندرية ، وكان محمـد على قد عارضه من قبل.

وقد خلفه عمه سعيد باشا ، الذى قلب السياسة المضـادة للأوربييـن فـي مصر، وأعطى شروطاً سخية لمشروع قناة السويس . وما كلـف مـن تجـارة الترانزيت كان أكثر من مكاسبه منها .

---

(1) Iris el- Masri , op. cit ., pp. 517 -518.
(2) Meinardus , op . cit ., p . 20.

وكان من أسوأ سياساته استدانته أموالاً ضخمة من الخارج ، وهو ما أوقف للتطور الصناعى في مصر ، ودفع صغار الفلاحين للدائنين من التجار الأجانب المواد الخام ، وأخيراً كلفّ مصر استقلالها .فقد نتج عن أعماله احتلال مصر ، وليس تحديثها ، كما أراد !!.

وكان حكم سعيد باشا من ١٨٥٤ إلى ١٨٦٣ ، وهو يتوازى تماماً مع حبرية كيرلس الرابع . وكانت قد نشأت بينهما صداقة . وقد ساوى الأقباط بغيرهم، وأدخلهم الخدمة العسكرية مع باقى المصريين. وألغى الجزية التقليدية على المسيحيين واليهود[٣] .

ولكن لسوء الحظ كان التجنيد ضاراً بالأقباط . فقد تم سحب الذكور من أسيوط – وهى أكبر مدينة بها مسيحيين– وتركوا نساءهم وحقولهم (ليموتوا في حروب لا دخل لهم فيها) . ولذلك تدّخل البابا كيرلس – وبضغط من إنجليز من ذوى النفوذ– حصل على إعفاء للأقباط من التجنيد[٤] .

وقد تولى بعد سعيد ابن عمه الخديوى إسماعيل ، الذى استمر في جهود سعيد في تبذير الأموال للتحديث ، ومن نتائجها فقدان استقلال مصر ، لأن الدين الخارجى قد زاد بسبب ارتفاع نسب الفوائد المطلوبة للأجانب ، والرشاوى المرسلة إلى العاصمة العثمانية للحصول على الاستقلال الكامل عن السلطة التركية سنة ١٨٧٣ ، الذى لم يكن له معنى تحت ثقل الديون الأجنبية التى قادت أولاً إلى الرقابة المالية الأوربية، وإلى الاحتلال البريطانى المباشر ، بعد ذلك.

وقد تولى البابا ديمتريوس الثانى الكرسى المرقسى حتى سنة ١٨٧٠م، وقيل إنه اقتفى أثر.سابقه، فأكمل الكاتدرائية ، وأشرف على المدارس ، ولم يترك

---

(3) Staffa , Conquest & Fusion (Leiden, 1977) p . 242.
(4) Wakin , The Modern Story of Egypt's Copts (New York, 1963) p. 10.

إصلاح أحوال الكنيسة (إقامة مجلس ملى) وقد حذّره سعيد باشا من نتائج التشــدّد فى التعامل مع رجال إدارة الكنيسة (المجلس الملى).

ولم تستمر العلاقات الجيدة – التى بدأها البابا كيرلس الرابـــع – مـــع بـــاقى المسيحيين فى عهد ديمتريوس. وقد تعب بسبب نجاح البعثات التبشيرية المشـيخيّة (Presbyterian) الأمريكية فى جـــذب كثـــير مـــن الأقبـــاط (للبروتســـتانتية) ، وخصوصاً فى مناطق مثل أسيوط والمنيا ، التى كانت بـــها نسـبة كبـيرة مـــن الأقباط، وكانت المدارس المشيخية جيدة الإدارة ، مثل المـــدارس الكاثوليكيـــة ، فجذبت الكثير من الجماعات القبطية للبروتستانتية والكاثوليكية.

ويقول ميناردوس ، الراعى الألمانى المعاصر ، والمتخصص فى الدراســات القبطية الأرثوذكسية :" إن بعض الأقباط المتعلمين الذين لم يرضـــوا بالارتخــاء القبطى الروحى، والمؤامرات فى الكنيسة القبطية ، قد انضموا للكنائس التبشــيرية البروتستانتية"(٥) .

وقد كتب الأديب المثقف سلامة موسى، فى القرن العشرين ، قـــائلاً : " إن الأقباط ورثوا علمهم الكنسى الطقسى القديم، وقد تحجُّروا تحت الحكم البـيزنطى"، وأضاف قائلاً :" إن البروتستانت قد استمالوا لجانبهم بعض المسيحيين ، ولولاهـم ما قامت الكنيسة الأرثوذكسية من سُباتها الطويل منذ العصور الوسطى"(٦).

وقد كتبت السيدة الإنجليزية لوسى جوردون ، سلسلة من الرســـائل خـــلال حبرية البابا ديمتريوس، وقد انتقدته فى إحداها، بسبب غضبـــه مـــن الحمـــلات التبشيرية البروتستانتية ، وميله إلى طلب دعم الحكومة ، حيـــث :"اســتمر فــي اضطهاد الذين انضموا للطوائف البروتستانتية ، بمساندة الحكومة لـــه . وكـــانوا يعرفون أن الأوربيين سيقفون إلى جانبهم"(٧)!! .

---

(5) Meinardus, op. cit . p. 20.
(6)The Education of Salama Musa, trans. Schnman, (Leiden 1961) pp. 14- 15.
(7) Letters from Egypt (1862-1869) New York, 1969.

وقد تدخلت السفارات الأجنبية لصالح البروتستانت ، فقد ضغط قناصل الولايات المتحدة وإنجلترا على الخديوي إسماعيل لمنع التدخل في شئون أعمال البعثات التبشيرية البروتستانتية فى مصر.

وقد أشارت لوسى (Lucie) في رسائلها بقولها :" لا أستطيع أن أصف مقدار رقّة الأقباط ذوى الطبقة العالية ، ولكنى رأيت فقراء الأقباط في حياة لا تسُّر". ، ولكنها كانت تبتهج بإرسالهم أولادهم للتعليم في مدارس الكنائس البروتستانتية ، " رغم عدم رضا الشباب القبطى عن ذلك، مع كهنتهم المتمسكين بالعادات القديمة".

وبعد نياحة البابا ديمتريوس سنة ١٨٧٠ ، تأخرت الحكومة في إصدار قرار لتتم رسامة بطريرك جديد للطائفة (القبطية الأرثوذكسية) ، وبقى الكرسى المرقسى شاغراً لمدة ٤ سنوات ، وخلالها بدأ الإصلاح في الكنيسة القبطية .

وقد كانت السياسة الاقتصادية لعائلة محمد على وإعطاء الفرص التعليمية التى بدأتها الحكومة والكنيسة ، قد أخرجت – بحلول عام ١٨٧٠– عدداً متميزاً من المثقفين الأقباط العلمانيين الأقوياء ، الذين كانوا على استعداد لتحدّى رجال الإكليروس الفقراء بصفة عامة، والمحدودى التعليم ، وتولى قيادة كل مجالات الإدارة في الكنيسة.

ويجب أن أذكر هنا ، أن الأقباط لم يعتقدوا أن رجال الكهنوت ليسوا أكثر قداسة أو ولاءً من العلمانيين، للكنيسة المصرية .

وقد انتقد بعض الأساقفة البابا كيرلس الرابع – أبى الإصلاح– لجهلهم وجشعهم (أو لبخُلهم) ، أو لاختيارهم من بيئات منخفضة[1] !!(وكان يرى أنهم

---

(١) تعليل الكاتب به شيء من التحامل ، في نعتهم بهذه الصفات الذميمة بصفة عامة ولم يكن كلهم بهذه الخلال بطبيعة الحال ، إذ كان منهم قديسون متميزون مثل الأنبا صرابامون (أبو طرحة) أسقف المنوفية .

ممتازون ولكنهم لا يزالون في فقر تعليمي)، بينما رأى الأراخنة أن الأساقفة والرهبان هم الذين سيطروا على الأوقاف القبطية ، وطالبوهم بالاشتراك في هذا النوع من الإدارة الكنسية لصالحها بالطبع .

وبعد نياحة البابا ديمتريوس ، تولى الأنبا مرقس – مطران الإسكندرية– رعاية شئون الكنيسة حتى يتم رسامة بطريرك جديد، وقام خمسة من العلمانيين – من خريجي مدرسة البابا كيرلس– بما فيهم المؤرخ يعقوب نخلة روفيلة– بتأسيس جمعية للإصلاح، للدعوة لمساعدة الكنيسة في إصلاح المجلس الملى الهزيل[1] .

واختار المطران بطرس (النائب البطريركى) بعض نوابغ الأقباط ، لمساعدته في عمله، وطلب منهم الانشغال – بوجهٍ خاص– بالشئون المالية للكنيسة .

ولما وجدت الأمة القبطية أن هذا النظام فعَّال ، قرروا الحصول على إذن من الحكومة لقيام مجلس ملى ، لمساعدة البطريرك (في إدأرة شئون الكنيسة) .

وقد وجد بعض العلمانيين (الأراخنة) أن تعليمهم وخبرتهم (الإدارية) لا تتساوى مع مستوى تعليم رجال الإكليروس • وأن إدارتهم لأموال الأوقاف القبطية غير مُرضيّة . وطالبوا بالنظر – أيضاً– في (تعديل) قانون الأسرة (الأحوال الشخصية) .

وقد وافقت الحكومة على فكرة إنشاء هذا المجلس برئاسة البابا . وقام بطرس غالي باشا – وهو أحد الذين تعلموا في المدرسة البابوية القبطية – بالحصول على فرمان (قرار) للمجلس ، من الخديوى إسماعيل • وتم انتخاب أول مجلس (ملى) سنة ١٨٧٤ في وقت رسامة البابا الجديد ، لتحيَّته ، ولكن لم يكن من المتوقع أن يُسَّر بالتدخُّل في مسئولياته التقليدية[2].

(1) Seikaly, "Prime Minister & Assassin, Butrus Ghali & Wardani", Middle East Studies, 13 (1977), 40-41.
(2) Meinardus, op. cit. p. 22.

وأما البابا كيرلس الخامس – المُسَّمى سابقاً حنا– فقبلئذ علّمه أخوه الأكبر ، وأحب الوحدة (الخلوة)، فترك أسرته وأعُيد لبيته. وترهَّب – في محاولة ثانية– عندما كان لم يزل في سن التاسعة عشرة، بدير البراموس بوادى النطرون، واشتهر بسرعة بسبب نُسكه، فتمت رسامته كاهناً في سن ٢١ سنة. وساعد الرهبان بنسخ المخطوطات لهم، وصار مسئولاً عن الدير. وامتاز بالنظام والكرم.

فاستدعاه البابا ديمتريوس ، ورقّاه إلى درجة قُمّص (hegoumenos).ثم جعله على رأس الجهاز الإدارى بالبطريركية ، فارتفعت شكوى الرهبان الموجودين . فاستطاع العودة إلى ديره . وأستمر في نجاحه، مما تسَّبب في انتخابه بطريركاً بعد أربعة أعوام (١٨٧٥م).

وقد حمل اسم كيرلس الخامس ، واهتم بالتعليم. فافتتح مدارساً جديدة ، وساعد على النهوض بالأديرة والكنائس ، وأشرف على دراسات الرهبان والإكليروس ، بطبع كتب روحية وفتح مدارس للرهبان ، وأعد برامجاً لتطوير اللغة القبطية .

وقد كرمّته حكومات مصر وأثيوبيا والسلطان العثمانى، وشارك في مجلس الشورى. ومع حلول عام ١٨٩٤ كان قد رسم ١٩ مطراناً وأساقفة آخرين، ويبدو نشاطه من المُدَّون في سيرته، حيث سُجِل بأنه امتاز بأنه كان ناسكاً، وخَيِراً، وراعياً صالحاً .

ومع ذلك بدأ صراع طويل بين البابا كيرلس الخامس وإدارة المجلس الملىّ من العلمانيين قبل عام ١٨٩٤م ، وقال مؤرخ سيرته "وقد نال هذا الأب توبيخاً (١٨٩٢–١٨٩٣) بسبب خلافات نشأت في ذلك الوقت". ولكن هذا الجزء من القصة سيكون موضوع الفصل التالى .

وفي الواقع ، سارت الأمور على ما يُرَام في بداية أيام البابا كيرلس الخامس، وتمت الموافقة على إنشاء الكلية الإكليريكية ، ولكن عندما تدخّل

أعضاء المجلس الملى في النواحى المالية انسحب البابا من المجلس. وبذلك فقد قدرته على العمل. وكذلك أغلق البابا كلية اللاهوت ومدرسة بنات. وبدون تعاون البابا - في كنيسة ذات نظام كهنوتى متسلسل - فإن كل الإصلاحات ، التى كانت هى مجرد تأسيس جمعيات تطوعية، مثل الجمعية الخيرية (١٨٨١م) وجمعية التوفيق القبطية وغيرهما[1]، لمساعدة المحتاجين وإنشاء المدارس حسب طاقتهم.

وقد رأس بطرس غالى باشا الجمعية ، التى كان من هدفها إحياء الأفكار الإصلاحية. وكان من بين المثقفين المشهورين في مصر - في القرن العشرين- القبطى **سلامة موسى** ، الذى تعلم في مدرسة الجمعية الخيرية الابتدائية .

وقد تطور التعليم بالنظام الأوربى - في عهد الخديوى إسماعيل- وأخرج عدة موظفين ، أصبحوا قادة للإصلاح ، والحركة الوطنية ، في بداية القرن العشرين، وساعدت مشروعات إسماعيل الصناعية في تحسين المدن والمواصلات، والبنية التحتيّة . وتشجعت الفنون والآداب ، وارتفع الإنتاج الزراعى بدرجة ملحوظة .

وقد استفاد الأقباط - بصفة عامة- من حكومة مصر، والحركة نحو المساواة،التى بدأت في عهد سعيد باشا ، كانت في الواقع بيد إسماعيل . ونما نشاط الأقباط في الحكومة والعمل الحْر ؛ لذلك نرى أن عهد إسماعيل يُعدَّ **"عصرهم الذهبى"**[2].

وُيقال عن هذا العهد :" إن مصر بدأت نهضتها بإسماعيل " ، ومع ذلك ، كان تبذيره واستمراره فى الاستدانة من الخارج بكمية كبيرة ، كان سبب سقوطه والقضاء على الاستقلال ، الذى سعى محمد على جاهداً على تحقيقه !!.

---

(1) Seikaly, Coptic Communal Reform, 247-275.

(2) Behrens – Abouseif, The Political Situation of the Copts, (New York, 1982) p. 192.

وكانت الفوضى التى عمت حكومة إسماعيل ، والتى لم تكن لديها الخبرة السياسية ، قد قادت للاحتلال البريطانى . وكانت الستة أعوام السابقة على الاحتلال ... ببساطة صراعاً بين الحكام والجيش المصرى الجديد والدولة العثمانية والقُوىَ العُظمى (وعلى رأسها إنجلترا وفرنسا وأيضا إيطاليا والنمسا) التى قررت ما سيحدث لمصر وشعبها .

وأحداث القصة بدأت من ١٨٧٦م ، عندما أرغمَ الأوربيون الدائنون على تعيين لجنة للدين (Caisse) والمراقبة الثنائية (من إنجلترا وفرنسا) إلى الاحتلال الإنجليزى سنة ١٨٨٢،صعبة للغاية ، في محاولة تفصيلها . وعلى أية حال يمكن تلخيصها من كتاب تاريخ البطاركة ، الذى تمت كتابته بعدها بقليل ـ ومن وجهة نظر قبطية ـ كما يلى :

- "**حدث تنازل الخديوى إسماعيل عن عرشه** (سنة ١٨٧٩) ، وحكم بعده ابنه توفيق باشا ، وفي أيام هذا الخديوى حدثت حادثة هامة ، انتشرت في كل العالم الخارجى .... ففى نحو نهاية عام ١٨٨٢ ، قام أحمد عرابى باشا مدير الخدمة العسكرية،بالثورة ضد الخديوى ، والدولتان – إنجلترا وفرنسا – قامتا بتهديده ، وأمرتاه أن يتوقف عن ثورته فلم يفعل . وقامتا كلتاهما بإرسال أسطولهما إلى ميناء الإسكندرية. وهددتاه بضربها بالقنابل . وبدأ في تحصين القلاع وإعداد القوات".
- "وحارب الإنجليز ضده ، وهزموه في معركة التل الكبير (في سبتمبر سنة ١٨٨٢) وتتبعوا قواته وتقدموا إلى القاهرة ، ودخلوها في اليوم التالى ، بدون أدنى مقاومة ، ولم يحدث منهم أدنى ضرر لأى واحد ، وهو أمر مُدهش لنا . واستولوا على القلعة ، وقبضوا على عرابى وأصحابه ، وأعلنوا سيادة الخديوى توفيق على مصر ".
- "وبعدما حاكموهم (عرابى وزملاءه الضباط) وأثبتوا خيانتهم ، أعفوهم من عقوبة الإعدام ، ونفوهم إلى جزيرة سيلان بالهند. وهذا هو سبب دخول الإنجليز

فى مصر، وأما تدخلهم في إدارة البلاد مع الخديوى ، فلم يمنـــع تبعيتــها للدولــة العثمانية".

- " ولم تكن هناك مناقشة بين الأقباط وعرابى، أو مع الإنجليز، ولكن يبدو أنـه رغم ذلك ، فقد رجا البابا – مع باقى القادة الدينيين بمصر – الخديوى توفيـــق ، لكى يُبقِى عرابى وزيراً للحربية، لأنه كان قد هدد بقتلهم، لو أنهم فشلوا في هـــذه المهمة" !![1] .

وقبل نهاية المخطوط القبطى نجد إشـــارة إلـــى حـــال الكنيســة القبطيــة ، وإيبارشياتها، حتى عام ١٨٩٤م ونصه :"إن الدولة المصريـــة (١٨٧٤-١٨٩٤) كانت فـــي قمـــة عدلـــها ونظامـــها وترتيباتـــها ، وأزالـــت التعصـــب الدينـــى (fanaticism) وساوت بين رعاياها – المسيحيين والمسلمين– ومحـــت معظـم الظلم، وعملت لصالح السكان".

ويستمر الكاتب في الإشارة إلى :"التحسُن في المواصلات المحلية والدوليـة ، وفي الرى ، والتصنيع والميكنة". مع وضع قوانين ورقابة تامة. مع سيادة الحرية الدينية ، وفتح المدارس،ونشر العلوم والفنون والآداب ، وتحسنت أحوال القـــاهرة والإسكندرية بدرجة عظيمة. وأُوفِدت البعثـــات للخـــارج ، وتأسســت الـــهيئات الهندسية والعلمية والسياسية ، لتنظيم البلاد".

"وكانت بداية هذه الهيئات في عهد محمد على باشا (الكبير) ، ولكنها توقفـت عن الزيادة في أيامنا (١٨٩٤م).. وقصارى القول،صارت مصـــر مثـــل الـــدول الأوربية في منظماتها ، والحمد لله على نعمته".

أما القرن التالى ، فكان أكثر إثارة للأقباط بما فيه من إنجـــازات، والتقـــهقر للخلف، كما سنراه في فصولنا الختامية .

---

(1)* The Earl of Cromer (Evelyn Baring), Modern Egypt, 2 vols. (New York 1908), I.p . 277.

* Rowlatt, Founder of Modern Egypt (New York, 1969) pp. 73 & 114.

الفصل العاشر

القرن العشرون (الجزء الأول)
(١٨٨٢-١٩٥٩)

تعرضت مصر كأمة،والأقباط كجماعة،لأحوال عُسر ويُسر ، خلال القرن العشرين . وقد بدأ الكثير من الأقباط – في هذا القرن– بآمال عريضة. ونتيجة لفرص التعليم والأنشطة العلمية نال الأقباط ميزات كثيرة، لأنه حيث العلم والمال تزداد القوة.

وكان المسيحيون المصريون قد توقعوا معاملة أفضل من المسيحيين الإنجليز، مما نالوه من الدولة العثمانية الإسلامية ووكلائها في مصر . ولكن خيَّب الإنجليز رجاء الأقباط – لأنهم مثل الغُزاة الفرنسيين في القرن السابق – قرروا أنه من الحكمة الارتباط بالأكثرية المسلمة المُسيطِرة ، بدلاً من التعلُّق بأقلية (قبطية) مُحتقَرَة !

ومن الواضح أن كبار الأراخنة الأقباط قد دخلوا في صراعات – لمدة ثلاثة أرباع القرن– مع رجال الإكليروس وعلى رأسهم البابا والأساقفة ، بخصوص إصلاح الكنيسة ، والإدارة السليمة لشئون الكنيسة المصرية .

وقد ظل البابا كيرلس الخامس على كرسيه من عام ١٨٧٤ حتى عام ١٩٢٧، وكانت مصر قد تقدمت، في حين ظلت قيادة الكنيسة،كما هي منذ عدة قرون.

وكان العلمانيون من أعضاء المجلس الملي يريدون الإشراف على الأوقاف وتعديل قوانين الأحوال الشخصية – مثل الزواج والتطليق– وقد كانت من اختصاص المجالس الملية رسمياً . كما زاد الأراخنة رقابة أشد على صحافة الكنيسة ومدارس الكنيسة ، وحثوا على ضرورة تعليم رجال الدين تعليماً أفضل.

وقد أوقف البابا كيرلس الخامس جهود أول مجلس ملى، لأنه كان رئيسه، ورفض المجلس بكامله، فتم حلّه. ثم ضاعف القادة العلمانيون جهودهم، من خلال جمعية "التوفيق" القبطية، وجمعية المعونة القبطية، لتنظيم مصادر الكنيسة المادية لمساعدة الشعب القبطى الفقير. وفي عام ١٨٨٣ أُعيد المجلس واستمر في كفاحه.

وقد رفض البابا انتخابات سنة ١٨٩٢ ، فتم رفع الأمر للحكومة ، وتم نفى البابا في ديره ، ولكن بعد خمسة اشهر استطاع العودة إلى كرسيه بانتصار ، ليستمر في صراعه مع العلمانيين للسيطرة على الأوقاف والمدارس ، والجمعيات الخيرية ، وفي مجال تنظيم الأحوال الشخصية[١] .

ومع ذلك رأى أنه من الأفضل إصلاح الأحوال . ففتح مدارس جديدة وأعاد فتح الإكليريكية ، وأرسل نشرة دورية لكى يكون كهنة الإيبارشيات أكثر اهتماما بمسئولياتهم الرعوية . وأنشأ مكتبة للبطريركية، وأوقف كثيراً من الأراضى على مشاريع الكنيسة.

ومن الإحصائيات عن وضع الكنيسة القبطية – في أوائل القرن العشرين – جاء في تقارير لأثنين من الكهنة الانجيليكان في مصر ، وفي تقرير سنة ١٩٠٦ لثرونتون (Thornton) عن المدارس المسيحية . أن الكنائس القبطية تضم أكثر من ستمائة ألف عضو ، ١٠٠ مدرسة قبطية أرثوذكسية منها ٢٧ مدرسة للشهادة الإبتدائية[٢] .

وفي حديثه عن الأقباط ،ذكر الأرشيدياكون داولنج (Dowling) سنة ١٩٠٩، أن الكنيسة القبطية لها ٨٥٠ كاهناً ، ٤٦٠ كنيسة ، ١٢ ديراً ، ٤٥٠ راهباً ، ٥٥ راهبة ، وستة وخمسون واعظاً علمانياً ، وأقل من مليون قليلاً من الأقباط يصلون في كنائسهم، ولهم ٨ مطارنة ، ١٢ أسقفاً [٣].

---

(1) Seikaly, The Copts Under British Rule (1882-1914), [Dissertation Univ. of London, 1967].

(2) Douglas Thornton, The Eductional Problem in Egypt in Relation to Religious Theaching, Church Mission. Intell. , 57 (1906) 561-8.

(3) Dowling , The Egyptian Church (London 1909) p. 12.

وقد ذكر باحث قبطى، أنه سنة ١٩٠١م كان الأقباط يكوُنون اكثر من ٤٥% من العاملين بالحكومة ، ومنهم ١٠٠% صيارفة ، ودفع الأقباط ١٩% من ضرائب الأرضى[١] .

وذكر عالم قبطى متخصص في تلك الفترة أن أملاك الكنائس والأديرة القبطية (الأوقاف) سنة ١٩٠٦م بلغت ١٥٠٠٠ فدان من الأراضى الزراعية الجيدة ، وأنه في عام ١٩٠٧ كان عدد الأقباط نحو ٧% من السكان ، وكانوا يمتلكون ١٦% من الأراضى المزروعة والمبانى ، ولهم نحو ٢٥% من ثروة الأمة. ويشرفون على ٦٠% من التجارة المصرية . وكانوا يعملون في الوظائف الحكومية ، والحِرَف ، والزراعة ، ويمكن أن يُقال أنهم هم الذين كانوا يقودون مصر نحو المستقبل الأفضل[٢] .

ويتضح لنا من هذه التقارير الأربعة أن الأقباط في أوائل القرن العشرين كانوا يُنظر إليهم على أنهم هم الذين سينهضون بمصر الحديثة ، بالاستفادة بالثقافة والتكنولوجيا الغربية ، والنهوض بالتجارة أيضاً.

وبينما كان الأقباط يدخلون القرن العشرين بخطوات قوية – ولكن بطيئة بعض الشيء – فإن الاحتلال البريطانى كان يُسيطر على حكومة مصر . وكان التدخُّل الأوربى أمراً محتوماً، على ضوء ديون مصر الأجنبية الكثيرة . ومن العجيب أنه لم يكن تدخلاً فرنساً ، مع أن فرنسا كان لها نفوذها ومصالحها في مصر ، منذ غزوة نابليون ، وقيام أسرة محمد على . بينما سايرت إنجلترا الدولة العثمانية في مصالحها في مصر .

وكان الإنجليز يتوقعون أن يشاركهم الفرنسيون في احتلال مؤقت لمصر ، كما ساهموا معهم في ضرب الإسكندرية بالقنابل ، في أول خطوة للإحتلال .

---

(1) Assad, The Coptic Church & Social Change in Egypt, International Review of Missions, 61 (1972), 120.

(2)* Seikay, Coptic Communal Reform, pp. 247-275.

* Baer, A History of Land Ownership in Modern Egypt, 1800-1950 (London, 1962) p. 179.

ولكن تغيُّراً في حكومة فرنسا قد ترك الإنجليز وحدهم في المغامرة ، ولم تكن بريطانيا تنوى الرجوع عنها . وكان اهتمامها الأكبر " قناة السويس" ، التى هى حلقة الوصل الحيوية لها إلى مستعمراتها في الهند ، مما جعل مصر مهمة للإمبراطورية البريطانية ، ولم تترك مصر حتى ١٩٥٦.

وسرعان ما صار إيفلين بارنج (Evelyn Baring) "**اللورد كرومر**" (Cromer) ، الذي سيطر على مصر ، وشارك في المفاوضات الاقتصادية الأولى مع مصر ، وبعد جولة في الهند ، تم استدعاؤه ليكون مسئولاً عن مصر.

وكان إدارياً ممتازاً ، ولم تكن له اهتمامات سياسية بالسيطرة على كل مساحة مصر (= يُهم الإنجليز السيطرة علي القناة بالذات) ، وأصرّ على **أن غزو بريطانيا ، تم بناء على موافقة حُكام مصر الشرعيين**[١] ، وأنه جاء لحل مشكلة الديون الخارجية، والاستقرار الحكومى !!.

وليس ثمة شك في من يُصلح ، ويحكم مصر ؟! وقد أعلن اللورد جرافيل (Granville) رسميا :"إنه يجب أن يكون واضحاً للوزراء المصريين ، وحكام المديريات (المحافظات) أن المسئولية التى تقع على عاتق إنجلترا - تضطر حكومة صاحب الجلالة- الإصرار على تبنى السياسة ، التى يُوصُون بها ، وأنه من الضرورى على هؤلاء الوزراء والمحافظين (المصريين) الذين لا يتبعونّ هذا الطريق، أنه يتخلوا عن وظائفهم"[٢] .

وحقق كرومر أهدافه (الاستعمارية) وكانت من نتيجة إدارته ، تحطم كل آمال الأقباط الكبار !!. وكان يعتقد أن الإسلام ضد المرأة ، وغير متسامح ، وذي تأثيرٍ ضار بالمجتمع ، ولكنه رأى أنه من الضروري احترام عاداته[٣] .

---

(١) وهو خداع من المستعمر ، لأن الخديوى توفيق لم يطلب تدخُّل الإنجليز ، في صراعه مع عرابى ، ولم يطلب منهم أيضاً احتلال مصر ، وقد أثار كلامه فرنسا.

(2) Margoliouth et al., Egypt, Ency. Brit. (ed. 1957)..

(3) Cromer, op. cit., vol. I,p. 143.

ومن سُخرية القَدر أن هذا المسيحى البريطانى، الذى وجد أن الإسلام قـد : "انتهى (مات) (moribund) سياسياً واجتماعياً"[1] قد جعل الإجـازة الأسـبوعية رسميا الجمعة، وأن القرآن الكريم هو الكتاب الدينى الوحيد المُعترَف به رسـمياً . وأن الشيخ المسلم هو المُعلم الوحيد ، المسموح لـه بـالتدريّس فـي المـدارس الحكومية !! .

وقد قال مبشّر أمريكى :"إن الاحتلال البريطانى قد قوّى بشدة مـن مركـز الإسلام في مصر"[2].

وفي عام ١٩١١ كتب متخصص إنجليزى شهير – في التاريخ المصـرى – ما يلى :" كانت سياسة حكومتنا التى مارستها هى رفع شأن المسلم ، والوطأ على المسيحى بالقدم ،والتصريح للأكثرية ، وحرمان الأقلية"[3] !!

وقد وجد كرومر الأقباط أوفياء ، ولكنهم ليسوا أعلى أخلاقيا من المسلمين ، الذين أثّروا في سلوكيات الأقباط بممارستهم . كمـا اعتقـد أن الأقبـاط ليسـوا ودودين، رغم أنهم كانوا يتوقعون (من الإنجليز) معاملتهم بطريقة أفضـل (مـن غيرهم)!!.

وفي الصراع الذى نشأ بين البابا كيرلس الخامس والقادة العلمانيين[4] الأقبـاط – عن الإصلاح في الكنيسة القبطية– دعم كرومر الإصلاحيين العلمانيين ، لأنـه وجد أن رجال الدين الأقباط غير معقولين !!.

وكان يعتقد أن المسيحيين مهرَة "في وسائل القياس" ، ولكنه فضّـل تعييـن السريان والأرمن في الإدارة. وقد أعلن أن المسيحيين السريان هم "ذُبدة مثقفـي الشرق الأدنى"، وأن :"المصريين الذين تعلموا في أوربا كرهوا المسيحيين أكـثر مما فعله الشعب"[5]

---

(1) Ibid, vol. 11. , p. 184.
(2) Thornton, op. cit. pp. 656-657.
(3) Butler, Copts & Moslems Under British Control (New York 1971).
(4) Cromer , vol . 2. , pp. 211-212.
(5) Cromer., 2., 220.

وكانت سياسة كرومر الاقتصادية ، هى طبق الأصل للسياسة الاستعمارية في القرن ١٩ ، وترمى إلى تفضيل تنظيم وتطور الإنتاج الزراعي تكنولوجيا للتصدير ، مع تخفيض الضرائب على الواردات ، لعدم تشجيع الإنتاج الصناعى (المصرى) الذى قد ينافس الواردات البريطانية[1] .

وقد استفاد الأثرياء الأقباط من تحسين الإنتاج الزراعى ، إلا أنهم عانوا – مثل غيرهم من رجال الأعمال والصنّاع – من سياسات كرومر. **وقد كان تأثير الاحتلال على التعليم مُدمِراً** ، فقد خفّض الإنجليز – في الواقع– من الاستثمار في التعليم ، عما كان عليه الحال في القرن السابق[2] ، وربما كان الاستعمار ينظر إلى التعليم على أنه تهديد محتمل لسيادته على مصر .

أما بالنسبة للتأثير الثقافى الأوسع للاحتلال، فكان من المُحتّم سيادة التأثير الإنجليزى عن الفرنسى، مع أن التأثير الفرنسى ظل قوياً. وكان الكاتب القبطى (الغير مؤمن) الرديكالى سلامة موسى، قد رأى إن :"نهضة مصر بدأت مع إسماعيل (١٨٦٣–١٨٧٩) وأن الاحتلال الإنجليزى قد أرجع مصر إلى الخلف فعلاً"[3].

وفي الأيام الأخيرة من حكم كرومر ، حدثت حادثة "دنشواى" سنة ١٩٠٦ ، حيث احترقت حقول فلاحين (بالمنوفية) بفعل قيام جنود إنجليز بالصيد ، ونتج عنها موت ضابط بريطانى ، وتولى المحاكمة بطرس غالى ، وكان وزيراً للعدل. ودخلت مصر في خندق في الشهور التى تم فيها إحلال كرومر بألدُون جورست (Gorst) ، فلم يترك كرومر مصر بلداً مزدهراً ، كما زعم !!.

وتميّز جورست بأنه وضع سياسات متحررة ، عكست أفكار حزب الأحرار، الذى حكم إنجلترا . وتبنى نظرية تقول بأن إنجلترا تهدف إلى أن تشمل

---

(1)Vatikiotis, The History of Egypt (3rd ed. John Hopkins Univ. 1985) p. 211.
(2)Goldschmidt, Modern Egypt (Westview, 1988)
(3) Salama Musa, Intellectual Currents in Egypt, Middle Eastern Affairs, 2 (1951) 267-268.

تحركات نحو إشراك المصريين في حكومة بلادهم . وتولى بطرس غالى رئاسة الوزارة . وكان الأمر ظاهرياً شرفاً للمجتمع القبطى . وقد وُصِمَ في حادثة دنشواى (كرئيس محاكمة)، وفي عام ١٨٩٨ م ، قد وقّع على معاهدة الإدارة المشتركة الأنجلو – مصرية للسودان ، كوزير للخارجية المصرية . ولم يكن محبوباً ، لأسباب أخرى [(١)]!!.

وقد قيل :"إنه بالتأكيد ، ليس هو القبطى ، الذى يصير رئيس وزراء"[(٢)] !! ولذلك لم يكن من المُستغرّب أن يتم اغتياله في بداية سنة ١٩١٠ بيد مسلم (=الوردانى) كان عضواً بالحركة الوطنية .

وتجمّع الأقباط المتضايقون في مدينة أسيوط بالصعيد ، حيث كانوا أقوياء . وطالبوا بإجازة (أسبوعية) يوم الأحد ، وأن التعيين يكون على أساس الكفاءة . وتعليم الدين المسيحى بالمدارس ، ومشاركة الأقباط في الأجهزة الحاكمة .

وتم عقد مؤتمر مصرى عام (في أسيوط) في ربيع ١٩١١ ، ولم يصل إلى قرارات هامة .ولم يُلتَفت إلى طلبات الأقباط[(٣)] !! .

بينما كانت تحدث تلك الأحداث العظيمة ، تم ظهور جهد كبير . كانت له فاعلية عُظمى على الأقباط وهو قيام :"**مدارس الأحد**" . وقد قال أحد علماء الكنيسة القبطية سنة ١٩٦١:"نرى اليوم ، واحداً من أقوى مؤسسات الكنيسة القبطية. وقد بدأ متواضعا نحو سنة ١٩١٠م ، كتقليدٍ لمدارس الأحد البروتستانتية"[(٤)] .

وسواء كان تقليداً أم لا ، فقد نمت مدارس الأحد بسرعة ، ولم تعُد مجرد تعليم دينى ، بل صار لها أكبر نفوذ في حياة الكنيسة ، وأخرجت مجموعة واسعة

---

(1)Vatikios , op. cit. p. 207.
(2)Behrens – Abouseif, op. cit . p. 197.
(3)Meinardus, pp. 39-40, includes summary of the proposals.
(4) Legrand, op. cit. p. 138.

من العلمانيين المخلصين الذين كانت لهم أدوارهم في رفع المستوى الروحى للمجتمع القبطى ، وعلى رأسهم "**حبيب جرجس**".

وفي سن السابعة عشرة ألتحق بالكلية الإكليريكية بعد إعادة افتتاحها سنة ١٨٩٣ وقد ارتبط بها كل أيام حياته :

- "وكان يطلب مساعدة المعلمين وطلبة الكلية الإكليريكية وغيرهم من المتطوعين لإنشاء فصول لمدارس الأحد في المدن المصرية الكبرى . وفي عام ١٩١٨ كوّن اللجنة المركزية العليا لمدارس الأحد ، التى كانت مسئولة عن إعداد مواد الدراسة والصور للدروس ، وللعمل على زيادة نشاط مدارس الأحد ، وفتح فروع جديدة ، حتى في المدن الصغرى والقرى".
- "ولم يكن من السهل إقناع قادة الكنيسة (الأساقفة) والكهنة والوالدين -لعدة سنوات - بأهمية مدارس الأحد ... ولكن عاش (الإرشيدياكون) حبيب جرجس ، ليرى مدارس الأحد ، في كل كنيسة بمصر[١] .
- "وصارت مركزاً للنشاط الروحى، ولها فصولها لكل مرحلة، واجتماعات للشباب وللمدرسين، ومجموعات الصلاة. وحضر الأساقفة مؤتمرات مدارس الأحد، وظل البطاركة - على التوالى - يباركون عمل مدارس الأحد ، ويصلوُّن من أجل نجاحها"[٢].

ونعود لكاتب فرنسى دومينيكانى (Legrand) ، يكتب سنة ١٩٦١ ، ويقول :

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن نشأة مدارس الأحد في الجيزة وتخومها ، ودورها (ابتداء من عام ١٩٤٢) ، راجع : مذكرات المتنيح القمص صليب سوريال . وكتابنا :عن" الكنيسة المرقسية في الجيزة في مائة وعشرين عاماً". وقام قداسة البابا كيرلس السادس بإسناد رعاية خدمة مدارس الأحد إلى نيافة الأنبا شنودة ، أسقف التعليم (قداسة البابا أدام الله حياته)وقام قداسة البابا شنودة الثالث برسامة نيافة الأنبا موسى أسقفاً للشباب ، ويعاونه حالياً نيافة الأسقف العام الأنبا **روفائيل** .

(2) Yanny , Life of Arch. Habib Guirguis (1867-1951), Coptic Church Review, 5 (1984) , 47-52.

• "ترجع حركة التجديد القبطية كلها – في أصولها الأولى – إلى مدارس الأحد ، وهى التى تنقل الإيمان المسيحي إلى الأجيال الشابة . وقد أسسها الأقباط للخدمة بعين جديدة . وكرسُّوا حياتهم لخدمتها" (وقد أخرجت كثيرين من المكرسين والمكرسات سواء في الكهنوت أو الرهبنة).

وفي بداية القرن العشرين ، بدأت الحركة الوطنية تصبح قوة هامة في مصر ، وكانت لها نتائج خاصة على المجتمع القبطى . وهل القومية تناسب الأقباط الذين كانوا يعتبرون من أوائل المصريين الأنقياء ؟ أو هل تهدد القومية الأقباط بالمطالبة باعتبار كل المصريين من مجموعة عرقية واحدة (عرباً) أو ذات دين واحد (الإسلام) ؟! ، ولكن بمرور الوقت ، قامت مجموعات من الحركات الوطنية – في مصر – واستمرت خلال القرن العشرين .

وقد كانت مصر القديمة خلال عصورها مشهورة بموقعها الجغرافي (الممتاز) وثقافتها (حضارتها القديمة والعظيمة) وظلت طوال تاريخها مطمعاً للاستعمار الخارجى (الإمبراطوريات القديمة) والحُكّام الأجانب ، منذ عهد الإمبراطورية الآشورية ، في القرن السابع ق.م ، وحتى الاحتلال البريطانى (١٨٨٢).

وقد تميّزت مصر سنة ١٩٠٠ بأنها جزء من الإمبراطورية العثمانية ، تحت حكم آخر (إنجليزى) ولها رئيس دولة (عباس الثانى) ولم يكن يتكلم العربية

• "وفي أوائل العشرينات (١٩٢٠) يمكن أن يُقال عن مصر أن معظم كبار ضباط الجيش المصرى كانوا من نسل الأتراك أو الشراكسة ، كذلك كانت الحال بالنسبة لكبار العاملين بالحكومة المصرية. وكل المصانع يملكها ويديرها أجانب ، وكان يوجد نحو ٢٠٠,٠٠٠ أجنبى مقيم ، وكانوا معفيين من القوانين المحلية والضرائب"(١).

---

(1) Goldschmidt, pp. 59-60.

ومن الناحية التاريخية ، فإننا نعلم أن اليقظة الوطنية بـــدأت فـــي العصـــر الحديث ، في العالم العربى . وبدأت القومية العربية في الشرق الأوسط وانتشرت بين أوساط المسيحيين في سوريا ولبنان ، من الذين تعلموا في كليات غربية .

وكان هذا التطور حتمياً ، لأنه لا الإسلام ولا التُراث العربي له موضع فـــي فلسفته السياسية للدولة الإقليمية التى ينتمى ولاؤها الأول لسكانها . ولذلك – علـى سبيل المثال– فليس من المصادفة أن "الحدود" الوطنية فـــي الجزيـــرة العربيـــة والهلال الخصيب (العراق + سوريا) قد رُسمت بمعرفة القُـــوىَ (الاســـتعمارية) الإمبراطورية ، ولصالح إمبراطورياتهم.

وقد ولَدت الحركة الوطنية المصرية لمعارضة الحكـــم البريطـــانى . وقـــد ظهرت في السنوات الأولى من الحرب ضد الثورة المهدية بالسودان، والتى تـــم قتل الكثير من الجنود المصريين فيها، ولكن بعد بسط إنجلترا حكمها بعد هزيمـــة السودان.

وخوفاً من آثار القومية الســـلبية عليـــها . ولئـــلا يكـــون شـــعار :"مصـــر للمصريين" هو المُحَرك الوحيد للقومية ، ويخرج من النظرية إلى التطبيق . فقـــد سعت الحركة الوطنية لتدعيم مركزها، وطلب الدعم الشعبى .

وكانت أحيانا تنضم للدولة العثمانية، أو مع الحركات الإسلامية أو العربيـــة أو المصرية، والافتخار بالحضارة المصرية القديمة ، بدلاً من العربية[1] وأســـماها سلامة موسى الدعوة للفرعونية، وأكد أن لها أسس بيولوجية[2]، وهى مـــا يميـــل إليها الأقباط، وإلى كل ما هو مصرى .

وكان المصلحون المسلمون مثل الأفغانى والشيخ محمد عبده (شيخ الأزهـــر) [الذى أعجب به اللورد كرومر ، ولم يتفق معه] هم المفاتيح الذين أرسوا دعـــائم القومية المصرية ، ولكن سرعان ما تأثروا بالآخرين .

---

(1) Martin, "L'Église et Communauté Copte dans L'Islam Egyptien" , 3 Feb. 1982 ,Jesuit lib. In Cairo.
(2) Meinardus,op. cit., pp. 26-27.

وبعض القادة الأقباط قد مالوا إلى زعامة مصطفى كامل القوميـــة ، ولكنــه للأسف مات شاباً . وبدأوا فى تطوير حركته، لكى تساعد على طرد الإنجليز مَـن مصر ، وقد كتب عنه مؤرخ قبطى علمانى قائلاً "إنه رفع العلم (اللواء) للحركــة الفكرية ، وألتفّت حوله كل الصفوة"[1] ولكن الأقباط لم يسايروا مصطفــى كــامل في طلب دعم الدولة العثمانية لحركته.

ولم يكن مصطفى كامل – في الحقيقة– ضد الأقباط ، ولكن نشــأت حركـة معينة تميل إلى العُنف ، وتعمل على زيادة الدعـــوى نحــو الفكــر الإســلامى (الأصولى) مما جعل الأقباط يبدأون – في القلق – منذ نحو عام ١٩٠٣م .

ولم يكن لدى الأقباط إجماع سياسى ، ولم يكن كلهم قوميون ، وكان بعضهم يشك في أن القومية ترمى إلى التعصب ، وإلى الميل نحــو القــوى العثمانيــة ، وكثير من الأقباط خشوا من خسارة النمو الاقتصادى ، لو انسحب الإنجليز مـــن مصر . والواقع أن الأقباط لم تكن حالتهم سيئة تحت الاحتلال البريطانى .

حقاً "إن المجتمع القبطى لم يتم عزله ... وكان أعضـــاؤه متعلميــن ، وقــد استغلوا علمهم في اكتساب ثروة هائلة ، وقد تنبه كهنتها تدريجياً – إلى الحاجـــة إلى التعليم . وكانت الأقلية الدينية الدُنيا ، قد تكملت وصارت عضواً هامـــاً فـــي المجتمع المصرى"[2].

وقد زعم مؤرخ لمصر الحديثة أنه بحلول الحرب العالمية الأولى ، لم يعـــد الأقباط قوميون !! وأن جورست نجح في شق الحركة الوطنية ، بأبعاد الأقبـــاط عنها ، إلا أنه عاد وقال عن بطرس غالى إنه" جسَّد التعاون القبطـــى"[3] . أى أن الكثيرين – فى رأى الكاتب – قد صاروا قوميين !!.

(1) Iris El-Masri, The Story of the Copts (1978) p. 527.
(2) Seikaly, The Copts Under the British Rule, pp . 1348.
(3) Little, Modern Egypt (New York. 1967) pp. 65-66.

وكتب سلامة موسى مقالة سنة ١٩٥١ يقول فيها إن معظم الكُتّاب الأقباط ، قد انتموا إلى المجموعة التى كانت تميل اكثر إلى الغرب ، وإلى التحُرر الدينى ، والإصلاح الاجتماعي . وآمنوا بضرورة فصل الكنيسة عن الدولة . والمساواة بين المرأة والرجل(١) .

وقد كتب أمريكى متعاطف مع الأقباط عن الكتاب الأقباط بعد ذلك بـإثنتى عشرة سنة ، بأنهم يقفون إلى جانب القيَّم الغربية ، "وأنهم – مع المسيحيين الآخرين في مصر– كانوا أهم ناقلى المواقف الغربية والحديثة"(٢).

ولا يدعو للعجب أن الأقباط قد فضلُّوا وطنياً، مثل أحمد لطفى السيد (الذى أعُجب به كثيراً ميريت غالى ، حفيد بطرس غالى باشا) الذى عارض الاتصال بالعثمانيين ونادى بمبدأ :"إن مصر للمصريين ، وأن مصر ليست تركية ولا غربية".

وهذه الحركة ساعدت على ارتباط الأقباط بالأمة وقوميتها ، حتى الثلاثينيات ، حيث نقرأ كتاباً عن الأحوال الدينية يقول "لقد امتزج العرب بالسكان المحليين الأصليين – الأقباط – وهذا المزيج صار أمة واحدة :"**الأمة المصرية**"(٣) .

وكانت الحرب العالمية الأولى نقطة تحوُّل حقيقية، في الحركة الوطنية المصرية . ففى بدايتها سنة ١٩١٤ ، كان المحتل الإنجليزى قد دخل في حرب مع الدولة العثمانية ، التى كانت – نظرياً – تحكم مصر. وقد تم خلع ونفى الخديوى عباس ، وأصبحت مصر "محمية بريطانية" بالاسم والفعل .

---

(1) Salama Musa, Intellectual Currents in Egypt, p. 272.
(2) Wakin , op. cit. pp. 4 & 30.
(3) Gershoni &Jankowski, p. 155.

واضطر المصريون لتسخير اقتصادهم لاحتياجات الحرب البريطانية ، وتطويع سياستهم الخارجية لتتمشى مع فكر بريطانيا الاستعمارية. وعسكرت أعداد كبيرة من القوات البريطانية في مصر . وظل الزعماء الوطنيون رهن الاعتقال في بيوتهم ، وتم فض الجمعية التشريعية (حل البرلمان) وتعلقت الحياة السياسية ، وأدار الإنجليز مصر كمستعمرة للتاج البريطانى[1] .

وكسبت بريطانيا – وحلفاؤها– الحرب العالمية الأولى ، وقد استفاد منها مادياً أيضاً بعض المصريين ، بما فيهم الأقباط ، الذين كانوا من أصحاب الأعمال والصناعة وكبارّ المّلاك. ومع ذلك خرجت أصوات عالية في مصر– بما فيها كثير من الأقباط– تنادى بضرورة إيجاد ارتباط جديد مع بريطانيا ، لأنهم قد تأثروا بنداء ولسون :"بحق تقرير المصير للشعوب". والذى لم تنفذه الولايات المتحدة ، في حالة مصر[2] !! .

وأراد المصريون تكوين "**وفد**" في مؤتمر السلام، ليدافع عن الحكم الذاتى لمصر. وفي البداية تجاهل الإنجليز – أو رفضوا تماماً– الجهود المصرية ، لسماع صوتها .

وكرّد فعل لذلك تأسس **حزب الوفد** (وهو أكبر وأهم هيئة سياسية في مصر حتى ثورة ١٩٥٢)[3] وتزعمه **سعد زغلول** ، الذى كان نائباً لرئيس الجمعية التشريعية (البرلمان) في أوائل ١٩١٤ ، قبل حلّها ، وكان ويصا واصف ، وجورج خياط ، ومكرم عبيد ، من القادة الأقباط القلائل ، الذين برزوا في حزب الوفد"[4] .

---

(1) Goldschmidt, op. cit ., p. 53.
(2) Idem ., p. 58.
(3) Holt, Egypt & the Fertile Crescent (New York, 1966) p. 295.
(4) Vatikiotis, op. cit. p. 260.

ولما تم نفى سعد زغلول بسبب جهاده الوطنـــي ، قـــامت ثـــورة ١٩١٩ ، وصعد الكهنة الأقباط على منابر الجوامع . وشارك خطباء المسلمين للحديث عـن الدروس الشبه منسية عن الوحدة الوطنية . وخطب القمص سرجيوس في الجـامع الأزهر سنة ١٩١٩ . وعندما أغلقه الإنجليز ، دعا المسلمين الوطنيين للاجتمـاع بكنيسته (بالقللى بشبرا مصر) وهى قمة العلاقات القبطية – الإسلامية (وقد حـزن سرجيوس ، لنقص التعاون الإسلامى – المسيحى بعد ثورة ١٩٥٢)[1].

وبعد سلسلة من الجهود الفاشلة للوصول إلى اتفاق بين الحكومة البريطانيـة والوفديين الأشداء ، تم إعلان استقلال مصر بمعرفة الجنرال اللنبى سـنة ١٩٢٢. وفي السنة التالية تمت الموافقة على الدستور ، مع أربعة " **تحفظات** " بريطانيـة، لبقاء قوات بريطانية ، وهيئات دبلوماسية في مصر . وبها صـارت بريطانيـا – في الواقع– عاملاً مؤثراً في الشئون المصرية . ولعدة عقود أخرى ، كان هنـاك صراع ثلاثى بين الحكومة المصرية والملكية (وقد أصبح من خلفاء محمد علـى "سلطاناً ١٩١٤، وملكاً" سنة ١٩٢٢ بعد الاستقلال)، وبين السلطات البريطانية .

ولم يحّد من فاعلية وظيفة الحكومة المصرية ملوك مصر فقط ولكنها عـانت أيضا من مكائد رؤساء الوزارات، للالتفاف حول الدستور أو تعديله ، وحتى سعد زغلول نفسه – عندما كان في السُلطة – بدأ يسحب الحريات المدنيّة ، التى كـان يطالب بها لشعبه في البداية !! .

ورغم الرجوع خطوات للوراء في مشروع استقلال مصـر ، كـان هنـاك بعض التقدُّم . فقد تم عقد معاهدة رسمية مع بريطانيا سنة ١٩٣٦. وهـى نفـس السنة التى تولى فيها الملك فاروق حُكم مصر، بعد أبيه الملـك فـؤاد ؛ ولكـن

---

(1) Jomier , in "Les Coptes", L'Egypte Aujourd'hui, Permanence et Changement (1805-1976) Paris 1977, pp. 69 –84.

الانهيار الاقتصادى العالمى في الثلاثينيات قد تسبَّب في معاناة شـــديدة للشـــعب المصرى واقتصاده .

وتنيح البابا الشيخ كيرلس الخامس سنة ١٩٢٧، بعد عقود من الصراع مـــع القيادات العلمانية على سلطات المجلس الملى، وإدارة شـــئون الكنيســـة وعلـــى سلطاته ومسئولياته. وقد حدثت تغييرات على لائحـــة المجلـــس ســـنة ١٩٠٨ ، ١٩١٢ ، ولكن "جاهد العلمانيون لاسترداد حقوقهم في لائحة سنة ١٩٢٧ (التـــى حلّت الخلافات مع الأديرة على أوقافها)، وبعد سماع أخبار اللائحة الجديدة، كـــان البابا كيرلس قد تنيح.[١]

ويلاحظ القارئ ، أننا في الربع الأول من القرن العشرين قد ركزنـــا علـــى العلمانيين الأقباط ، كما لاحظنا إن أهم العاملين في خدمة مدارس الأحد من كانوا علمانيين. وليس معنـــى ذلـــك أن الأقبـــاط لا يكرمُـــون أو يحـــترمون رجـــال الإكليروس، لكنهم كانوا يشاركونهم الخدمة في الكنيسة وأسرارها المقدسة.

كما أن تركيزنا على الأشخاص العلمانيين لا يعنى أن القـــادة الدينيـــين لـــم يشاركوا فعلاً في الحوار العام ، والأحداث الكبرى ، والتغيرات التاريخية ، التـــى كانت تحدث خلال تلك الفترة .

وكانت الأستاذة المؤرخة إيريس حبيب المصرى ، وهى من عائلـــة قبطيـــة متميّزة – وكان والدها من أعضاء البرلمان المصرى– قـــد كتبـــت تقـــول :" إن الأقباط كجزء مُكمّل لأمّتهم ، قد شاركوا – بكل قوتهم – فـــي كـــل الحركـــات الوطنية ، كهنة وعلمانيون ، قد انغمسوا – بدافع وطنيتهم – في حـــب بلدهـــم ، ووضعوا ثرواتهم وحياتهم وكل مالديهم من غالٍ ، لخدمة الوطن"[٢].

---

(1) Meinardus, op. cit. p. 25.
(2)Iris, op. cit., pp. 527-528.

وفيما عدا الثائر القبطى القمص سرجيوس ، تتضمن كتب التاريخ الأوربي أسماء كثير من الأقباط العلمانيين – في القرن العشرين – ودورهم في الجهاد الوطني.

وعندما نرجع للبطاركة الثلاثة ، الذين جاءوا بعد البابا كيرلس الخامس (يوحنا ١٩ = ١٩٢٨-١٩٤٢، مكاريوس الثالث = ١٩٤٤ - ١٩٤٥ ، يوساب الثاني= ١٩٤٦-١٩٥٦) ، نرى أنه من المفيد أن نذكر نصاً للأستاذة إيريس المصرى عنهم هو:

• "ملمح عام ومشترك – لهؤلاء البطاركة الثلاثة- أنهم كانوا كلهم أساقفة ، عندما تقبلوا أن يصيروا بطاركة . وهو انحراف عن التقليد الكنسى الطويل والموروث ، لانتخاب بطريرك راهب ، ليس أسقفاً".

ثم تضيف بقولها :"ولا نحتاج أن نقول أن كثيرين من بين الأقباط ، لم يوافقوا على هذا الانحراف . وأب الكاتبة (وكان من أعضاء المجلس الملى من ١٩٣٠-١٩٤٥) كان واحداً منهم . وكانت كل فترة هؤلاء البطاركة الثلاثة مُتعِبة فعلاً للأقباط" !![1] (*)

وفي كلمات موريس مارتن ، إن السنوات من ١٩٢٧-١٩٥٦ (فترة البطاركة الثلاثة السابقين) :"أظهرت هشاشة وضع الأقباط"[2]

وهذه القلاقل كانت – على وجه الخصوص – في عهد البطريركين مكاريوس الثالث ويوساب الثانى . والأول ، وهو أنبا يوحنا ١٩ كان أسقفا لمحافظة البحيرة، وصار نائباً بابويا سنة ١٩٢٧ ، ثم أصبح بطريركاً في السنة التالية .

---

(1) Iris, pp. 529 , 534.

(*) ونرى أن اختيار أسقفٍ أو مطران ، للكرسى المرقسى ، أفضل عملياً من اختيار راهب، بلا خبرة ، لقيادة الكنيسة . ومن الأمثلة الناجحة قداسة البابا كيرلس الرابع ، وقداسة البابا شنودة الثالث (أدام الله حياته).

(2) Martin , L'Eglise et Communité Copte, 1982.

وقد حاول حل مشاكل الأوقــاف القبطيــة بتعييــن لجنــة مــن الأســاقفة والعلمانيين، وفي البداية كان هناك رضا عن عملها. ثم حلّت سنة ١٩٣٢م.

وفي عام ١٩٢٨ ، قرر المجلس الملى إرسال خمســة مــن الشــباب إلــى إنجلترا ، لإعدادهم للتدريس في الكلية الإكليريكية ، ولكن الأساقفة والشعب كـانوا ضد هذه الفكرة ، حتى لا يفسد نقاء تعليمهم الأرثوذكسى ، وقد أعلن البابا يوحنــا ١٩ أنه لم يرسلهم ، وإنما وعد بإرسال بعض الشباب للخارج (فى بعثة).

وفي مقابل ذلك ، قامت مجموعة من طلبة الجامعة الأقباط ، بتنظيم جــهاز جديد من المتطوعين لخدمة مدارس الأحد ، وبدأوا إعداد مجلة شــهرية "مجلــة مدارس الأحد". وخرجت من أنشطتها شخصيات كرســت حياتــها للكــهنوت ؛ والرهبنة ، بالتكريس في دير السريان بوادى النطرون .

وكان الدكتور مراد كامل بجامعة القاهرة أهم شخصية شــجعت الخريجيــن للتكريس كرهبان وراهبات .

وفي الربع الثانى من القرن العشرين بدأت تظهر مشاكل اجتماعية حادة فـــي مصر، علاوة على الأزمة الاقتصادية في الثلاثينيات . وكان عدد السكان يــتزايد بشدة فى النصف الأول من القرن العشرين، مما أثقل الضغط على المواد الغذائيــة والقدرة على إيجاد عمل منتج للخريجين.

وفى الواقع ، رغم زيادة الإنتاج الزراعى ، فإن الدخل كان يقــل . وكــان يوازى التهديد من التضخم السكانى مشكلة الهجرة إلى المدن ، التى خلقت مشاكل للإسكان والتعليم والطرق ، وتوزيع المياه النقية ، وجمـــع القمامــة ، والمنــافع العامة .

ونشر الأستاذ ميريت بطرس غالى كتاباً هاماً بالعربية سنة ١٩٣٨ م بعنــوان " سياسة الغد " [1] . وفيه انتقد الحكومة والأيدلوجيات القومية، لانشــغالهم التــام

---

(1) English Trans., (Washington 1953).

بالاستقلال، حتى بعد معاهدة سنة ١٩٣٦، وتجاهلهم الحاجة إلى الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي . وقد تنبأ بحدوث كوارث لمصر واستخدم إحصائيات ومعلومات أخرى فى دراسة نقدية لمشاكل مصر الاقتصادية.

وكان غالى متحمساً للرأسمالية ، وفضّل التنمية الزراعية ، كطريقة لوقف الانحدار فى مستويات المعيشة ، التى كانت ظاهرة حقيقية ، فى الحياة المصرية، خلال الأزمة الاقتصادية فى الثلاثينيات .

وتحت رئاسة البابا يوحنا ١٩، لم يتحرّك المجتمع القبطى لمواجهة المشاكل الكنسية والمصرية الخطيرة . وعند نياحته وصلت البلاد لحالٍ أردأ. ولم تكن حسنة بالنسبة للأقباط بالذات.

وصار أسقف جرجا فى الصعيد قائماً لمقام البابا من ١٩٤٢ - ١٩٤٤، حتى تمت رسامة البابا مكاريوس الثالث ، الذى كان اقتراحه بتعديل لائحة المجلس الملى، يهدف إلى تركيز السلطة فى يده ، فرفض ذلك المجلس .

وحدثت مناوشات بين الأكليروس والعلمانيين. وسادت بالذات خلال بطريركية الأنبا مكاريوس ، فترك القاهرة ، ومضى إلى الدير. ولم يصنع شيئاً من الإصلاحات الموعود بها إذ تنيَّح فى السنة التالية لرسامته.

وفى عام ١٩٤٦ اختير أنبا يوساب الثانى - أسقف جرجا - بطريركاً ، وتكاثف الصراع الكهنوتى - العلمانى . وتخلى البابا عن وعوده السابقة بجعل المجلس الملى يشرف على أوقاف الأديرة، كما دبت الخلافات بينه وبين رجال البطريركية ، الذين لم يكونوا أمناء فى خدمتهم للكنيسة فى حياته .

لذلك نرى فى السنوات الأخيرة ، قبل ثورة ١٩٥٢ ، أن الكنيسة القبطية كانت مشلولة بالمشاكل الداخلية ، ولم يكن لها الوضع الذى يمكنها من الاضطلاع بدور أكبر ، فى مشاكل مصر وشعبها .

وبينما كانت الخلافات الهدّامة مستمرة في الكنيسة، بين العلمانيين ورجال الدين، **استمرت حركة مدارس الأحد مصدر تجديد في حياة الكنيسة القبطية**، كما أحيَّت أيضاً الرهبنة ، كما رأينا - منذ قليل - وأنهما ارتبطتا بقوة معاً .

فقد وجد الكاتب الدومنيكاني (Legrand) أنه قد نشأت حركة هامة للتكريس للرهبنة ، بين قادة مدارس الأحد[1] في جامعة القاهرة، وكذلك أيضاً في جامعة الإسكندرية، ورأى أنها كانت اختباراً لعمق حركة التجديد الروحي، الذى بدأ يسود في الكنيسة القبطية[2] .

أما المدى الذى بلغته تأثيرات حركة إحياء الرهبنة ، في تعميق تيار التقوى في الكنيسة القبطية ، فلم يزل غير واضح بعد[3] (في عهد الكاتب ١٩٩٦) !! كما لاحظنا تأثيرات بروتستانتية في حركة مدارس الأحد (ربما في التنظيم وليس في التعاليم)!! .

أما الأب إرميا من دير أبى مقار (وزميل لفترة طويلة للأب متى المسكين) فيؤكد ذلك عندما يُعلّق على نهضة الكنيسة القبطية في القرن العشرين ويقول : "ثمة كتابات بالإنجليزية لها تأثير خاص على الأقباط، بما فيها طبعة الملك جيمس للكتاب المقدس (King James version)، وكتاب تقدم السائح (Pilgim's Progress) . والترجمة الإنجليزية لكتاب التمثُّل بالمسيح (Imitation of Christ)، من أهم عناصر النهضة الدينية، وكثير من تفاسير متى هنرى ، وغيرها".[4]

---

(١) للمزيد ، راجع مذكرات القمص صليب سوريال ، عن مدارس أحد الجيزة ونشأتها سنة ١٩٣٢ وخدامها وأعمالها، وكتابنا عن الكنيسة المرقسية بالجيزة.

(2) Legrand, op. cit . p. 141.

(٣) لقد أخرجت حركة الرهبنة الحديثة ، مجموعة ممتازة من الأساقفة والمطارنة (وعلى رأسهم قداسة البابا شنودة) وعشرات من الكهنة . في مصر والخارج. وقد كان – ولايزال – تأثيرهم عميقاً في نمو الحياة الروحية في الكنيسة المعاصرة .

(4) In an Interview (1989) at St. Macarius' monastery.

وعندما نعود إلى الحكومات المصرية ، نجد أنها قابلت تحديات ، قبل ثـــورة ١٩٥٢ وجاهدت – عدة عقود – كل من الملك والإنجليز والبرلمان. كما عـــانت الحكومات فى الربع الثانى من القـــرن العشـــرين مـــن المشـــاكل الاجتماعيـــة والاقتصادية .

وكانت معاهدة سنة ١٩٣٦ مع بريطانيا مُشجّعه . وكان الأقبـــاط فخوريـــن بمكرم عبيد، الذى صار سكرتير عاماً لحزب الوفد سنة ١٩٢٧ وقـــام بتطويـــره (وفى سنة ١٩٢٣ كان الأقباط يشكلون ٤٤ % من اللجنة التنفيذية للوفد ولذلك لـم تكن هناك مفاجأة، فى وجود قبطى فى هذا المنصب الرفيع)، ولكن ظلت المشاكل الاجتماعية والاقتصادية تُهدّد التجربة الليبرالية (التحررُية) للحكومة.

وفى سنة ١٩٣٧ شجّع الملك فاروق التيار اليميني المتطـــرف (الفاشســـتى) وهو حزب مصر الفتاة، مع منظمته " شباب القُمصان الخُضر، الذى صار حزبـــاً وطنياً لغاية ، وأندمج مع التعصُّب الدينى ، ومع منبـــر الخوف مـــن الأجـــانب (Xenophobic Platform)[١].

وأما جماعة الأخوان المسلمين، فهى جماعة طويلة العـــهد وهامـــة. وقـــد تأسست سنة ١٩٢٨، وكانت متشـــددة فـــى آرائـــها الإســـلامية، والاجتماعيـــة، والسياسية. وقد قدّم الأخوان الأخوان أنفسهم على أنهم البديل عن النظام المُسّمى: " السياسيون العلمانيون"[٢].

وهذه المنظمات العسكرية لم تهدد فقط التجربة المصرية الليبرالية ، بصفـــة عامة، ولكن أيضاً هددت الأقباط بصفة خاصة، بسبب نزعتها الدينية الإســـلامية الأصولية المتشددة.

---

(1) Vatikitis, pp. 292& 318.

(2) Idem., p. 354.

وكلتا المنظمتان كرهتا حزب الوفد ، الذى كان بدوره يعانى من انقسامات، وكانت تزداد خسارته، لعدم قدرته على السيطرة على البرلمان، وعلى التقدم ، ضد علاج الأمراض الاجتماعية والاقتصادية المصرية فى أواخر الثلاثينيات.

وأتت الحرب العالمية الثانية – مرة أخرى – بالسيطرة البريطانية، واضطرت مصر – رغم أنفها – للإنخراط فى مساعدة إنجلترا اقتصادياً. وعسكرت أعداد كبيرة من قوات الحلفاء فى مصر. وجاء القائد الألماني روميل بفيلق الصحراء، إلى مصر . وتمت هزيمته بيد الإنجليز فى معركة العلمين.

وفي ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، عندما أراد الملك فاروق أن يتولى قيادة دفة الدولة بنفسه، أرسل له الإنجليز الدبابات، لإرغامه على تعيين مجلس وزراء يتعاون مع بريطانيا.

وهكذا عاد الوفد إلى السلطة، ولكن هذه المرة ، كان تحت لعنة " خادم المصالح البريطانية" !! وقبل ذلك قبل بوقت قصير كان مكرم عبيد أقوى وزير مالية، قد انشق عن رئيس وزرائه، وفضح فساد حزب الوفد، وبلغت به الحال أن أصبح عدواً له !! .

وقد فَقَد الإنجليز الاهتمام بمساعدة الوفد، بعد التأكد من هزيمة دول المحور، وبذلك خرج الحزب من السلطة سنة ١٩٤٤.

ولم يُضطهد المصريون خلال الحرب العالمية الثانية ، كما حدث لهم فى الحرب الأولى. وفى الواقع استفاد كثير من المصريين من الحرب العالمية الثانية، فقد عينت قوات الحلفاء عدداً كبيراً من المصريين فى معسكرات الجيش البريطانى. وكانت تشترى كميات كبيرة من المواد الغذائية والبضائع من التجار المصريين.

وكان المنتجون الصناعيون المصريون، الذى كانت لهم الحماية لمصنوعاتهم منذ سنة ١٩٣٠، لم تكن أمامهم منافسة أجنبية ، خلال الحرب. وفى

نهايتها فتحوا أسواقاً فى الدول المجاورة. وأما الأقبـــاط الذيـــن كـــانوا يملكـــون الأراضي الزراعية – أو كانوا يعملون فى التجارة ، أو الصناعة – قد اســـتفادوا بدورهم من الاستثمار فى هذه المجالات .

وسجلّت مؤرخة لمصر الحديثة، فى بحثها عن السياسة المصرية مـــن عـــام ١٩٢٢- ١٩٣٦ ، فصلاً بعنوان :" فشل الليبرالية ، وردّ الفعل ضد أوربا"(١).

ويُذكِرنّا هذا العنوان بأن السياسة الغربية كانت مرفوضـــة، وأن الســـيطرة السياسية والاقتصادية والحربية على مصر والشرق الأوسط يجب محاربتها فـــى كل الجبهات ، بما فيها إسرائيل التى تأسست وسطهم. وأن مناداة الغرب بحكومـــة مدنيّة (لا دينية) يُهم الأقباط، الذين أدركوا أن اتحاد الحكم بالدين (حركة الأخـــوان المسلمين) يخلق لهم مشاكل خطيرة.

وقال مؤرخ آخر، عن أحداث مصر بعد الحرب (العالمية الثانية) مايلى:
" إن الشبان الذين شعروا بالمرارة، فقَدُوا الثقة فى الديموقراطية البرلمانية وفـــى الأحزاب السياسية الموجودة قبل الحرب، وتحولـــوُا إلـــى النواحـــى العســـكرية والحركات المضادة للديموقراطية ".فى إشارة للأخوان المسلمين، وحزب مصـــر الفتاة ، الذى أعُيدت تسميته:" الحزب الاشتراكي الإسلامى"(٢).

ويُشير Vatikiotis إلى أنه فى مقابل الاتجاه نحو الحركات الرديكالية ظـــهر اتجاه له ميول يسارية راديكالية (قديمة)، من بين المتعلمين فى الغـــرب ، ومـــن بينهم الروائى الأديب نجيب محفوظ (الحائز على جائزة نوبل فـــى الآداب ســـنة ١٩٨٨) والأديب القبطى والمؤرخ الثقافى لويس عوض(٣).

---

(1) Afaf Lutfi al-Sayyid Marsot, Egypt's Liberal Experiment, 1922-1936 (Univ. of California, 1977).

(2) Goldschmidt, op. cit. P. 75.

(3) Vatikiotis ,op. cit. pp. 355-371.

ودخلت مصر فى صراع مسلح مع بريطانيا على الاستقلال للسودان، وعلى طرد القوات البريطانية من قناة السويس. وسيطر حزب الوفد على الحكومة بعد نجاحه فى انتخابات سنة ١٩٥٠، ولكن سوء الأحوال (السياسية) فى العامين التاليين قاد للثورة ، التى قضت على " التجربة الليبرالية"[١].

وكان مجيء ثورة ١٩٥٢ قد جعل الأقباط يواجهون خطر سقوط الزعامات الوطنية عن طريق قيادات إسلامية راديكالية، وانهيار حركة الوفد التى كانت هامة بالنسبة لهم .

وكان الكثير من الزعماء الأقباط، قد صاروا أثرياء، خلال التطورات الاقتصادية – خلال سبعين سنة– منذ ١٨٨٢، لذلك كان عدم الاستقرار السياسى، وانتشار الأفكار الاقتصادية الراديكالية ، قد سبَّب لهم الكثير من المتاعب.

وكانت من أهم مشاكل الأقباط أنه لم يكن فى الثورة أى ضابط قبطى من الضباط الأحرار[٢] ، كما كانت ثورة عسكرية تنقصها القاعدة الشعبية، أو الأيديولوجية التى ربطت الأقباط بالمسلمين، فى ثورة ١٩١٩[٣].

وعلى أية حال، كانت ثورة ١٩٥٢ عودة إلى الطغيان والدكتاتورية الدائمة[٤]. وقد ذكر مؤرخ معاصر " إن عهد (عبد الناصر) فى منتصف القرن (العشرين) أظهر أنها فترة اضطهاد أكثر مما كان فى أيام **صدقى** (إسماعيل صدقى : وكان رئيس وزراء أتوقراطى يمينى فرضه الملك فى الثلاثينيات) وشدد على الاعتقاد القائل :" بأن المؤسسات الدستورية لا تصمد فى تربة سياسية

---

(1) Martin, op. cit. P. 8.

(2) Amira Sonbol, The Political Economy of Contemprory Egypt (Washington , 1990) p. 266.

(3) M.B. Ghali, The Egyptian National Consciousness, p.63.

(4) Afaf al-Sayyid, op. cit . p.5.

عدائية، كما بدت عليه الحال فى مصر" !![1] وقد وجد الأقباط أنفسهم مُبعَدين – فى الواقع – عن أى وقت سابق فى القرن العشرين.

وبالإضافة إلى خسارة النفوذ السياسى، واجه المجتمع القبطى تحديات اقتصادية خطيرة. وربما كان الضباط الأحرار تنقصهم الأيديولوجية السياسية، فأصدروا بسرعة قانون الإصلاح الزراعى ، الذى كان قد تأخر طويلاً. وتضمنت القرارات تحديد ملكية الفرد بمائتى فدان، ولكن الحد الأعلى للملكية الخاصة قد تم تقليله فى السنوات التالية .

وكان عدد من الأقباط لهم أملاك زراعية كبيرة، لأنهم – منذ مدة – قد رأوا أنه من الأفضل لهم الاستثمار فى الأراضى ، كعنصر حماية وقوة. ولذلك أضرهم الإصلاح الزراعى. وعندما تم تأميم الصناعات (١٩٦٢) وأضيف إلى الإصلاح الزراعى ، فَقَد الأقباط عنصرَ القوة اقتصادياً آخر، بفقدهم المراكز والنفوذ فى المجتمع والحكومة. وقد رأى البعض ، أن الإصلاح الزراعى، وتأميم الشركات ، قد أفاد المسلمين على وجه الخصوص، وإن كان قد أفاد أيضاً طبقة الفلاحين الأقباط المعدمين الذين نالهم جزءاً محدوداً من الأراضى الموزعة. كما أثر على الطبقة العُليّا من العلمانيين الأقباط ، بما حد من نفوذهم فى الكنيسة.

وكان انحدار كبار الأقباط هو جزء من القصة الحزينة للثورة فى بدايتها. إلا أن الجزء الآخر كان عن البطريرك يوساب الثانى. فقد رجع عن كلمته للمجلس الملى، ليجعل الأعضاء يشرفون على أوقاف الأديرة. وازدادت الخلافات حدَّة بين البابا من ناحية والمجلس الملّى من ناحية أخرى. وسمح البابا لحاشيته، التى كانت بدون مؤهلات إدارية – أن تكون وكيلاً عنه. وبلغ الفساد بينهم قمتّه[2].

---

(1) English translation, in Middle East Journal, 7 (1953) 74 et seq.

(2) * Barbulesco, " Les Chrétiens aujoud'hui : Éléments de discours" (Cairo, 1985) p.29.

* Karas, Egypt's Beleagured Christans, Worldview, 26 (1983), 13.

وحدثت ثورة كنسيّة داخلية إذ قام المجمع المقدس بفرض سيطرته الإدارية على البطريركية سنة ١٩٥٤م.

وتأسست جماعة " **الأمة القبطية**" بمعرفة طلبة الحقوق الأقباط. ونادت بأمة قبطية تقوم على مبادئ الإنجيل، واستخدام اللغة القبطية لغة رسمية لها. وطالبوا باستقالة البابا يوساب. ثم حاولوا خطفه فى يوليو، وذلك لإرغامه على التوقيع بترك الكرسى البطريركى، ولكن ذهبت جهودهم هباءً. فقد استطاع رجال الشرطة إطلاق سراحه من بين أيديهم.

وكان عام ١٩٥٥، على وجه الخصوص، عاماً صعباً للأقباط. وقد كانت الحكومة برئاسة جمال عبد الناصر، قد اجتمعت وتدخلّت ، ودعت إلى انتخاب مجلس ملى جديد، وبتحويل المسئوليات لها نفسها، بدلاً من المجلس !!.

ووقع المجلس الملى والمجمع المقدس قراراً بخلع الأنبا يوساب، وفى سبتمبر حاول شخص من جماعة الأمة القبطية اغتياله. وعزله عبد الناصر من البطريركية ، وتم تعيين لجنة ثلاثية من الأساقفة لإدارة شئونها.

وفى النهاية تنيح الأنبا يوساب سنة ١٩٥٦ ، وأصبح من الممكن اختيار قائمقام البابا، وهو أسقف بنى سويف، الذى قام بهذا العمل لمدة سنتين ونصف ، حتى ٢٩ أبريل سنة ١٩٥٩ .

وكانت هذه الأيام بالغة الصعوبة للأقباط.[*] إذ قامت الثورة فى يوليو سنة ١٩٥٢، وتم إجبار الملك فاروق على التنازل عن عرشه، وتكوين مجلس وصاية، وحَكَم مصر مجلس الثورة نفسه، برئاسة جمال عبد الناصر. وتم إخماد إضراب بالقوة فى أوائل أغسطس وعوقب المضربون. وفى بداية سبتمبر بدأت

---

* Pennington, " The Copts in Modern Egypt ", Middel Eastern Studies, 18 (1982), 164.

حركة لمحاولة تكوين جمعية وطنية (برلمـــان) وقـــد سـيطر عليــها أصحـــاب الأراضى. وصدر قانون إصلاح زراعى، وتم إعلانه رغم رفض البرلمان لـــه . واستقال رئيس الوزراء المَدنى. ورأس الوزارة الرئيس المحبوب اللـــواء محمـــد نجيب، وكان أحد أبطال حرب فلسطين ٤٨-١٩٤٩،المُحارِب ضد قيــــام دولـــة إسرائيل. رغم أن نجيب لم يكن أصلاً من الضباط الأحرار . وتم القبــض علـــى العديد من السياسيين، وتم إلغاء دستور ١٩٢٣ قبل نهاية ســـنة ١٩٥٢م . وفـــى بداية ١٩٥٣ تم حل الأحزاب، وتكوين " هيئة التحرير" بقيــــادة عبـــد النـــاصر، لمحاولة طلب مساندة الشعب للثورة. وسيطر العسكريون على الإدارة الحكوميـــة. وبحلول منتصف العام تم إلغاء الوصاية على العرش، وصارت مصر جمهورية.

وفى بداية عام ١٩٥٤ ، أزاح عبد الناصر – قائد حركة الضباط الأحـرار – محمد نجيب جانباً ، وأصبح هو القائد الذى لا يُنازع. وتم حل جماعة الأخــــوان المسلمين. وبعد محاولتهم اغتيال عبد الناصر (فى الإسكندرية) تم القبض عليـــهم وتم إعدام ستة من قادتهم. وتم استصدار دستور جديد شمل :-

١- خلق رئاسة قوية للدولة.

٢- جعل مصر دولة عربية.

٣- وضع مبادئ اشتراكية.

٤- خلق :" الاتحاد الوطنى"، ليحل محل " هيئة التحريـــــر"، لغربلـــة واختيـــار مُرشحين لانتخابات مجلس الأمة، وصار عبد الناصر رئيساً للجمهورية فـــى أواخر يونيو عام ١٩٥٤.

وقد كتب عنه مؤرخ معاصر :" بأنه كان ذا شخصية قوية. وأصـــدر عـــدة قرارات حاسمة. وأصبح مسئولاً عن نظام الضباط الأحرار، الذى أســـتمر نحـــو عامين، وأصبح الزعيم الأوحد. وكان الشعب متحمساً إليه. وخلال حكمه كـــانت

هناك خمسة دورات برلمانية، بمتوسط سنتين لكل برلمان، ووضع ستة مبـــادئ، وكانت مدد مجلس وزرائه ٣٠ شهراً، وكان له الحــق فــى التدخُّـل فــى كـل المجالات الوطنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، والحياة الثقافية للبلاد"[١].

وقد تدَّخل فى الحياة الدينية، كما حدث فى موضوع البابا يوســاب الثــانى. ومع أن كثيراً من المشكلات (القبطية) ظلت بدون حل، بسبب شـــخصية عبـد الناصر، التى كانت لا تتجاوب مع مطالب الشعب المصرى، إلا أن الأمــة كلــها بكت عليه يوم مماته (ومنهم مترجم هذه السطور).

وقد قابل عبد الناصر تحديات عديدة سنة ١٩٥٦ بسبب سياسته الخارجيــة، وزعامته للعالم العربى. وقد ضايق وزير الخارجية الأمريكـــى بســبب جــهوده لزعزعة الملوك المحافظين فى الشرق الأوسط، ولجهوده فى حركــة دول عــدم الانحياز (وخاصة فى مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥).

ومنع دلاس (وزير خارجية أمريكا) المساعدة فى بناء السد العالى بأســوان، وهو أساس خطة التنمية الصناعية والزراعية ، التى أعدها عبد الناصر لمصــر. وفى ردّ فعل لدلاس ، قام عبد الناصر بتأميم قناة الســويس، فقــامت إســرائيل وبريطانيا وفرنسا بالهجوم على مصر فى حرب السويس سنة ١٩٥٦ .

وتم إنقاذ مصر من العدوان الثلاثى بالجهود المشتركة بين الاتحاد السوفيتى، والولايات المتحدة، وفى بداية السنة الجديدة، رحلت القــوات البريطانيــة عــن مصر.

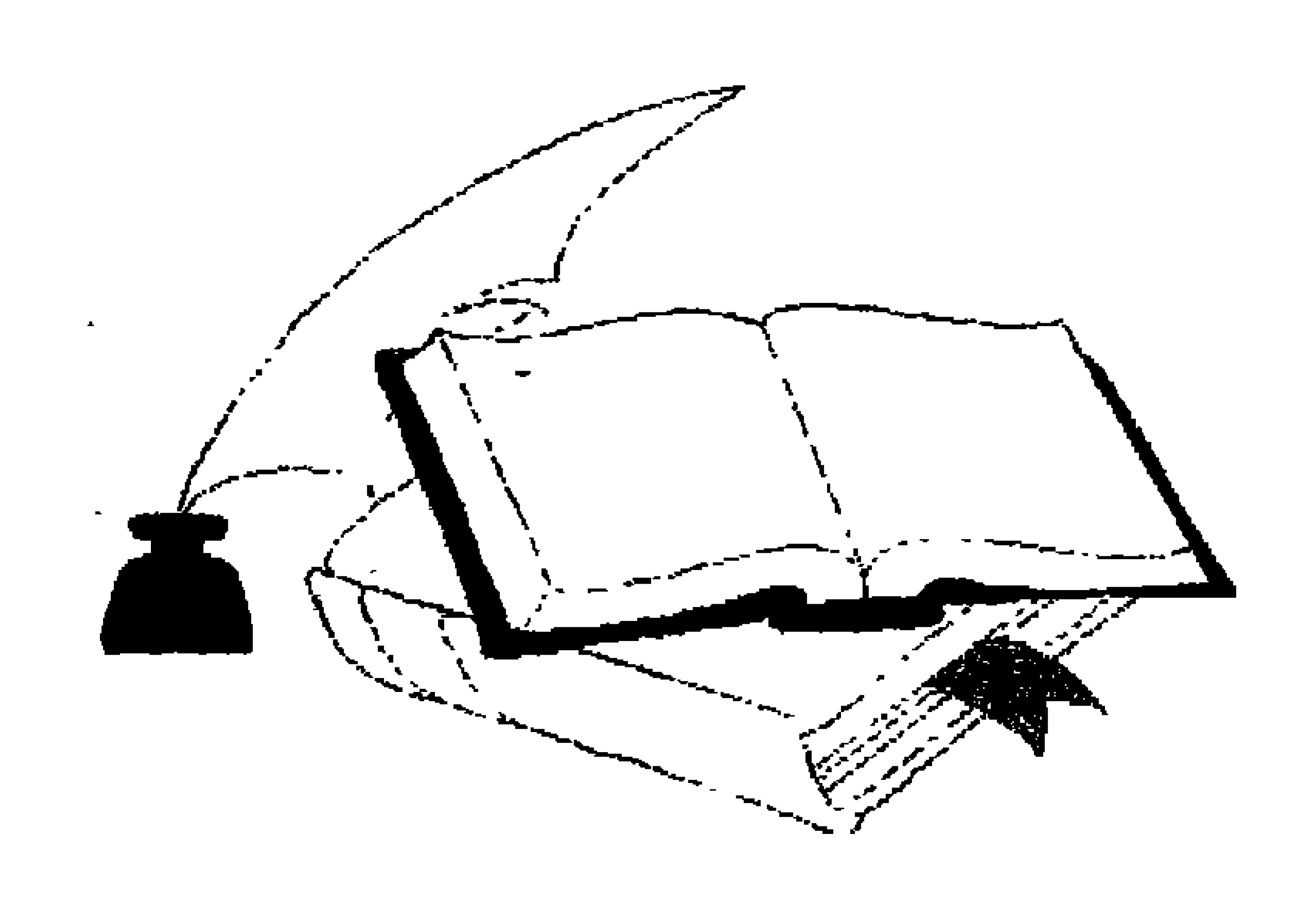
وخلال أحداث هذه السنة الدرامية (١٩٥٦) بدأ تأميم الأعمال والصناعــات، لتتفق مع جهود عبد الناصر. لتحقيق رغبة مصر فى سيادة العــدل الاقتصــادى،

---

(1) Vatikiotis, op cit. pp. 400-401.

ولتمويل المشاريع الكثيرة التى تحتاجها مصر، بما فيها تغذيـة سـكانها النـامين بسرعة فى العدد. وقد تأثر الأقباط بالتأميم.

وفى عام ١٩٥٨، تمت الوحدة بين مصر وسوريا، وتكونـت الجمهوريـة العربية المتحدة، وتطلبت الحاجة إصدار دستور جديد، وظلت الوحدة حتى عـام ١٩٦١ . وفى عام ١٩٦٤ صدر دستور مصرى جديد باعتبار مصر دولة عربية ديموقراطية اشتراكية. وأما بالنسبة للأقباط وبطريركهم فى تلـك الفـترة، فـهو موضوع حديث الفصل التالى.



+ + +

الفصل الحادى عشر

عن القرن العشرين (الجزء الثانى) (حتى عام ١٩٥٩)

مع أن النصف الثانى من القرن العشرين قد شهد مُعاناة الكنيسة المصرية وشعبها، بسبب ثورة يوليو سنة ١٩٥٢م وحوادث السبعينيات نتيجة للمنظمات الإسلامية مثل جماعات الطلبة والجماعة الإسلامية، والأخوان المسلمين. ودخول قادة الكنيسة فى صراع مع الحكومة، والذى أمتد إلى مُنتصف الثمانينات[1].

إلا أنه خلال تلك المصاعب، من عام ١٩٥٢ حتى كتابة هذه السطور (١٩٩٧) قامت قيادة كنسية متعلمة جيداً - لأول مرة - ووفية للخدمة. وكانت أعظم نقطة تحوُّل سنة ١٩٥٩ بانتخاب ورسامة البابا القبطى (القديس) **كيرلس السادس** (بعد سنتين ونصف من خلو الكرسى المرقسى، والتى تلت مأساة البابا يوساب الثانى).

والنهضة الحادثة فى الكنيسة القبطية من ١٩٥٩ هى المحور الرئيسى لهذا الفصل.

وقد وُلد البابا كيرلس السادس سنة ١٩٠٢م. وتعلَّم بالإسكندرية.وتعيَّن فى شبابه فى هيئة للسياحة. وقد دخل دير البراموس فى وادى النطرون فى سن ٢٥ سنة، وتأثر بقراءة سير آباء البرية[2] .

وبعد عامين من الدراسة بمدرسة الرهبان بحلوان، عاد لوادى النطرون، حيث عاش فى مغارة قرب الدير، وفى عام ١٩٣٦ عاش فى خلوة. ثم سكن

---

(1) Maurice Martin et altri, "Les Nouveaux Courants dans la communauté Copte", Proche-Orient Chrétien, 40 (1990) , 249.

(2) Raphael Ava Mena, Days in the Life of a Contemprory Saint, Coptic Church Review, 7, (1986).

القمص مينا المتوحد بمصر القديمة (على تلال المقطم = الطاحونة) ثـــم صــار رئيساً لدير الأنبا صموئيل القلموني. ثم عـــاد لمصـــر القديمـــة حيـث انتخـب بطريركاً.

وكانت الحكومة المصرية قد أصدرت قراراً جمهورياً سنة ١٩٥٧ بالموافقـة على قواعد انتخاب البابا القبطى، ولكن لم تسمح بالانتخابـــات إلا بعـد سـنتين ونصف.

وقد أُعلنت تلك اللائحة فى أبريل سنة ١٩٥٩ ، بيد الدكتـور كمـل رمـزى أستينو وزر التموين المركزى، وهو قبطى مثّـل الأقبـاط فـى مجلـس وزراء الجمهورية العربية المتحدة[١].

وكان عهد البابا كيرلس السادس عهد نهضة قبطية، رغم ما جرى فى زمانه من أحداث صعبة[٢]. وكانت من أول أعماله حل المشكلة الخطيرة بيـن رجـال الكنيسة الأم وإبنتها كنيسة أثيوبيا، التى أرادت أن يكون رجال إكليروسـها مـن الأثيوبيين .

وفى منتصف ١٩٥٩ تم الاتفاق على رسامة بطريـرك جـاثليق (إثيوبـى) وعلى أن يظل بابا الإسكندرية هو الرئيس الروحى الأعلى للكنيسة الإثيوبية.

+ وقد رأى قداسة البابا كيرلس عودة الرهبان إلى أديرتهم. وبينما أطاع معظـم الرهبان الأمر، إلا أن بعض الرهبان بالصحراء الغربيـة (١٩٦٠-١٩٦١) لـم يطيعوا الأمر، فتم عقابهم بطردهم من شركة الكنيسة. ومـن هـؤلاء الرهبـان الراهب الأب متى المسكين، الذى سُرّعان ما عاد لدير أبى مقار، مع كل رهبانه.

واقترح البابا كيرلس العمل مع المجلس الملّى، ولكن سـنة ١٩٦٠ تشـكلت لجنة خاصة للأوقاف، على أن يتولى المجلس الملّى مسئوليات التعليم والمبـانى.

---

(1) Meinardus, Christian Egypt (1970) pp. 140-141.

(2) Legrand, " Le Renouveau Copte, Istina, 8 (1961).

ولكن عبد الناصر حل اللجنة ببساطة، على أساس أن البابا هو الـــذى يمكنـــه أن يتعامل مع هذه الأمور بطريقة أفضل[1] !!.

وعندما وضع عبد الناصر حجر الأساس للكاتدرائيـــة المرقسـية الجديـدة بالعباسية أكد على إخوّة المسيحيين والمسلمين، وعدم وجود تمييز بينـــهم. وقـد انحاز البابا فى جانب الحكومة. وتعـــددت تصريحاتـــه، التـــى أدانـت التـورط الأمريكى فى فيتنام، واستعمار إفريقيا، والعنصرية فى إسرائيل. وأقـــتراح آخـر بتقديم دراسات اشتراكية للإكليروس القبطى.

وقد بدأت الكنيسة القبطية تهتم بالمسيحيين فـــى أوغنـــدا وكينيـــا وتنزانيـــا وجنوب أفريقيا. وأعلن البابا كيرلس سنة ١٩٦٢ أن :" الكنيســـة القبطيـــة هـــى صاحبة التعليم الأرثوذكسى (السليم) ، وأنه حيثما توجد المسيحية الأرثوذكســـية، فإن الحرية الكاملة والسلام يسودان، ولأنه خلال تاريخ الكنيسة القبطية الطويل لم تُعطِ الفرصةَ السانحة للاستعمار، ليُسيطر على البلد من خلال تعاليم دينية".

وبحلول عام ١٩٦٤، كان الاعتقاد بأن " هنـــاك عـــدة مجتمعـــات إفريقيـــة مسيحية ، تريد قطع علاقتها بالكنائس الغربية، وتأسيس كنائس إفريقية مســـتقله"، وقد استخدمت بعض أموال الأوقاف القبطية فى خدمة جهود الجمعيات التبشـــيرية المصرية الغير استعمارية[2].

وفى مقالة سنة ١٩٦٤[3] كتب (الأب عـــيروط) الراهـــب اليســـوعى :" إن الكنيسة القبطية لها اليوم نحو ٥ مليون عضو. وهم يعيشون فى أصعب الأحـوال. وهم مواطنون مصريون أمناء". ووصفهم بأنهم شعب مُتديِّن، ولكن الكنيسة كـــانت

---

(1) Pennington , " The Copts in Modern Egypt" , Middle Eastern Studies, 18 (1982), 166.

(2) Middle East News Agency, 20 July 1962, quoted by Meinardus. Ibid. p. 469.

(3) Ayrout, " Regards sur le Christianisme en Egypte, hier et aujourd'hui " , Proche-Orient Chrétien, 15 (1965).

قد ضعفت ثم تجددت بدرجة كبيرة، بسبب الخلافات الداخلية ، حيث أن أغنى وأفضل العلمانيين الأقباط المتعلمين - وأحياناً الأكثر غيرة - أرادوا الإشراف على (إدارة) الكنيسة".

وقد استولت الدولة على المدارس القبطية، ولكن من خلال تحسُّن المستوى التعليمي للكهنة الأقباط ومدارس الأحد - ومؤسسات مثل جمعية الآثار القبطية، ومعهد الدراسات القبطية - استطاع الأقباط التركيز بنوع خاص على علاج الأمية ونشر التعليم.

وقد ذكرت صحيفتهم "وطنى" أن لها خمسين ألف قارئ. وعلاوة على ذلك نشط الأقباط فى توصيل الكتاب المقدس للأقباط من خلال جمعية الكتاب المقدس المصرية، وجمعياتهم الخاصة ، متضمنةً جهوداً بطولية للوصول إلى الأُسَر القبطية من خلال حركة " **الدياكونية الريفية**" ، مع التركيز على دراسة الكتاب المقدس فى تعليم رجال الأكليروس.

وفى عام ١٩٦٢، ابتدع جمال عبد الناصر " الاتحاد الاشتراكى العربى " ، الذى قُصِد به خلق مجتمع عربى جديد فى مصر، بالإضافة إلى هدف نشر التعليم الإسلامى الوطنى والاشتراكى العربى فى كل مكان .

كما أنه كان مقدمة لإعادة تنظيم الحياة السياسة والدستورية[1] المصرية.

كما بدأت مصر تدخُّلها فى اليمن سنة ١٩٦٢ - لمدة ٥ سنوات - والذى جرَّ مصر لخطر الحرب. وأتعب الكثير من حلفاء مصر .

وفى عام ١٩٦٢ أيضاً بدأ قداسة البابا كيرلس السادس برسامة "**أساقفة عامين**" ، للمشاركة فى قيادة الكنيسة. ومنهم نيافة **الأسقف أنبا شنودة**، الذى خلف قداسة البابا كيرلس، وقد أُعطِىَ مسئوليات خاصة فى التعليم المسيحى، على كافة مستوياته. **ونيافة الأسقف الأنبا صموئيل**، الذى كانت مسئولياته فى

(1) Vatikiotis, The History of Egypt (1985) p. 400.

الحركة المسكونية (ecumenism) وفى حقل الخدمة الاجتماعية بالكنيسة، كما تمت رسامة **نيافة الأنبا غريغوريوس** أسقفاً للتعليم العالى، ورئيساً لمعهد الدراسات القبطية.

ونظراً لعدم ارتباطهم بأسقفيات محددة، فقد كانوا أحراراً للخدمة فى أى مكان ، **وصلاحيتهم للترشيح للبطريركية**. وقاموا بنهضة فى الكنيسة، وقد زاد قداسة البابا شنودة الثالث عددهم، عندما صار بطريركاً.

وكانت حرب الأيام الستة مع إسرائيل سنة ١٩٦٧ نقطة تحوُّل فى تاريخ المصريين. فقد كانت ضربة شديدة لمصر، بسبب خسائرها مع خسائر حرب اليمن، علاوة على زيادة السكان، والهجرة السريعة للمدن، والبطالة العامة، والبطالة المُقنّعة، مما شكَّل تحديات للاقتصاد، وجهود بناء مصر !! .

وكان رد فعل هزيمة ١٩٦٧ شديداً فى التحوُّل للدين وإلى المجتمعات الدينية، وهو ما حدث بين المسلمين وبين الأقباط. وكانت ظهورات العذراء مريم (فى كنيسة الزيتون) سنة ١٩٦٨ فى سلسلة مصحوبة بالمعجزات لكل الناس والأجناس، أهم الأحداث فى تلك الفترة. وقد وصفتها المؤرخة المسلمة عفاف السيد بقولها :" بأنها أكبر ظاهرة مثيرة ، بعد الهزيمة" ثم تشرح ما حدث بقولها: " فى كنيسة صغيرة فى حى بعيد بالقاهرة (الزيتون) ظهرت العذراء، ولها مكانة خاصة فى قلوب كل المصريين، المسلم والمسيحى. وكان يجتمع الآلاف من المصريين كل ليلة، وأكتسحت البلاد حماسة دينية عارمة ووقف الجميع فى صفوف، من كل الطبقات المسيحية والإسلامية، والذين تحولوا للتديُّن، ونالوا التعزية"[1]. (بما تم أمامهم، ولهم من المعجزات).

---

(1) Afaf al-Sy'id Marsot, A Short History of Modern Egypt (Combridge Univ. 1985) p. 126.

وكان أول من رأوا هذه الظاهرة الروحية الفريدة هم المسلمون (عمال الجراج المقابل للكنيسة).وقد شجعت الحكومة الزوار ليقوموا بزيارة المكان ومحاولة رؤية تجلى أم النور على قبة الكنيسة[١].

وقد كان الاتجاه الدينى الإسلامى ، قد صار خطراً على الأقلية المسيحية القبطية، وكان ارتفاع المد الإسلامى قد زاد من حدة الصراع فى مصر فى نهاية القرن العشرين[٢].

ومات جمال عبد الناصر عام ١٩٧٠ وخلفه نائب رئيس الجمهورية أنور السادات **التى ورث وواجه كمية كبيرة من المشاكل الخطيرة**. وبعد عام ١٩٦٧ وجدت مصر نفسها معتمدة تماماً على الاتحاد السوفيتى والعربية السعودية، للحصول على الدعم الحربى والمالى، وكلاهما تدخّل فى حرية حركة مصر !!.

وقد بدأ حركات انسحاب من سياسات عبد الناصر. وفى إطار إيديولوجيته إلتّف حول نفوذ الجماعات اليسارية،بتشجيع المنظمات الإسلامية (المتطرفة) وخاصة بين الجماعات الهامة سياسياً مثل طلبة الجامعات، واستبدل علاقة مصر بالاتحاد السوفيتى بالولايات المتحدة، واتبع سياسة الانفتاح الاقتصادي،والاستثمار الأجنبى فى مصر. وقام بالحرب ضد إسرائيل فى أكتوبر سنة ١٩٧٣، بالتنسيق مع سوريا. وفاجأ إسرائيل يوم عيد الكفارة (Yom Kippur) وحققت الحرب نصراً قصيراً، ولكن كانت له نتائجه السياسية الهامة. أما المشاكل الإقتصادية والاجتماعية فلم تُمّس، وفى عام ١٩٧٧ رفع الدعم المكثف عن الغذاء. فقامت اضطرابات هددت النظام العام.

واتخذ السادات قراره بصُنع السلام مع إسرائيل، مما كلّف مصر ضياع صداقة ومساندة العرب لمصر. وقد بدا أكثر عقلانية من عبد الناصر.

---

(1) New Middle East , 51, 19-22.

(2) Amira Sonbol, op. Cit. Pp. 266-267.

وفى عام ١٩٧١، تنيّح البابا كيرلس السادس. وكان قديساً تقياً، وصانع معجزات، وقضى على السيمونية، ولكن كان ينقصه المهارات الإدارية اللازمَة للبطريرك فى التعامل مع المشاكل. (ولو أننا نرى أنه كان يتعامل - بروح الإيمان - مع المشاكل).

وفى أيام البابا كيرلس، بدأت حركة تزدهر، وكانت تنافس مدارس الأحد والنهضة الرهبانية، فى الحياة والخدمة، فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وكانت هى برنامج " **الدياكونية الريفية** " ، التى كان رائدها القمص بولس بولس بدمنهور، عام ١٩٥٧، واتسعت فى تأثيرها من عام ١٩٥٩ عن طريق الأسقف الأنبا صموئيل رئيس قسم الدراسات الاجتماعية بمعهد الدراسات القبطية وأسقف الخدمات الاجتماعية (الشهيد)(١).

وتم تخطيطه على أساس خدمة الأُسَر المسيحية فى القرى التى بلا كنائس. وشمل البرنامج توزيع كتب مقدسة وروحية، وزيارات للكهنة، لمناولة السكان من السر الأقدس، والتثقيف الاجتماعى، والتوعية بالأسرة وبالزراعة والصحة والاقتصاد المنزلى ، وتدريب العمال.

وقد تولى قداسة البابا شنودة الثالث الكرسى المرقسى عام ١٩٧١ فى سِن ٤٧ سنة، وقد تخرج من قسم التاريخ بكلية آداب القاهرة،وشارك فى الخدمة العسكرية خلال الحرب الأولى ضد إسرائيل عام ١٩٤٨ .

وكان له دوراً نشيطاً فى حركة مدارس الأحد من عام ١٩٥٠-١٩٥٣م. وهى الحركة التى رأسها بعدما صار أسقفاً عاماً. وهو شخصية بارزة. وبعد سنوات من العمل المثمر فى خدمة الكنيسة فى شبابه، ذهب وترَّهب.

---

(1) Assad , " The Coptic Church & Social Change in Egypt" , International Review of Mission, 61 (1972), 127.

وبعد ٦ سنوات عاش فى مغارة، متوحداً بعيداً عن دير، وقد تـأثر بمتوحـد زاهد مشهور هو " أبونا عبد المسيح" ، الذى سبق أن تأثر به أيضاً البابا كـيرلس السادس.

وقد اشتهر البابا شنودة (الثالث) بأنه لاهوتى بارع، ومفسر مجـدد للعـهد الجديد وصحفى (رئيس تحرير المجلة الأسبوعية " الكرازة")، ووصفه البطريـرك السريانى الأرثوذكسى مكسيموس حكيم بقوله :" إنه أكثر المبشرين بالكلمة خـبرة فى الشرق الأوسط اليوم".ويحضر محاضرته الأسبوعية ما بين ٥٠٠٠ – ٧٠٠٠ مستمع من كافة الطوائف.

وفى عهده زادت العلاقات المسكونية، بين مصر وباقى الكنـائس، والتـى بدأت بعد الحرب العالمية الثانية. فقد مثّل الأسقف (الشـهيد) الأنبـا صموئيـل، الأقباط فى مجلس الكنائس العالمى عام ١٩٥٤، فى مدينـة إيڤانسـتون بولايـة ألينوى بالولايات المتحدة الأمريكية.

وارتبطت الكنيسة بالمجلس الملى منذ ذلك التاريخ[1]، رغم معارضة بعـض المحافظين، مثل القمص متى المسكين، الذى انتقد المجلس الملى لعـدم تشـجيع الوطنية، والميل إلى اليهود[2]. !! (وهو رأى جانبه الصواب).

وعندما زار بطريرك القسطنطينية المسكونى القاهرة، قال أستاذ فى معـهد الدراسات القبطية :" لا يوجد اختلاف بينكم وبيننا، فالاختلافات فقط فـى معـانى الكلمات، ولا يوجد مبرر لكى نظل منفصلين فنحن لا نتبعُ الهرطوقى أوطـاخى (Eutyches) ولا أنتم تتبعون الهرطوقى نسطور".

---

(1) Dupuy, " Où en est la dialogue entre l'orthodoxie et les églises dites monophysites", Istina, 31 (1986), 357-370.

(2) Meinardus, " Recent Developments in Egyptian Monasticism", Oriens Christianus, 49 (1965), 79-89.

وردّ البطريرك المسكونى قائلاً :" إننى متأكد أننا ندخل فى علاقة مع كنيسة أرثوذكسية أخت"[1].

وفى عام ١٩٧١، ارتبط نيافة الأنبا شنودة (أسقف التعليم فى حينه) بأنشطة مسكونية. وفى مؤتمر " نحو الشرق" (Pro Oriente) بڤيينا، جرت محاولة للاتصال بين اللاهوتيين الشرقيين، أى الكنائس غير الخليدونية – الأرثوذكسية من جهة والكنائس الشرقية – الخلقيدونية – التى لها شركة مع بطريرك القسطنطينية من ناحية أخرى (وكانتا قد انفصلتا منذ عام ٤٥١، وكانت لهما إيبارشيات متنافسة فى المشرق، ووجود بطريرك لهم فى الإسكندرية، فى رأى الكاتب باتريك)، وكانت النصوص التى أقرها مؤتمر ڤيينا موجهة إلى رؤساء الكنائس الأرثوذكسية بالذات ، كدعوة للوحدة[2].

وقد أُعِدَّت مذكرة عن أهم الاختلافات – الغير لاهوتية – التى ظهرت خلال قرون الانفصال. وتم الاتفاق على أنها لا تعوق الوحدة. وتم التأكيد على الإيمان العام للكنائس الأرثوذكسية، كما عبّر عنه **قانون الإيمان**، الذى أصدره المجمع المسكونى الأول، فى نيقية عام ٣٢٥ م (Ecumenical Nicene Creed) ومبدأ الثالوث القدوس (Trinity) والأسرار السبعة، والكرامة التى للعذراء مريم، مع باقى الممارسات الدينية التقليدية – للكنيسة الشرقية – مثل الصوم، وإكرام الأيقونات (Icons) وذخائر القديسين (relics) وشفاعة القديسين.

وكان الأمر الأكثر أهمية هو مقدرة اللاهوتيين للتعبير عن إيمانهم العام بوحدانية المسيح (oneness) وعن كمال لاهوته، وكمال ناسوته. كما لم يُشِر إلى مجمع خلقيدونية (عام ٤٥١م) ولا عن مبدئه المثير للجدل عن " الطبيعتين"

---

(1) " Chronique, Proche-Orient Chrétien, 10 (1960).

(2) An English trans., was provided me by the Coptic Archbishop of Jerasalem, in Augst of 1982

للمسيح، بعد الاتحاد بين اللاهوت والناسوت. ومن المُدهش أنه لم تكن هناك أية مشاكل كبيرة، تحوّل دون الوصول إلى اتفاق مكتوب، حول المبدأ الذى كان سبباً فى فصل الكنائس عن بعضها البعض منذ وقت طويل. وأهمية الاتفاق المكتوب – عن مبدأ طبيعة المسيح – لم يكن حاسماً فقط، عن تدعيم علاقات الأقباط مع الكنائس الأرثوذكسية الشرقية، ولكن أيضاً لعلاقاتهم مع الكنائس الغربية – الكاثوليكية والبروتستانتية – وكانت قد قبلت أيضاً آراء مجمع خلقيدونية، التى رفضها الأقباط، وباقى الكنائس الأرثوذكسية الشرقية.

وقد زار البابا شنودة الثالث روما سنة ١٩٧٣، حيث قام بالتوقيع مع البابا الرومانى بولس السادس اتفاقاً عن لاهوت المسيح[1].

وفى حديثه فى كاتدرائيته عام ١٩٧٤[2] عبّر البابا المصرى عن إقتناعه بوجود الكثير مما يساعد على وحدة الكنيسة،ثم يقول قداسته :" نحن كنيسة محافظة وتقليدية، ومع ذلك نمد أيدينا نحو الوحدة فى كل مكان، لأنها من وصايا المسيح، وهى حسب إرادته". ثم تلى الصيغة العامة التى أقرها مجمع فيينا: "نؤمن كلنا أن سيدنا الرب والمخلِّص يسوع المسيح هو الكلمة المتجسد، والإله المتجسد. ونؤمن أنه كامل فى لاهوته، وكامل فى ناسوته، وأن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة، ولا طرفة عين".

وفى سنوات تالية قوّى البابا شنودة علاقته بالكنيسة الإنجليكانية. وفى عام ١٩٧٩ زار إنجلترا، لتدشين كنائس قبطية، وزيارة رئيس أساقفة كنتربرى. وفى عام ١٩٨٧، زار رئيس أساقفة كنتربرى البابا شنودة بديره (أنبا بيشوى) فى مصر، وقاما بالتوقيع على اتفاق مبنى على أساس قانون الإيمان النيقوى[3].

---

(1) Acta Apostolicae Sedis, 63 (30 April, 1973), 299-301.

(2) English trans., in Coptic Church Review, 6 (1985), 4-8.

(3) Fr. Tadrus Malaty's paper, delivered to Angelican / Oriental Forum. , October , 1985 , in Coptic Church Review, 6 (1985), 103 – 105.

وفى نهاية عام ١٩٨٧ رتّب قداسة البابا شنودة اجتماعاً فــى الديــر، ضــم البطريرك الإسكندرى للروم الأرثوذكس، وبطريركىّ انطاكية (الخلقيدونى وغـير الخلقدونى) وكاثوليكوس الأرمن، وأقروا نفس الإيمان بالمسيح[١].

وكان الاختلاف الأكبر على لاهوت المسيح – بين الإنجليكـــان والكنــائس الشرقية الأرثوذكسية – **لفظياً فى الواقع** ، أو كما قـــال الإرشــدياكون داولنــج (Dowling) :" قد أصبح مجرد إصطلاح دينى فقط "[٢].

وفى عام ١٩٨٨، حدثت لقـــاءات بيــن الكنيســة القبطيــة الأرثوذكسـية والكاثوليكية والإنجيلية (البروتستانتية) المصرية، وشارك فيها قــادة مــن أرفــع مستوى، مما قرّب الوّد بينها.

وتبقّى سؤال عما إذا كان الأقباط الأرثوذكس والرومان الكاثوليك يمكــن أن يتم التصالح بينهما، على ضوء الدعاوى المختلفة ، بين البابا الإســكندرية وبابــا روما، والحروم المتبادلة بين أبطالهما (مثل البابا ليـــو Leo الرومـــانى والبابــا ديوسقورس الإسكندرى) والخلافات الثقافية التى دبت بجذورهـــا خــلال قــرون الانفصال، وخاصة تلك التى انبعثــت بعــد حركـــة الإصـــلاح (Reformation) [البروتستانتى] فى أوربا.

وبينما كانت تسير الحركة المسكونية على قــدم وســاق، فـــى الســبعينيات والثمانينيات (من القرن الماضى) وجد الأقباط أنفســـهم فـــى ظــروف خطــيرة ومتزايدة فى مصر. فقدْ زادتْ الحركات الدينية العسكرية بسبب فشـــل سياســـات عبد الناصر، والتى تبعتّها سياسة السادات الاقتصادية التحرّرية (بالانفتاح) علـــى الغرب، وتحالفه مع دول البترول العربية الغنية، بعد ١٩٧١[٣].

---

(1) Encyclopaedia Britan, 1989 Book of The year Supplement, p. 297.

(2) Dowling , The Egyptian Church (London, 1909) pp. 5-6.

(3) Martin et altri, " Les Nouveaux Courants dans la Communauté Copte Orthodoxe, p.p. 250-52.

" وكان البابا شنودة هو حجر الزاوية فى جهود حركة التجديد، لتكوين قوة خادمة للأقباط، ولذلك لم يعُد لهم اعتماد على الحكومة"(١).

وكان يظن كثير من المصريين (المسلمين) أنه كان له أسلوبه الخاص فى الضغط لكى يحصل الأقباط على حقوقهم باستخدام الشباب القبطى المسلح !! (Coptic militancy) (٢) ، كما كان الأقباط يبنون الكثير من الكنائس (مما كان يغيظ المتطرفين).

وفى الثمانينيات، انزعج كثير من المسلمين (المصريين) من نهضة الكنيسة القبطية، وجهود إحياء اللغة القبطية (على حساب العربية !!) والتوسع فى بناء الكنائس. كما رأى البعض منهم " أن الكنيسة القبطية تُشبه الحزب السياسى بزعامة البطريرك، مما يقسم الأمة"(٣).

كما ألمح البعض إلى أن الأقباط يعارضون الحركة الإسلامية لتطبيق الشريعة، ولكى تكون هى المصدر الوحيد للقانون المصرى(٤). وأعلنوا أن الشريعة الإسلامية ليست تهديداً للأقباط، ولكنها تأتى من مخاوف مدفوعة من الغرب، لأنها ضد مصالحه(٥). كما أن الأقباط يشكون أيضاً أن الإحصاءات الرسمية تقلل من أعدادهم، لتبرير قلة تمثيلهم فى الحكومة، وفى كل مجالات الحياة(٦).

---

(1) Abd al-Monein Saïd Ali & M.W. Wanner, " Modern Islamic Reform Movments : The Muslim Bortherhood in Contemporary Egypt" , The Middle East Journal,36 (1982), 358.

(٢) راجت هذه الإشاعة المُغرِضة ، التى نشرها المتطرفون، وصدقتها السلطات الحاكمة فى حينه للأسف الشديد !!.

(3) Amira Sonbol, op. cit. p. 265.

(4) Naggar, " The Application of Sharia Laws in Egypt" , Middle East Policy, I (1992), 62-73.

(5) Solihin, Copts & Muslims in Egypt : A Study on Harmony & Hostility (1991) pp.79-82.

(6) Ansari, " Sectarian Strife in Egypt & The Political Expediency of Religion" , The Middle East Journal, 38 (1984) 397 & 403.

وكانت الجماعات الإسلامية الطلابية في الجامعة، التي شجعها السادات لمحاصرة النفوذ اليساري، قد بدأت هجمات منظمة على الطلبة الأقباط، الذين انخرطوا في أنشطة عسكرية !! (وهو لم يحدث أبداً كما يزعم الكاتب).

وأنزعج الأقباط المحافظون مما يحدث، وتمنوا لو أن مرشحاً دبلوماسياً - مثل الأسقف صموئيل - هو الذي كان قد اختير عام ١٩٧١ . (وهو رأي غير سليم، لأن قداسة البابا شنودة كان ولا يزال من القادة الأقباط العظام، الذين يستخدمون **الحكمة العالية**، في التعامل مع الأحداث السياسية الدامية).

وحلّت مشاكل درامية، وزادت الاعتداءات على الكنائس. ومنذ سنوات عديدة كان الكثير من علماء المسلمين (رجال الدين) يقترحون أن بناء الكنائس ، غير شرعي في بلد إسلامية[١].

وكان عبد الناصر قد وعد بالتصريح ببناء ٢٥ كنيسة في كل سنة، ولكن تم إصدار قرارات لثمانية وستين كنيسة فقط خلال الستينيات، وفي التسعينيات، كان من اللازم تقديم كثيرين التماسات وشكاوٍ حتى يصدر قرار جمهوري بترميم كنيسة!![٢].

وفي عام ١٩٨٠ ساءت الأحوال جداً كنتيجة لإلقاء القنابل على الكنائس القبطية، حتى ألغى البابا شنودة احتفال عيد القيامة المجيد، وقام أقباط الولايات المتحدة بالإضراب ضد السادات خلال زيارته لأمريكا، ولامَ البابا شنودة، واتهمه بالتآمر ، لإنشاء دولة منفصلة في الصعيد!

وفي عام ١٩٨١ كان السادات يائساً، لعدم تحسين خططه من مستوى الاقتصاد المصري. وكان استخدامه المسلمين المتشددين ضد اليسازيين

(1) * El-Damanhuri, on Churches of Cairo (trans. Univ. of Califonia, 1975).
* Muhammad al-Ghazzali, Our Beginning in Wisdom (trans. New York, 1975).
(2) Kepel, Muslim Extremism in Egypt (London 1985) pp.207-210.

(الشيوعيين) قد جرّ البلاد إلى حمّام دم مسيحى / إسلامى فى القاهرة، فى يونيو من عام ١٩٨١.

ولكى يقبض على الجماعات الإسلامية المسلحة، وليظهر توازناً، أرسل البابا شنودة إلى ديره، ليكون تحت الحجز (وأصدر قراراً جمهورياً بإلغاء اعتماده بطريركاً للكرازة المرقسية) وحاول أن يوجد من يحل محل قداسته. وتم القبض على أساقفة وكهنة آخرين، وكذلك قبَض على الجماعات المسلحة الإسلامية، بما فيهم جماعة الأخوان المسلمين.

وقد حدث ذلك فى سبتمبر سنة ١٩٨١، وبعد أسابيع، مات السادات بعدما اغتاله المسلمون المسلحون. واستشهد بجواره الأسقف المحبوب الأنبا صموئيل، وتولى نائب الرئيس" حسنى مبارك" الحُكم فوراً . وكانت سياساته – ولا تزال – تميل للسلام والتعقُّل والحكمة، والتشدُّد مع الإرهاب، والعودة بالأمور إلى طبيعتها العادية، والتدرُّج فى التحديث. وأعاد البابا شنودة إلى كرسيه بالقاهرة عام١٩٨٥م[1].

وفى انتخابات عام ١٩٨٤ لم يشترك الأقباط مع الوفد– كما جرت العادة – لأن هذا الحزب تحالف مع الأخوان المسلمين. ولذلك رأى الأقباط أنه لم يعُد لهم مكان فى الوفد، وأن فرصتهم فى الحزب الرسمى الدولة (الديموقراطى).

وفى عام ١٩٨٥ ، عندما تم عرض قانون الشريعة على مجلس الشعب،ولم يوافق عليه. وأثبت أن مصر ستظل مستمرة فى حكومة مدنية.

وبعض المتعلمين الأقباط، الذين لم يهاجروا إلى كندا أو أمريكا أو أستراليا، مالوا للتكريس كرهبان وراهبات. وقد زار إثنان من الروس أديرة قبطية، وكتبا سنة ١٩٧٨ فى صحيفة الكنيسة الروسية الأرثوذكسية[2] عن: " الانتشار الواسع

---

(1) Roy & Irelan, " Law & Economy in the Evolution of Contemporary Egypt " , Middle Eastern Studies, 25 (1989), 179.

(2) Millbank, " A Visit to the Coptic Church" , Sobornost, 2 (1980), 57-64.

للرهبنة، وإعادة تقليد آباء الصحراء"، وكيف كانت نهضة الرهبنة متعلقة أساساً بالطبقة الوسطى المتعلمة بالقاهرة. وامتلأت أديرة وادى النطرون بالأطباء والمهندسين من العاصمة. وفى ثلاثين عاماً تضاعف عدد الرهبان ثمانية أضعاف(١).

وقد سجّل أتوُميناردوس – فى كتابه عن الرهبنة القبطية(٢) – عدد ٤٠ راهباً بدير أنبا أنطونيوس، ٤٠ فى دير أنبا بولا، ٨٣ فى دير البراموس، ١٢٠ فى دير أنبا بيشوى ، ٦٠ راهباً فى كل من دير السريان والمحرّق. ولا يزال التكريس للرهبنة دعوة قوية لكثير من الأقباط. كما تمت رسامة كثير من الأساقفة من أفضل الرهبان المتعلمين بالجامعات والمتعمقين فى النُسك.

وقال أستاذ جامعى قبطى سنة ١٩٨٢ :" إن الكنيسة القبطية مثل متحف تاريخى، حيث يتواجد القديم مع الحديث، جنباً إلى جنب"(٣). وينتقد كثير من الأقباط إنصراف الكنيسة الغربية عن الإيمان الأصيل، ولعدم الاهتمام بالتعليم الدينى. وبينما نجد التمسُّك القبطى بالتقليد القديم ، لكن يجرى التحديُث بدون تعارض، إذ يذهب إلى الكنيسة المتعلمون عالياً، التقليديون وغيرهم(٤).

وعندما نبحث علاقة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بالبيئة الثقافية والسياسية، التى نجد بها الأقباط، والغالبية المصرية. نبدأ بالإحصاءات (التعداد)، فهناك إحصائية تشير إلى أن الأقباط ٣-٤ مليون، أو ٧- ١٠ مليون ؟!!.

---

(1) D.O.R., " Revivescence du Monachisme Oriental", Notes et Documents" , Irenikon, 33 (1960) 385-88.

(2) Meinardus, Monks & Monasteries of the Egyptian Deserts (Cairo 1982), pp. 31-167.

(3) Bebawi, The Bishop in the Coptic Church Today" (London 1982) p. 68.

(4) Farah, Religious Strife in Egypt : Crisis & Ideological Conflict in the 70s (Montreux , Switzerland , 1986) p. 49.

ولكن هناك دراسة إحصائية تمّت عام ١٩٦٧، وتضمنت أن الأقباط يكونون ٧-٨ % فى القرنين الأخيرين. ولذلك فإن الرقم الأصغر ، الذى يقترب من رقم الحكومة، هو أفضلها[١].

ومتوسطات العدد الإجمالى والنسبة المئوية - الموجودة فى عدة مقالات[٢] - تقترح العدد ٦ مليون قبطي، ١٠ -١٢ % من سكان مصر ، ولكن هناك إحصائيات تتفق مع الأقباط فى أن نسبتهم فى السكان أعلى (علماً بأن أجمالى سكان مصر سنة ٢٠٠٤ أكثر من سبعين مليوناً).

ويشبه الأقباط المصريين الآخرين، ولكن يتميّزون عنهم بأسمائهم وعلامة الصليب (الوشم) على معصم القرويين الأيمن. وهناك عدد قليل يتركون المسيحية للإسلام هرباً من زواج مُتعِب، أو للحصول على عمل أفضل، ولكن الشباب اليوم لا يخجلون من إيمانهم المسيحى، **ويتمسكون بعقيدتهم**، وأن كنيستهم هى مجال حل مشاكلهم الاجتماعية[٣].

وكاتب هذه السطور (Patrick) قد حضر فى ليلة إثنين فى عام ١٩٨٩ اجتماعاً أسبوعياً للشباب، حضره مالا يقل عن ٥٠٠ شاب وشابة، فى كاتدرائية المطرانية بمدينة بنى سويف، وتعجب من نشاط الشباب هناك.

ويلوم موريس مارتن الشباب القبطى المتدّين عام ١٩٨٢، على عزلته السلبية، لشعورهم بأنهم مستبعدون من الحياة الوطنية. وينتقد الأقباط حياة البعض كالحياة الأوربية الحديثة، التى يشعرون إنها قضت على القِيَم الروحية التقليدية فى مصر، ولاسيما الأخلاقيات والقِيَم الأُسَرِّية.

---

(1) Dueruet, " Statistique Chretienne d'Egypt,-Travaux et Jours. 24 (1967) 65-68.

(2) * Ibrahim, " A Social & Geographical Analysis of the Egyptian Copts" , Geojournal, 6 (1982) , pp. 63-67.

* Betts, Christians in the Arab East (London 1981).

(3) Pennington, op. cit. p. 167.

ومن ناحية أخرى، فإن قداسة البابا شنودة حدد - في مقابلة صحفية - أهداف رحلته التي عزم على القيام بها بالخارج عام ١٩٨٩ وبدا كأنه يُقلّل من آثار الإرهاب في مصر (extremism) بقوله :

- " إن أبناءنا الذين يعيشون فيما وراء البحار، يلزم أن يعرفوا أن ما يسمعونه عن التطرّف الديني هو مُبَالغ فيه .. وأن الحقيقة مختلفة. فإن الإرهاب ليس دائماً .. وأريد أن نعرف أن الإرهاب في مصر في تقهقر"(١).

وفي الدراسة الاجتماعية(٢) لأدمز (Adams) عن الريف المصري (١٩٧٧) قد اختار مدينة بمحافظة المنيا بالصعيد، وربُع سكانها (٢٥٠٠٠ نسمة) من الأقباط، ولهم ممثليهم في مجلس القرية، ولا يميزّهم عن غيرهم سوى رسم الصليب (tattoo) ورأى أن الأقباط في ذلك الوقت (السبيعنيات) كانوا يعانون من اضطهاد الجماعات الإسلامية، ومع ذلك ساروا في عملهم بأكثر نشاط، دون النظر إلى اضطهاد أو إحباط(٣).

ولذلك ملك الأقباط ٥٨ % من المشروعات في مكان البحث (لاسيما تلك الأكثر فنياً والأعمال الأكثر ربحاً)، وثلاثة أخماس المصانع (الورش) وكل الصيدليات واستوديوهات التصوير، ومحال بيع الأدوات الكهربائية، وتسعة من كل أحد عشر طبيباً ، كانوا مسيحيين .

ويُقال :" إن نجاح الأقباط في أعمالهم هو أفضل ضمان لبقائهم نحو ١٣,٥ قرن تحت ظل السيادة العربية المُستّبدة. وقد أظهر الأقباط عزمهم على الحياة في تلك الظروف الصعبة جداً . بروح مسيحية حقيقية . ففي عام ١٩٨٠ تمت دراسة

---

(1) Proche-Orient Chrétien, 39 (1989) 324.

(2) Adams, Development & Social Change in Rural Egypt (New york Univ., 1986). P. 185.

(3) Idem. P. 185.

عن المسيحيين (الأقباط) فى مصر. وقد أظهرت مدى تعاونهم، وتعاطفهم مع بعضهم البعض[1].

ومع مجانية التعليم بمراحله تبرز مشاكل : كثرة الطلاب وضعف مستوى التعليم وزيادة بطالة الخريجين الكثيرين، وصعوبة إيجاد أعمال مناسبة لهم. ويعتبر التعليم العالى هدفاً للأقباط، للوصول إلى مناصب رفيعة. وقد حققوا نجاحاً فى الهندسة والقانون، وإن كانوا قد مالوا إلى التجارة، بسبب ما يعانونه – فى الوقت الحاضر – من المناداة بعدم السماح للأقباط بتولى المراكز القيادية فى الدولة وفى البحث العلمى ..الخ.

ومنذ نحو ربع قرن لم يجد الأقباط بديلاً لما يعانونه من التمييز العنصرى سوى **الهجرة**. فهاجر العديد من الشباب المصرى، للبحث عن مستقبل أفضل، وصارت لهم ٤ كنائس فى إنجلترا ، ١٠ فى كندا ، ٤١ فى الولايات المتحدة، ١٤ فى أستراليا ، التى بدأت الهجرة إليها من ١٩٦٢ إلى ١٩٦٧[2].

وللأقباط مستقبل فى بلاد المهجر، حيث يتأقلمون ويجدون عملاً كافياً. وأنهم يرتبطون بكنيستهم الأم وطقوسها ولغتها. وفى مصر نفسها تسير الكنيسة القبطية الأرثوذكسية نحو النمو، فتمتلئ بالمصلين فى القداسات والعشيات، بما فيهم من الشباب والفتيات، والأطفال فى مدارس الأحد. وتمتلئ الأديرة القبطية بالرهبان. وتجذب الكثير من الزوّار، ليتمتعوا بالهدوء، والحكمة ، وحفاوة الرهبان[3].

والكثير من الجماعات المسيحية فى العالم تحسد الكنيسة القبطية الحية وشعبها من أقباط مصر، لحياتهم المستقرة، واهتمامهم بأبنائهم، حتى بعد

(1) Wikan, Life Among the Poor in Cairo (London 1980) p. 47.

(2) Hillal Dessouki, " The Shift in Egypt's Migration Policy", The Middle Eastern Studies, 18 (1982), 53-68.

(3) Martin et altri, Les Nouveaux Courants , op. cit., p.253.

زواجهم. ومحاولة تسكينهم بالقُرب منهم، للاهتمام بهم وبأحفادهم. وقد انفتح البابا شنودة على العالم ، فهو يقوم بزيارات إلى الخارج، ولقاء كثير من الشخصيات العالمية والروحية. وإلقاء المحاضرات، كما يُشجّع على التعليم والرعاية الاجتماعية للشعب المحتاج إليها[٤].

والخُلاصة : إن الكنيسة القبطية التقليدية، وهى تقترب من نهاية القرن العشرين (أثناء الانتهاء من إعداد هذا الكتاب) تعيش فى نشاط وحيوية ووفاء لمصر وللمسيحية.

وفى عام ١٩٩٢ صار بطرس بطرس غالى القبطى، سكرتيراً عاماً للأمم المتحدة. وسيسجل التاريخ مدى تقدم الكنيسة القبطية فى القرن الواحد والعشرين مثلما تقدمت فى القرن السابق.

وكان الهدف من تأليف هذا الكتاب، أن يؤكد للقارئ أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، هى هى كنيسة أثناسيوس وكيرلس (عمود الدين)، وهى نفس الكنيسة التى كانت بعد الغزو العربى، كما كانت قبله، مُتمسكة بتقاليدها القديمة.

ومن رأى الكاتب أنه **من خطأ العقل، وعدم الحكمة، إنكار استمرار تعاليم المسيحية الأولى فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية المصرية، لمدة عشرين قرناً، منذ بدايتها.**

وعلاوة على ذلك، فهى مازالت **مستمرة فى تقاليدها وطقوسها المسيحية القديمة.** وقد يتجه نقد بعض مسيحيِّى الغرب إلى الزعم بأن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ظلت جامدة، أى لم تتغير فى شئ ، سواء فى ممارساتها الدينية الطقسية. ولا فى عُمق عقائدها (وهو ما يُحسب لها، لا عليها). والواقع أن مقاومتها الشديدة لفكر التغيير، لم تفد الأقباط فى الاحتفاظ باستمراريتهم فى

(4) Rugh, Family in Contemporary Egypt (New York, 1984) pp. 209-210.

كنيستهم منذ عصور المسيحية الأولى فقط ، ولكنها أيضاً تساعد على الإشارة إلى الاستمرارية وإقناع الذين يشكوُن فيها.

وفى الخاتمة، نشهد بأن الكنيسة التى عاشت طويلاً متمسكة بالإيمان السليم - فى ظروف مختلفة وصعبة جداً - يجب أن تلقَّى التشجيع، لاسيما وأنها فخورة بماضيها المجيد، وبما فيها من رجال عظماء، حفظوا الإيمان، ونالوا أكاليل الشهادة من أجله. ولا يزال أحفادهم الأقباط يقومون بنفس الدور ، بأمانة تامة.

+ + +

تم بحمد الله

Bibliography

Abd al-Malik, Butrus. " The Christian Church in Egypt in the Tenth Century," Tome commémoratif du millénaire de la Bibliothèque patiarcale d'Alexandrie. Alexandria, Egypt: Publications de la l'Institut d'Etude Orientale de laBibliothèque Patriarcale d'Alex. (1953).

Abd al-Masih. Yassa. "The Faith and Practices of the Coptic Church." Tome commmoratif de la millnaire de la bibliothĕque patriarcale d'Alexandrie.

(Alexandria, Egypt: Publication l'Institut d'Étude Orientale de la Bibliothéque Patriarcale d'Alexandrie, 1953).

Abudacnus. The History of the Copts Commonly Called Jacobites under the Dominion of the Turk and Abyssinian Emperors with Some Geographical Notes or Descriptions of the Severl Places in Which They Live in Those Dominions. Trans. from original in Latin, E. S. Sadleir. 2nd ed. London: R. Baldwin, 1693.

Abu Salih. The Churches and Monastries of Egypt: And Some Neighboring Countries. Ed. and trans. B. T. A. Evetts with added notes by A. J- Butler. Oxford; Clarendon Press, 1895.

Adams, Françis William Lauderdale. The New Egypt. London: T. Fisher Unwin, 1893.

Adams. Richard H. Development and Social Change in Rural Egypt. Syracuse, N. Y. : Syracuse Univ. press, 1986.

Adams. William, Nubia: Corridor to Africa. Princeton: Princeton Univ. Press, 1977.

Adeney, w. F. The Creek and Eastern Churches. New York: Scribner.1939

The Agpeya : Being the Coptic Orthodox Book of Hours, according to the Present-day Usage in the Church of Alexandria. Los Angeles: Sts. Athanasius and Cyril of Alexandria Orthodox Publications, 1982.

Alcock. Andony, ed. and trans. Isaac the Presbyter's.The life of Samuel of Kalamun. Warminster, Engl.,: Aris and Phillips, 1985.

Alexandrina: Héllénisme, Judaisme et Christianisme à Alexan-drie: Mélanges offerts au P. Claude Mondésert. Paris: Éditions du Cerf, 1987.

Alla, Waheed Hassab. Le Baptême des enfants dans la tradition de l'église copte d'Alexandrie. Fribourg, Switz.: Éditions Universitaires, 1985.

Amélineau, Émile Clément, ed. and trans. "Encomium of Pisentios, Bishop of Keft." In his Étude sur christianisme en Égypte au septiéme siécle: Paris, 1887.

-------. La Géographie de l'Égypte à 1'époque copte. Paris, 1895.

-------. L'Histoire de l'Égypte chrétienne. Paris, 1895.

-------. Monuments pour servir à l'histoire de l'Égypte chrétienne au IVe et Ve siécles. Volume 4 of Mémoires publiées par les membres de la mission archéologique française au Caire. Paris: Ernest Léroux, 1888.

-------. Oeuvres de Schenoudi : Texte copte et traduction friançaise. Paris, 1907.

Anawati. Georges C. "The Christian Communities in Egypt in the Middle Ages." In Conversion and Continuity: Indigenous Christian Communities in Islamic Lands,Eighth to Eighteenth Centuries. Ed. Michael Gervers and Ramzi Gibran. Toronto: Pontifical Institute of Medieval Studies, 1990, pp. 237-251.

Ansari, Kamiel. Egypt: The Stalled Society, Albany, N. Y., Suny Press, 1986.

-------. "The Islamic Militants in Egyptian Politics." International Journal of Middle East Studies, 16 (1984), 123-144.

-------. "Sectarian Conflict in Egypt and the Political Expediency of Religion." Middle East Journal, 38 (1984), 397-418.

Arberry, A. J., Religion in the Middle East. 2 vols., (Cambridge Univ. Press, 1969).

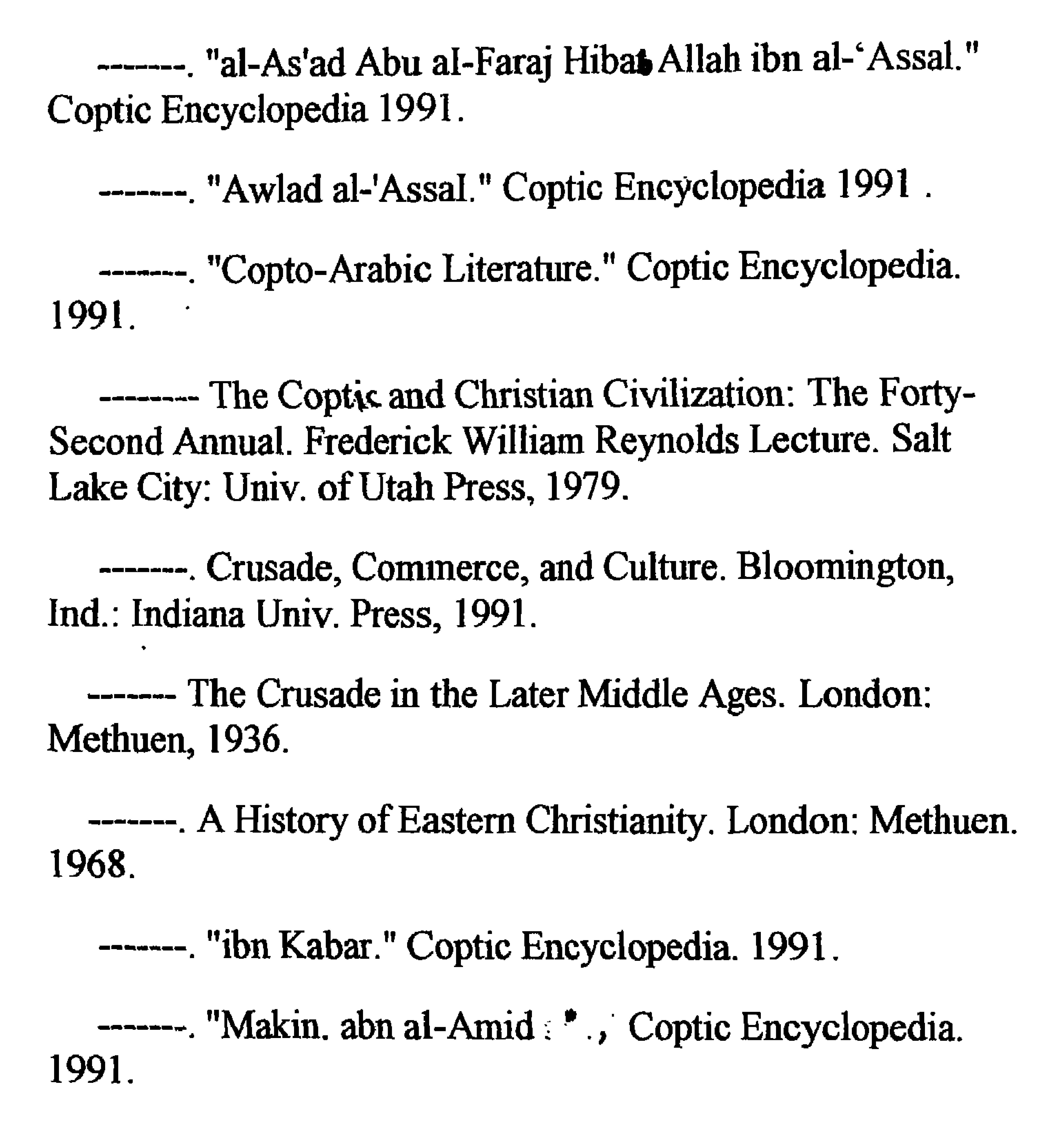
Arnold, Duane Wade-Hampton. The Early Episcopal Career of Athanasius of Alexandria. Notre Dame: Notre Dame Univ. Press, 1991.

Assad, Maurice. "The Church and Family life Education." Bulletin of the Institute of Coptic Studies, 1975,49-62.

-------. "The Coptic Church and Social Change in Egypt." International Review of Missions, 61 (1972), 117-129.

Athanasius, Bishop of Beni-Suef and Bahnasa. The Copts through the Ages 5th ed. Cairo: State Information Service, n.d.

-------. The Doctrines of the Orthodox Church of Alexandria. n.p., n.d. Atiya, Aziz Surial. "Abu Shakir ibn al-Rahib." Coptic Encyclopedia, 1991.



-------. "al-As'ad Abu al-Faraj Hibat Allah ibn al-'Assal." Coptic Encyclopedia 1991.

-------. "Awlad al-'Assal." Coptic Encyclopedia 1991 .

-------. "Copto-Arabic Literature." Coptic Encyclopedia. 1991.

------- The Coptic and Christian Civilization: The Forty-Second Annual. Frederick William Reynolds Lecture. Salt Lake City: Univ. of Utah Press, 1979.

-------. Crusade, Commerce, and Culture. Bloomington, Ind.: Indiana Univ. Press, 1991.

------- The Crusade in the Later Middle Ages. London: Methuen, 1936.

-------. A History of Eastern Christianity. London: Methuen. 1968.

-------. "ibn Kabar." Coptic Encyclopedia. 1991.

-------. "Makin. abn al-Amid ., Coptic Encyclopedia. 1991.

Ayad, Boulos Ayad. "The Relationship between The Ancient Egyptian Culture and Coptic Culture." Bulletin of The Institute of Coptic Studies, 1975, 81-84.

Ayalon, David. L'Escalvage du mamelouk. Jerusalem: Israel Oriental Society. 1951.

Ayrout, Henri Habib. The Egyptian Peasant. 1938: rpt. Boston: Beacon Press.1963.

------. " Regards sur le christinsme en Egypte hier et. aujourd'hui." Proche-Orient Chrétien, 15 (1965), 3-42.

Aziza, Hussein. "The Role of Women in Social Reform in Egypt." Middle East Journal, 7 (1953), 440-450.

al-Azmeh, Aziz. Ibn Khaldun: An Essny in Reinterpretation. London: Frank Cass, 1982.

Badawi, Alexandre. Guide de l'Égypte Chrétienne. Cairo: Société d'archéologie Copte, 1953.

Baer, Gabriel. A History of Land Ownership in Modem Egypt, 1800-1950. London : Oxford Univ. Press. 1962.

Bagnall, R. S. Rev. ; The Arab Conquest of Egypt and The Last Thirty Years of the Roman Dominion, by Alfred J .Butler. Classical Journal, 75 (1979-1980), 347-348.

Barbulesco, Luc, ed.Les Chrétiens Egyptiens aujourd'hui: Éléments de discours. Cairo: Centre d'études, el de documentation économique, juridique. et social, 1985.

Bardy, Gustave. "Les premiers temps du christianisme de angue copte en Lgypte," In Memorial Lagrange. Paris: J. Gabalda, 1940, pp- 203-216.

Barnard, Leslie W. "St Mark and Alexandria." Harvard Theological Review,57 (1964), 145-150.

Batal, James. "Notes on the New Egypt," Muslim World. 44 (1951), 227-235.

Bauer, Walter. Orthodoxy and Heresy in Earliest Christianity. Trans. and ed. R. A. Kraft et al. Philadelphia: Fortress Press, 1977.

Bauwens-Preaux, Renée, ed. Voyage en Égypte de Joos van Chistlle;, 1482-83. Cairo: Institut français d'archéologie orientale, 1976.

Bebawi, George. "The Bishop in the Coptic Church Today." In Bishops But What Kind? Reflections on Episcopacy. Ed. Peter Clement Moore. London: SPCK, 1982-

-------. "Saint Athanasios: The Dynamics of Salvation." Sobornmost, 8 (1986), 24-41.

Behrens-Abouseif, Doris. Die Kopten in der Agyptischcn Geselhchift: von der Mitte des 19.Jahrhunderts bis 1923. Freiburg: Klaus Schwarz, 1972.

------. "The Political Situation of the Copts, 1798-1923." In The arabic-Speaking Lands. Vol. 2 of Christians and Jews in the Ottoman Empire: The Functioning of a Plural Society. Ed. Benjamin Braude and Bernard Lewis- New York: Holmes and Meier, 1982.

Bell, David N., ed. and trans. The Life of Shenoute: By Besa, Kalamazoo, Mich.: Cistercian Publications, 1983.

Bell, Harold Idris. Cults and Creed in Greco-Roman Egypt. New York : Philosophical Library, 1956.

-------. Egypt from Alexander the Great to the Arab Conquest: A Study in the Diffusion and Decay of Hellenism. Oxford: Clarendon Press, 1948.

------ -.Jews and Christians in Egypt: The Jewish Troubles in Alexandria. and the Athanasian Controversy, Illustrated by Texts from Creek Papyri in the British Museum. London: British Museum, 1924.

Betts, Robert B. Christians in the Arab East. London: SPCK, 1979.

Bilanuik, P. B. T. "Florence, Copts at the Council of (1439-1442)." Coptic Encyclopedia, 1991.

Bishai, Wilson B. "The Transition from Coptic to Arabic." Muslim World 53 (1963), 145-150.

Blecker, C. J. "The Egyptian Background of Gnosticism." In Le Origini dello Gnosticismo. Ed. Ugo Bianchi. Leiden: E.J. Brill. 1967, pp. 229-236.

"Blessed Be Egypt, My People." Editorial. Missiology, 5 (1977), 403-405.

Bosworth, C. E. "Christian and Jewish Religious Dignitaries in Mamluk Egypt and Syria: Qalqashandi's Information on their Hierarchy, Titulature, and Appointment." International Journal of Middle East Studies, 3 (1972), 59-74.

-------, ed. The Islamic World from Classical to Islamic pr Times: Essays in Honor of Bernard Lewis. Princeton: Darwin Press, 1989.

-------. "The 'Protected Peoples' (Christians and Jews) in Medieval Egypt and Syria." Bulletin of John Rylands Library, 62 (1979-80), 11-36.

Bowie, Leland. "The Copts, the Wafd, and Religious Issues in Egyptian Politics." Muslim World, 67 (1977), 106-126.

Bowman, A. K., Egypt after the Pharaohs: 332 B.C. - A.D. 642 from Alexander to the Arab Conquest, London: British Museum, 1986.

Brett, M., ed. Northern Africa: Islam and Modernization. Frank Cass, 1973.

Brooks, E. W. "The Patriarch Paul of Antioch and the Alex. Schism of 575:' Byzantinische Zeitschrift, 30 (1929), 468-476.

Brown, Peter. Society and the Holy in Late Antiquity. Berkeley: Univ. of California Press, 1982.

Brunner-Traut, Emma. Die Kopten: Leben und Lehre der Frühen Christen in Ägypten. Köln: Diederichs, 1982.

Bulliett, R. W. Conversion to Islam in the Medieval Period. Cambridge: Harvard Univ. Press, 1975.

Burmester, Oswald H. E. KHS-. 'The Canons of Christodoulos, LXVI Patriarch of Alexandria." Le Muséon, 45 (1942), 71-84.

-------. -The Canons of Cyril III ibn Laklak, part II." Bulletin de la Société d'Archéologie Copte, 14 (1959), 116-150.

-------. The Egyptian or Coptic Church: A Detailed Description of Her Liturgical Services and the Rites and Ceremonies Observed in the Administration of Her Sacraments. Cairo: Publications de la société d'archéologie copte, 1967.

-------, ed. and trans. The Horologion of the Egyptian Church: Coptic and Arabic Text from a Medieval Manuscript. Cairo: Centro Francescano di Studi Orientali Christiani, 1973.

Butcher, Edith L. The Story of the Church of Egypt . 2 vols. London: Smith, Elder,and Co.,1897.

Butler, Alfred J. The Arab Conquest of Egypt and the Last 30 Years of the Roman Dominion. 1902: rpt. Ed. P. M. Fraser. New York: Oxford Univ. Press, 1978.

Carter. Barbara Lynn. The Copts in Egyptian Politics. London; Croom Helm, 1986.

Chadwick, Henry. Early Christian Thought and the Classical Tradition Studies in.Justin, Clement, and Origen. New York: Oxford Uuiv. Press, 1966.

------. The Early Church. Baltimore: Penguin Books. 1967.

------. Origen Contra Celsum. Cambridge: Cambridge Univ. Press, 1965.

------"Pachomius and the Idea of Sanctity" In The Byzantine Saint. Ed. Sergei Hackel. San Bernardino, Calif.: Borgo Press, 1983, pp. 11-24.

-------. "Philo and the Beginnings of Christian Thought", In The Cambridge History of Later Greek and Early Medieval

Philosophy. Ed. H. H. Armstrong. Cambridge: Cambridge Univ. Press, 1967.

------. "Philoponus the Christian Theologian." In Philoponus and the Rejection of Aristotelian Science. Ed. Richard Sorabji. London: Duckworth, 1987.

Chalaby, Abbas. Les Coptes d'Égypte. Rouen : Samco-Offset-Rouen, 1973.

Charles, R. H., trans. and ed. The Chronicle of John, Bishop of Nikiou: Translated from Zotenberg's Ethiopic Text. London: Williams and Norgate, 1916.

Chauleur, Sylvestre. Histoire des coptes d'Égypte. Paris: La Colombe, 1960.

Chitham, E. J. The Coptic Community in Egypt: Spatial and Social Change. Durham, Engl.: Univ. of Durham, 1986.

Chitty, Derwas, J. The Desert a City: An Introduction to the Study of Egyptian and Palestinian Monasticism under the Christian Empire. Oxford: Basil Blackwell and Mott, 1966.

-------, trans. The Letters of Saint Antony the Great. Oxford: SLG Press, 1975.

Church Missionary Record 1-29. London: Church Missionary Society Press, 1930-1958.

Clarke, Somers. Christian Antiquities in the Nile Valley. Oxford: Clarendon Press, 1912.

Clarke, W. K. Lowther. The Lausiac History of Palladius. London: SPCK. 1918.

The Coptic Liturgy. Cairo: Coptic Orthodox Patriarchate, 1963.

Cramer, Maria. Das Christlich-koptische Ägypten: Einst und Heute, Eine Orientierung. Wiesbaden: O. Harrassoiwtz, 1959.

Creed, J. M. "Christian and Coptic Egypt." In Legacy of Egypt. Ed. S. R.K Glanville. 1st ed. Oxford: Clarendon Press, 1942.

Cromer, Lord (Evelyn Baring). Modern Egypt. 2 vols. New York: Macmillan, 1908.

Crouzel, Henri. Origen. Trans. A. S.Worrell. San Francisco: Harper and Row,1989.

Crum, W. E. "Eusebius and Coptic Church Histories." Proceedings of the Society of Biblical Archeology, 24 (1902), 68-84.

-------. "Sévère d'Antioche en Égypte." Revue de 1'Orient Chrétien, ser. 3, 3 (1922-23), 92-104.

.....The Cry of Egypt's Copts: Documents on Christian Life in Egypt Today. New York: Phoenicia Press, 1951.

al-Darmanhuri, Ahmad ibn Abd al-Mur. Shaykh Damanhuri On the Churches of Cairo (1739). Ed. and trans. Moshe Perlmann. Berkeley: Univ. of California Press, 1975.

Day, Peter D. Eastern Christian Liturgies: The Armenian, Coptic, Ethiopian and Syrian Rites. Shannon, Ireland: Irish Universities Press, 1972.

Dehérain, H. L'Égypte turque: Pachas et mamelukes du XVIème au : XVIIIme siècle: L'Expédition du Général Bonaparte. Vol. 3 of Histoire d'Égypte. Ed. G. Hanotaux. Paris: Librairie Plon, 1931.

Dckmeijian, R. Hrair. Patterns of Political Leadership: Egypt, Israel. Lebanon. Albany, N. Y.: SUNY Press, 1975.

den Heijer, Johannes. "L'Histoire des patriarches d'Alexandrie: Recension primitive et vulgate." Bulletin de la Société d'Archéohgie Copte, 27 (1985), 1-29.

-------. Mawhub Ibn Mansur Ibn Mufarrig et l'historiographie copto-arabe: Etude sur la composition de 1'Histoire des Patriarches d'Alexandrie (= Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium, Vol. 513: Subsidia, tomus 81). Louvain,1989.

-------. "Quelques Remarques sur la deuxième partie de L'Histoire des patriarches d'Alexandrie." Bulletin de Ia. Société d'Archéologie Copte, 25 (1983), 107-124.

Dennett, D. C. Conversion and the Poll Tax m Early Islam. Cambridge: Harvard Univ. Press, 1950.

Dessouki, Ali E. Hillal. "The Shift in Egypt's Migration Policy." Middle Eastern Studies, 18 (1982), 53-68.

Détré.Jean-Marie. "Contributions à 1'étude des relation's du patriarche copte Jean XVII avec Rome de 1735 à 1738," Studia Orientalia Christiana Collecteana, No. 5 (1960), 123-169.

Dick, I. "Difficultés suscités à l'église copte pour sa participation au Conseil Oecumenique des Églises." Proche-Orient Chrétien, 13 (1963). 55-63.

Diehl, Charles. L'Égypte chrétienne et byzantine. Vol. 3 of Histoire de la nation égyptienne. Ed. G. Hanotaux. Paris: Librairie Plon, 1937.

The Divine Liturgy of St. Basil the Great: And the Evening and the Morning Raising of Incense Prayers. Troy, Mich.: St. Mark Coptic Orthodox Church, 1982.

Dodwell, Henry. The Founder of Modern Egypt: A Study of Muhammad Ali. Cambridge: Cambridge Univ. Press, 1931.

D. 0. R. "Reviviscence du monachisme oriental." Irenikon, 33 (1960), 385-388.

Doresse, Jean. Des Hieroglyphes à la croix: Ce que Ie passé pharaonique à légué au christianisme. Istanbul: Nederlands Historisch-Archeologisch Instituut,1960.

Dowling, Theodore Edward. The Egyptian Church. London: Cope and Fenwick, c. 1909.

Downey, Glanville. "Coptic Culture in the Byzantine World: Nationalism and Religious Independence." Greek, Roman, and Byzantine Studies, 1 (1958), 119-135.

Drescher, James, ed. and trans. Apa Mena- A Selection of Coptic Texts Relating to St. Menas. Cairo: Publications de la société d'archéologie coptc, 1946.

du Bourget, Pierre. Les Coptes. Paris: Presses universitaires de France, 1988.

Duchesne, Louis Marie Olivier. L'Église au sixième siècle. Paris: Fontemoing et cie., E. de Boccard. Successeurs, 1925.

Ducruet, Jean and Maurice Martin. "Statistique Chrétienne d'Égypte." Travaux et Jours, 24 (1967), 65-68.

Dupuy, Bernard. "Où en est le dialogue entre l'orthodoxe et les églises dites monophysites?" Istina, 31 (1986), 357-370.

Ebied, R. Y. and L. R. Wickham.. "A Collection of Unpublished Syriac Letters of Timotheus Aelurus."Journal of Theological Studies, NS 21 (1970), 321-369.

The Egypt and Sudan Mission. London: Church Missionary Sociey, 1910.

Elder, Earle E. Vindicating a Vision. Philadelphia: Presbyterian Board of Missions, 1958.

Evagrius Scholasticus. The Ecclesiastical History of Evagrius with Scholis. Ed. J. Bidez and L. Permentier. 1898; rpt. New York, 1979.

Evelyn-White, Hugh Gerard. The Monasteries of Wadi Natrun. 1933; rpt. New York Arno Press, 1973.

Evetts, B. T. A. "Un Prélat reformateur, le patriarche Cyril IV (1854-1861)." Revue de l'Orient Chrétien, 17 (1912), 3-15.

Faksh, Mahmud A. "The Chimera of Education for Development in Egypt: The Socio-Economic Role of University Graduates." Middle Eastern Studies. 13 (1977), 229-240.

Farag, F. Rofail. Sociological and .Moral Studies in the Field of Coptic Monasticism. Leiden: E.J. Brill, 1964.

------. "The Technique of Research of a Tenth Century Christian ArabWriter: Severus ibn Muqaffa." Le Muséon, 86 (1973), 37-66.

Farah, Nadia Ramsis. Religious Strife in Egypt: Crisis and Ideological Conflict in the Seventies. Montreux, Switz.: Gordon and Breach, 1986.

Fenoyl, Maurice de. "Les sacrements de l'initiation chrérienne dans l'eglise copte." Proche-Orient Chéretien, 7 (1957), 7-25.

-------. Le Sanctorale Copte. Beirut: Imprimerie Catholique, 1960.

Ferré, André. "Abu al-Fadl Isa ibn Nasturus." Coptic Encyclopedia. 1991.

------. "Fatimids and the Copts." Coptic Encyclopedia. 1991

Fortescue, Adrian. The Lesser Eastern Churches. London: Catholic Truth Society, 1913.

Fowler, Montague. Christian Egypt: Past, Present, and Future. London: Church Newspaper Company, 1901.

Frederick, Vincent. "Abu al-Fakhr al-Masihi." Coptic Encyclopedia. 1991.

-------. "Abu al-Khayr al-Rashid ibn al-Tayyib." Coptic Encyclopedia. 1991

-------. "Butrus Sawirus al-Jamil." Coptic Encyclopedia. 1991.

-------. "Yuhanna of Sammanud." Coptic Encyclopedia. 1991.

Frend, W. H. C.. "Athanasius as an Egyptian Christian Leader in the Fourth Century." New College (Edinburgh) Bulletin, 8, 1 (1974).

-------. "The Church of the Roman Empire, 313-600." In The Layman in Christian History. Ed. M. I. Finley. London: Rotitledge and Kegan Paul, 1974, pp. 263-287.

-------. "The Mission to Nubia: An Episode in the Struggle for Power in Sixth Century Byzantium." Travaux du centre d'Archeologie Meditérranéenné de L'Academie Polonaise des Sciences, Voi. 16, Etudes de Travaux, 8 (1975), 10-16.

-------. "Nationalism as a Factor in Anti-Chalcedonian Feeling in Egypt" In Religion and National Identity: Papers Read at the Nineteenth Summer and the Twentieth Winter Meetings of the Ecclesiastical History Society. Oxford: Balckwell, 1982.

-------. "Religion and Social Change in the Late Roman Empire." The Cambridge Journal, 2,8 (1949), 491-495.

------,. The Rise of Christianity. Philadelphia: Fortress Press, 1984.

-------. The Rise of the Monophysite Movement: Chapters in the History of the Church in the Fifth and Sixth Centuries. Cambridge: Cambridge Univ. Press, 1972.

------. "Severus of Anrioch and the Origin of the Monophysite Hierarchy." In The Heritage of the Early Church:

Essays in Honor of the Very Reverend G. V.Florovsky. Rome, 1973.

-------. "The Winning of the Countryside." 'The Journal of Ecclesiastic History,18 (1967), 1-14.

Friedeberg, Ilse. "Bishop Samuel." Sobomost, 4 (1982), 60-62.

Gairdner, W. H. Temple. D. M. Thomton: A Study in Missionary Ideals and Methods. London: Hodder and Stoughton, 1908.

Gallagher, Nancy E. "Islam v. Secularism in Cairo: An Account of the Dar al-Hilman Debate." Middle Eastern Studies, 25 (1989), 208-215.

Gellens, Samuel I. "Egypt, Islamization of." Coptic Encyclopedist. 1991.

Gershoni, Israel and J. P. Jankowski. Egypt, Islam, and the Arabs: The Search for Egyptian Nationhood, 1900-1930. New York: Oxford Univ. Press, 1986.

Gervers, Michael and Ramzi Jibran Bikhazi, eds. Conversion and Continuity: Indigenous Christian Communities in Islamic Lands, Eighth to Eighteenth Centuries. Toronto: Pontifical Institute of/Medieval Studies, 1990.

Ghali, Mirrit Butros. "Essay : The Egyptian National Consciousness." Middle East Journal, 32 (1978), 59-77.

-------. "Ethiopian Church Autocephaly." Coptic Encyclopedia. 1991.

-------. The Policy of Tomorrow. Washington: American Council of Learned Societies, 1953.

al-Ghazzali, Muhammad. Our Beginning in Wisdom. Ed. and trans. Isma'il R. el-Faruqi. 1953; rpt New York: Octagon Books, 1975.

Giamberardini, P. Gabriele. "La Doctrine christologique des coptes." Proche-Orient Chrétien, 13 (1963), 211-220.

-------. L'Incamarion inconditionéne du Christ dans la theologie copte." Proche-Orient Chrétien, 16 (1966), 113-119.

Gill, Joseph. The Council of Florence. Cambridge: Cambridge Univ. Press,1959.

Glubb.John. Soldiers of Fortune: The Story of the Mamluks. New York: Stein and Day, 1973.
Goldschmidt, Arthur. Modern Egypt: The Formation of a Nation state . Boulder, Col, : Westview Press, 1988.

Goodspeed, Edgar J. A History of Early Christian Literature. Rev. and enlarged. Robert M. Grant. Chicago: University of Chicago Press, 1966.

Gordon, Joel. "The False Hopes of 1950: The Wafd's Last Hurrah and The Demise of Egypt's Old Orders." International Journal of Middle East Studies 21 (1989), 193-214.

Gordon, Lucie Duff Letters from Egypt (1862-1869). Ed. and with additional letters Gordon Wakefield. New York: Praeger, 1969.

Graf, Georg. Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur. Vol. 2.Vatican City: Bibliotheca ApostolicaVaticana, 1947.

Grant, Robert M. "Theological Education at Alexandria." In The Roots of Egyptian Christianity. Ed. Birger A. Pearson and James E. Goehring. Philadelphia: Fortress Press, 1986, pp. 178-189.

Green, Henry A. "The Socio-Economic Background of Christianity in Egypt" In The Roots of Egyptian Christianity. Ed. Birger A. Pearson and James E. Goehring. Philadelphia: Fortress Press, 1986, pp. 100-113.

Gregg, Robert C. and D. E. Groh. Early Arianism: A View of Salvation. Philadelphia: Fortress Press, 1981.

Gregorios. "Baptism and Chrismation according to the Rite of the Coptic Orthodox Church." Bulletin de la Société d'Archéologie Copte, 21 (1971-73), 19-32.

-------. "Christianity, the Coptic Religion and Ethnic Minorities in Egypt". Geojouinal, 6 (1982), 57-62.

Gregorios, Paulos, William H. Lazareth, and Nikos A. Nissiotis. Does Chalcedon Divide or Unite?: Towards Convergence in Orthodox Christology. Geneva: World Council of Churches, 1981.

Griffith, Sydney H. "Eutychius of Alexandria on the Emperor Theophilus and Iconoclasm in Byzantium: A Tenth Century Moment in Christian Apologetics in Arabic." Byzantium.52 (1982), 154-190.

Grillmeier, Alois. Christ in Christian Tradition: From the Apostolic Age to Chalcedon (451). Trans.J. S. Bowden. London: Mowbray, 1965.

Guillaumont, Antoine. "Copte . lttérature spirituelle ." dictionnaire de spiritualité ascétique. 1953.

------. "Kellia." Coptic Encyclopedia. 1991. .

Hammerschmidt, E. "Some Remarks on the History of, and our Present state of Investigation into, the Coptic Liturgy." Bulletin de la Société d'Archéologie Copte, 19 (1967-68), 89-114.

Hanna, Malek. "Les livres liturgiques de l'église copte. In Vol. 3, Orient chrétien, of Mélanges Eugène Tisserant pp. 1-35.

Hardy, Edward Rochie. Christian Egypt, Church and People: Christianity and Nationalism in the Patriarchate of Alexandria. New York; Oxford Univ. Press, 1952.

-------. The Large Estates of Byzantine Egypt. New York: Columbia Univ. pess,1931.

-------. "The Patriarchate of Alexandria : A Study in a National Christianity." Church History, 15 (1946), 81-100.

Heikal, Mohammed. The Autumn of Fury: The Assassination of Sadat. New York: Random House, 1983.

Hewett, Gordon. The Problem of Success: A History of the Church Missionary Society, 1910-1942. 2 vols. London: Church Missionary Society, 1971.

Heyworth-Dunne, J. "Education in Egypt and the Copts." Bulletin de la Société d'Archéohgie Copte. 6 (1940), 91-108.

-------. An Introduction to the History of Education in Modem Egypt. London: Frank Cass, 1939.

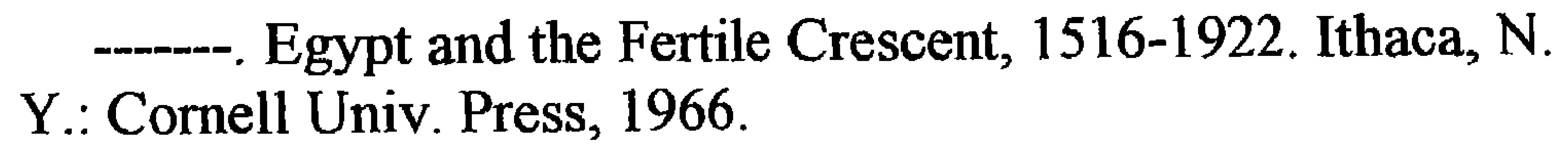
Hill, Henry, ed. Light from the East: A Symposium of the Oriental Orthodox and Assyrian Churches. Toronto: Anglican Book Centre, 1988.

History of the Patriarchs of the Coptic Church of Alexandria. Ed. and trans.B. T. A. Evetts. In Patrologia Orientalis. Vol 1, pp. 105-211 and 383-518; Vol. 5, pp. 3-215; Vol. 10, pp. 358-540. Paris: Firmin-Didot, 1907-1915.

History of the Patriarchs of the Egyptian Church: Known as the History of the Holy Church by Sawirus ibn al-Mukaffa. Vol. 2, pt 1. Trans. Yassa Abd al-Masih and 0. H. E.Burmester. Cairo: Sodété d'archéologie cople, 1943. Vol. 2.pt. 2.. Trans. Aziz S. Atiya, Yassa Abd al-Masih, and 0. H. E. Burmester. Cairo:Societé d'archéologie copte, 1948. Vol. 2, pt 3. Trans. Aziz S. Ariya, Yassa Abd al-Masih, and 0. H. E. Burmester. Cairo: Société d'archéologie copte, 1959. Vol. 3, pts. 1-3. Trans. Antoine Khater and 0. H. E. Burmester. Cairo: Société d'archéologie copte, 1968 and 1970. Vol. 4, pts. 1-2. Trans. Antoine Khater and 0.H. E. Burmester. Cairo: Société d'archéologie copte, 1974.

Hitti, Philip. The Arabs; A Short History. 5th Paperback Printing. Princeton: Princeton Univ. Press, 1966.

Holt, Peter Malcolm. The Age of the Crusades: The Near East from the Eleventh Century to 1517. New York: Longman, 1986.


-------. Egypt and the Fertile Crescent, 1516-1922. Ithaca, N. Y.: Cornell Univ. Press, 1966.

------- ,ed. Political and Social Change in Modem Egypt: Historical Studies from the Ottoman Conquest ".to the United Arab Republic. New York; Oxford Univ.Press.1968.

Hunter, F. Robert. Egypt under the Khedives, 1805-1879. Pittsburgh.[Pittsburgh Univ. Press, 1984].

Husayn, Afandi. Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution: By Huseyn Efendi. Trans. Stanford J. Shaw. Cambridge: Harvard Univ. Press, 1964.

ibn Khaldun. The Muqaddimah: Introduction to History. 3 vols. Trans. F. Rosenthal. New York: Pantheon Books, 1958.

Ibrahim, Fouad N. "Social and Economic Geographical Analysis of the Egyptian Copts." Gcojoumal, 6(1982), 63-67.

Irwin, Robert. The Middle East in the Middle Ages: The Early Mamluk Sultanate, 1250-1382. Carbondale, 111. Southern Illinois Univ. Press, 1986.

Jaeger, Wemer. Early Christianity and Greek Paideia. Cambridge: Harvard Univ. Press, 1961.

Jeremias (Monk of St. Macarius' Monastery). Personal Interview. 7 December 1989.

Johnson, David W. "Coptic Relations to Gnosticism and Manichaeism." Le Muséon, 100 (1987), 199-209.

-------. "Further Remarks on the Arabic History of the Patriarchs of Alexandria." Oriens Chnstianus, 61 (1977), 103-116.

Jomier, Jacques. "Les Copies." In L'Egypte d'aujourd'hui: Permanence et changements, 1805-1976. Ed. M. C. Aulas et al. Paris: CNRS, 1977, pp. 69-84.

Jouguet, Pierre. "De l'egypte grecque à l'égypte copte." Bulletin de l'Association des Amis des Eglises et de l'Art Copte, 1 (1935), 1-26.

Jowett, William. Christian Researches in the Mediterranean: From 1815-1820 in Furtherance of the Objects of the Church Missionary Society. 3rd ed. London: Church Missionary Society, 1824.

Judge, E. A. "The Earliest Use of Monachos for 'Monk' and the Origins of Monasticism.".Jahrbuch ü Antike und Christentum, 20 (1977), 72-89.

Judge, E. A. and S. R- Pickering. "Papyrus Documentation of Church and Community in Egypt in the Mid-Fourth Century." Jahrbuch für Antike und Christentum, 20 (1977), 47-71.

Kamil, Jill. Coptic Egypt: History and Guide. Cairo: American Univ. in Cairo Press, 1967.

Kamil, Murad. Coptic Egypt. Cairo: Le Scribe égyptien, 1968.

Karas, Shawky F. The Copts Since the Arab Invasion. Jersey City: American, Canadian, and Australian Coptic Associations, 1985.

-------. "Egypt's Beleaguered Christians." Worldnew, 26 (1983), 13-14.

Kasser, Rodolphe. "Les Origines du christianisme égyptien." Revue de Théologie et de Philosophic, 95 (1962), 11-28

Kelly.John Norman Davidson. Early Christian Creeds. 3rd ed. New York: D.McKay, 1972.

Kemp, E. W. "Bishops and Presbyters in Alexandria." Journal of Ecclesiastical History. 6 (1955), 125-142.

Kepel, Gilles. Muslim Extremism in Egypt: The Prophet and the Pharaoh. Trans. Jon Rothschild. Berkeley: Univ. of California Press, 1986.

Khella, Karam Nazir. Naissance et dévdoppement de I'eglise copte. Paris: Cahier d'etudes chrétiennes orientales, 1967.

Kidd, Beresford James. The Churches of Eastern Christendom from 451 to the Present Time. London: The Faith Press, 1927.

King, Archdale A. The Rites of Eastern Christendom. Rome: Catholic Book Agency, 1947. Vol. 1.

Klijn, A F. J. "Jewish Christianity in Egypt-." In The Roots of Egptian Christianity. Ed. BirgerA. Pearson and James E. Goehring. Philadelphia: Fortress Press, 1986, pp. 161-175.

Kolta, K. S. Das Chiistentum am Nil und die Heutige Koptische Kirche.Munich: J. Pheiffer, 1982.

Kuhn, E. H. "A Fifth Century Egyptian Abbot" Journal of Theological Studies, NS 5 (19.54), 36-48, 174-187.'

Labib, Subhi. "Athanasius III." Coptic Encyclopedia. 1991.

-------. "Badr al-Jamali." Coptic Encyclopedia. 1991.

-------. "Benjamin II." Coptic Encyclopedia. 1991.

-------. "Bulus al-Habis." Coptic Encyclopedia. 1991.

-------. "The Copts in Egyptian Society and Politics, 1882-1919." In Islam, Nationalism, and Radicalism in Egypt and the Sudan. Ed. Gabriel R. Warburg and Uri M. Kupferschmit. New York: Praeger, 1983.

-------. "Crusades." Coptic Encyclopedia. 1991.

-------. "Cyril II." Coptic Encyclopedia. 1991.

-------. "Gabriel II." Coptic Encyclopedia. 1991.

-------. "John VII." Coptic Encyclopedia. 1991.

-------. "Mark III." Coptic Encyclopedia. 1991.

------- "Peter V." Coptic Encyclopedia. 1991.

Lane, Edward W. The Manners and Customs of the Modem Egyptians,1836; rpt London: East-West Publications, 1978.

Lane-Poole, Stanley. A History of Egypt in the Middle Ages. 2nd ed.JLondon: Methuen, 1913.

Lapidus, T. M. "The Conversion of Egypt to Islam." Israel Oriental Studies,2 (1972). 248-262.

Lefbrt, Louis Theophile. "Catéchèse christologique de Chenoute. Zeitschrift für Ägypdsche Sprache und Altertumskunde, 80 (1955), 40-45.

-------. Les Vies coptes de Saint Pachome et de ses premiers successeurs, Louvain: Muséon, 1943.

Legrain, G. Une Famille copte de Haute-Égypte. Brussels: La Fondation égyptologique Reine Elisabeth, 1945.

Legrand, Hervé-Marie. "Le Renouveau copte." Istina, 8 (1961-62), 133-150.

Leipoldt, Johannes. Schenute von Atripe und die Enstehung des National Agyptischen Christentums. (Texte und Untersuchungen 25,13). Leipzig: Hinrichs,1903.

-------. "Zur Ideologic des Fruhen Koprischen Kirche." Bulletin de la Societé d'Archeologie Copte, 17 (1963-64), 101-110.

Lewis, Bernard. The Arabs in History. 4th ed. New York: Harper and Row, 1967.

-------. "Egypt and Syria." In The Central Islamic Lands , from Pre-historic Times to the First World War. Vol. 1, of The Cambridge History of Islam. Ed. P. M. Holi, A. K. S. Lambton, and B. Lewis. Cambridge: Cambridge Univ. Press, 1970,

Lewis, Naphtali. Life in Egypt under Roman Rule. Oxford: Clarendon Press, 1983.

Little, D. P. "Coptic Conversion to Islam under the Bahri Mamluks 692-755/1293-1354." Bulletin of the School of Oriental and African Studies, 39 (1976),552-569.

-------. "Religion under the Mamluks." Muslim World, 73 (1983), 155-181.

Little, Tom. Modem Egypt. London: Ernest Benn, 1958.

MacCoull, Leslie S. B. "Child Donations and Saints in Coptic Egypt" East European Quarterly, 13 (1979), 409-415.

-------. "Coptic Orthodoxy Today: Ethnicism, Deadend, and Mere Survival." Coptic Church Review, 4 (1983), 25-29.

-------. "The Strange Death of Coptic Culture." Coptic Church Review, 10 (1989), 35-43.

-------. "Three Cultures under Arab Rule: The Fate of Coptic." Bulletin de la Société d'Archéologie Copte, 27 (1985); 61-70.

al-Makrizi, Taqi' al-Din. A Short History of the Copts and of their Church. Trans. S. C. Malan. London: D. Nutt, 1873.

-------. "Account of the Monasteries and Churches of the Christians of Egypt; Forming the Concluding Sections of the Khitat of al-Makrizi (died A.H. 845-A.D.1441)." In Abu Salih. The Churches and Monasteries of Egypt' And Some Neighboring Countries. Ed. and trans. B. T. A, Evens with added notes by A. J. Butler. Oxford: Clarendon Press, 1895, pp. 305-346.

Malaty, Tadros Y. "The Coptic Orthodox Church-Anglican Church Relations." Coptic Church Review, 6 (1985), 103-105.

-------. St. Mary in the Orthodox Concept. Alexandria, Egypt: St. George Coptic Church, n. d.

Markos, Bishop Antonius. "Developments in Coptic Orthodox Missiology." Missiology, 17 (1989), 203-215.

Martin, Annik. "Aux Origines de l'eglise copte: L'Implantation et le developpement du christianisme en Egypte." Revue des Études Anciennes, 83 (1981), 35-56.

-------. "Les Premiers siècles du christianisme à Alexandrie: Essai de topographie religieuse (IIIe - IVe siecles.) Revue des Études Augustiniennes, 30 (1984), 211-225.

Martin, Maurice-Pierre. "Les Coptes catholiques 1880-1920." Proche- Orient Chrétien, 40 (1990), 33-35.

-------. "Les Coptes en Egypte: Une minorité assiegée." Choisir, No. 310 (October, 1985).

-------. "L'Eglise et la communauté copte dans l'Islam. égyptien." TS. Jesuit Institute Library. L'Ecole Ste. Famille, Cairo.

-------. "Une Lecture de L'Histoire des patriarches d'Alexandrie." Prochc-Orient Chrétien, 35 (1985), 15-36

Martin, Maurice-Pierre, Christian van Nispen, and Fadel Sidarouss. "Les Nouveaux courants dans la communauté copte orthodoxe." Proche-Orient Chrétien, 40 (1990), 245-257.

Maspero, Jean. Histoire des patriarches d'Alexandrie: Depuis la mort de L'Empereur Anastase jusqu'à la reconciliation des églises Jacobites (518-616). Paris: Librairie Ancienne Edouard Champion, 1923.

el-Masri, Iris Habib. "A Historical Survey of the Convents for Women, in Egypt, up to the Present Day." Bulletin de la Société d'Archéologie Copte, 14 (1958), 63-111.

-------. The Story of the Copts. Cairo: Middle East Council of Churches 1978.

Matthee, Rudi. "Jamal al-Din al-Afghani and the Egyptian National Debate." International Journal of Middle East Studies, 21 (1989), 151-169.

McCarthy, Justin A. "Nineteenth Century Egyptian Population." Middle Eastern Studies, 12, 3 (October,1976), 1-40.

McMullan, Ramsey. "Nationalism in Roman Egypt" Aegyptus, 44 (1964) 179-199.

McNeill, William H. The Rise of the West: A History of the Human Community. Chicago: Univ. of Chicago Press, 1963.

Meinardus, Otto F. A. "The Attitudes of the Orthodox Copts towards the Islamic State,from the Seventh to the Twelfth Century." östkirchliche Studien, 13(1964), 153-170.

-------. Christian Egypt: Ancient and Modern. Cairo: Cahiers d'histoire egyprienne, 1965.

-------. Christian Egypt: Faith and Life.. Cairo: The American Univ. in Cairo Press, 1970.

-------. "Damru." Coptic Encyclopedia. 1991.

-------. Monks and Monasteries of the Egyptian Desert, Rev. ed. Cairo:The American Univ. in Cairo Press, 1989.

-------. "Recent Developments in Egyptian Monasticism." Oriens Christianus, 49 (1965), 79-89.

-------. "Zar M'onastischen Erneuerung in der Koptischen Kirche." Oriens Christianus, 61 (1977), 59-70.

Mellini, Peter. Sir Elden Gorst: The Overshadowed Proconsul. Stanford, Calif.: Hoover Institution Press, 1977.

Mena, Raphael Ava. "Days in the Life of a Contemporary Saint" Coptic Church Review, 7 (1986), 22-28.

Meyendorff, John. Christ in Eastern Christian Thought. New York: St.Vladimir's Seminar" Press, 1975.

Mikhail, Kyriakos. Copts and Muslims under British Control: A Collection of Facts and a Résumé, of Authoritative Opinion on the Coptic Question. 1911; rpt.Port Washington, N. Y.: Kennikat Press, 1971.

Millbank, John and Allison. "A Visit to the Coptic Church." Sobornost, 2 (1980), 57-64.

Milne, Joseph Grafton. A History of Egypt under Roman Rule. 3rd ed. London: Methuen, 1924.

Moloney, Raymond. "Egypt, Ethiopia: Africa's Senior Churches in Dialogue with Rome."African Ecclesiastical Review, 30 (1988), 91-96.

Monks, George R. "The Church in Alexandria and the City's Economic life in the Sixth Century." Speculum, 38 (1953), 349-362.

Morrison, S. A. the Way of Partnership. London: Church Missionary Society, 1936.

Motski, H. "Jirjis al-Jawhari." Coptic Encyclopedia. 1991.

Muir, William. The Mameluke or Slave Dynasty of Egypt: A History' of Egypt from the Fall of the Ayyubite Dynasties to the Conquest of the Osmanlis A.D. 1260-1517. 1896; rpt. Amsterdam: Oriental Press, 1968.

Musa, Salama. The Education of Salama Musa. Trans. L. 0. Schuman. Leiden: E.J. Brill, 1961.

-------. "Intellectual Currents in Egypt" Middle Eastern .Affairs, 2 (1951), 267-272

Najjar, Fauzi M. "The Application of Sharia Laws in Egypt" Middle East Policy, 1 (1992), 62-73.

.....,Nationalism, and Radicalism in Egypt and the Sudan. Ed. Gabriel R. Warburg and Uri M. Kupferschmidt. New York: Praeger, 1983.

Neale, John Mason. A History of the Holy Eastern Church: The Patriarchate of Alexandria. 2 vols. London: Joseph Masters, 1847.

Nock, Arthur Darby. "Later Egyptian Piety." In Coptic Egypt. New York; Brooklyn Museum, 1944.

.....,Non-official Ecumenical Consultation between Theologians of the Oriental Orthodox Churches and the Roman Catholic Church. Vienna-Lainz, September 7-12, 1971. Vienna: Herder, 1972.

Norris, Richard A., ed. The Christological Controversy. Philadelphia: Fortress Press, 1980.

Northrup, Linda S. "Muslim-Christian Relations during the Reign of the Muslim Sultan al-Mansur Qalawun (A.D. 1278-1290)." In Conversion and Continuity: Indigenous Christian Communities in Islamic Lands,Eighth to Eighteenth Centuries. Ed. M. Gervers and R. Gibran. Toronto: Pontifical Institute of Medieval Studies, pp. 253-261.

O'Leary, De Lacy. The Saints of Egypt. London: SPCK, 1937.

------- ' Severus ofAntioch in Egypt." Aegyptus, 32 (1952), 425-436.

-------. A Short History of the Fatimid Khalifate. London: Kegan Paul,! trench, Trubner, & Co.,1923.

Olster, David. "Chalcedonian and Monophysite: The Union of 616. " Bulletin de la Société d'Archeologie Copte, 27 (1985), 93-109.

O'Neill,J.C. "The Origins of Monasticism." In The Making of Orthodoxy". Essays in Honour of Henry Chadwick. Cambridge: Cambridge Univ. Press, 1989.

Orlandi, Tito. "Coptic Literature." In The Roots of Egyptian Christianity,Ed. BirgerA. Pearson and James E. Goehring. Pliiladelphia: Fortress Press, 1986.:

Pearson, Birger A. Gnosticism, Judaism, and Jewish Christianity. Minneapolis: Fortress Press, 1990.

-------. "Earliest Christianity in Egypt." In The Roots of Egyptian Christianity. Ed. BirgerA. Pearson and James E. Goehring. Philadelpilia: Fortress Press, 1986, pp. 132-160

Pearson. Birger A.. and James E. Goehring, eds. The Roots of Egyptian Christianity. Philadelphia: Fortress Press, 1986.

Pennington, J. D. "The Copts in Modem Egypt." Middle Eastern Studies,18 (1982), 158-179.

Perlmann, Moshe. "Notes on Anti-Christian Propaganda in the Mamluk Empire." Bulletin of the School of Oriental. And African Studies, 10 (1940-42), 843-861.

-------. "Shurunbulali Militant." In Studies in Islamic History and Civilization in Honour of Professor David Ayalon. Ed. M. Sharon. Jerusalem: Cana, 1986.

-------. Rev. of The Education of Salama Musa, by Salama Musa, Middle East Affairs, 2 (1951), 279-285.

Petry, Carl. The Civilian Elite of Cairo in the Late Middle Ages. Princeton: Princeton Univ. Press, 1981.

-------. "Copts in Late Medieval Egypt."Coptic Encyclopedia 1991.

Poladian,Terenig. "The Doctrinal Position of the Monophysite Churches." Bulletin de la. Societé d'Archéologie Copte, 17 (1963-64), 157-175.

Poliak, A. N. Feudalism in Egypt, Syria, Palestine, and the Lebanon, 1250-1900. London: Royai Asiatic Society, 1939.

Remondon, R. "L'Egypte et la supreme resistance au christianisme (Ve -VIIe siècles)." Bulletin de L'lnsdtut Français d'Archéologie Orientale, 51 (1952), 63-78.

Richmond, J. C. B. Egypt 1798-1952: Her Advance Toward a Modem Identity. London: Methuen and Company, 1977.

Ritter, Adolf Martin. "De Polycarpe à Clement: Aux Origines d'Alexandrie : Chrétienne." Alesandrina: Héllénisme, judaisme et christianisme à Alexandrie: Melanges of offerts au P. Claude Mondesert Paris: Editions du Cerf, 1987, pp. 151-172.

Roberts, Colin Henderson. "Early Christianity in Egypt: Three Notes." Journal of Egyptian Archeology, 40 (1954), 92-96.

-------. Manuscript, Society and Belief in Early Christian Egypt. Oxford : Oxford Univ. Press, 1979.

-------. Rev. of Orthodoxy and Heresy in Earliest Christianity (2ndGerman) ed., by Walter Bauer. Journal of Theological Studies. NS 16 (1965), 183-185.

Robinson, James M. Gen.ed. The Nag Hammadi Library in English. Trans. and ed. members of the Coptic Gnostic Library Project of the Institute for Antiquity and Christianity, Claremo-rit, Calif., 3rd ed. San Francisco: Harper and Row,1988.

Roncaglia, Martiniano Pellegirno. Histoire dc I'église copte. 4 vols. Beirut: Dar al-Kalima, 1966-1973.

Rousseau, Philip. Pachomius: the Making of a Community in Fourth Century Egypt. Berkeley: Univ. of California Press, 1985.

Rowlatt, Mary. Founders of Modern Egypt. New York: Asia Publishing House, 1962.

Roy, D. A. and W. T. Irelan. "Law and Economics in the Evolution of Contemporary Egypt." Middle Eastern Studies, 25 (1989), 163-185.

Rubenson, Samuel. The Letters of St. Antony: Origenist Theology, Monastic Tradition, and the Making of a Saint. Lund: Lund Univ. Press, 1990.

Rugh, Andrea B. Family in Contemporary Egypt. Syracuse, N. Y.: Syracuse Univ. Press, 1984.

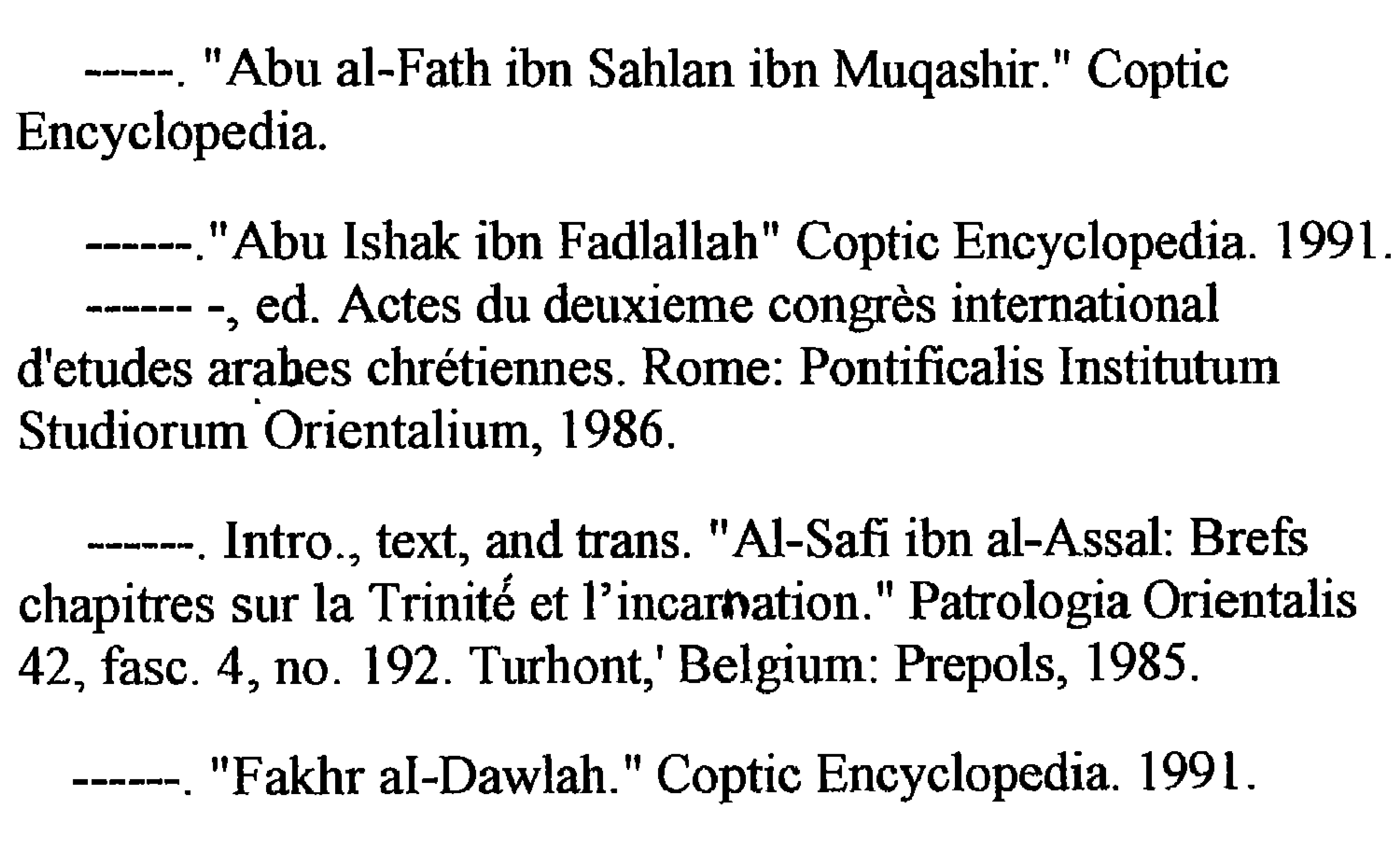
Sadeque, Syedah Fatima. Baybars of Egypt. Dacca: Oxford Univ. Press,1956.

Sagiv, David. "Judge Ashmawi and Militant Islam in Egypt." Middle Eastern Studies, 28 (1992), 531-546.

Saïd Aly, . . and M. W. Wenner. "Modem Islamic Reform Movements: The Muslim Brotherhood in Contemporary Egypt." Middle East Journal, 36 (1982), 336-361.

St. Mark and the Coptic Church. Cairo: Coptic Orthodox Patriarchate,1968.

Samaan, Makram and Soheir Sukkary. "The Copts and Muslims of Egypt" In Muslim-Christian Conflicts: Economic, Political, and Social Origins. Ed. S. Joseph and B. L. K. Pillsbury. Boulder, Colorado: Westview, 1978, pp. 129-155. ;



Samir, Khalil. "Abd al-Masih al-Israeli al Raqqi." Coptic Encyclopedia.1991.

-----. "Abu al-Fath ibn Sahlan ibn Muqashir." Coptic Encyclopedia.

------."Abu Ishak ibn Fadlallah" Coptic Encyclopedia. 1991.

------ -, ed. Actes du deuxieme congrès international d'etudes arabes chrétiennes. Rome: Pontificalis Institutum Studiorum Orientalium, 1986.

------. Intro., text, and trans. "Al-Safi ibn al-Assal: Brefs chapitres sur la Trinité et l'incarnation." Patrologia Orientalis 42, fasc. 4, no. 192. Turhont,' Belgium: Prepols, 1985.

------. "Fakhr al-Dawlah." Coptic Encyclopedia. 1991.

------. "Gabriel V." Coptic Encyclopedia. 1991.

------. "al-Safi ibn al- .Assal." Coptic Encyclopedia. 1991.

Sarkissian, Karekine. "Les Eglises orientales et l'unité chrétienne." Proche-Orient Chrétien, 16 (1966), 109-11°:

Saunders, J. J. A History of Medieval Islam. London: Routledge and Kegan Paul, 196.5.

Savarv. Claude Etienne. Letters on Egypt. London: G. G.J. andJ. Robinson, 1786.

al-Sayyid Marsot, Afaf Lutfi. Egypt in the Reign of Muhammad Ali. Cambridge: Cambridge Univ. Press, 1984.

-------. Egypt's Liberal Experiment: 1922-1936. Berkeley: Univ. of California Press, 1977.

-------. A Short History of Modem Egypt. Cambridge: Cambridge Univ. P. ess, 1985.

Scott-Moncrieff, Philip David. Paganism and Christianity in Egypt. Cambridge: Cambridge Univ. Press, 1913.

Seikaly, Samir. "Coptic Communal Reform: 1860-1914." Middle Eastern Studies, 6 (1970), 247-275.

-------. "The Copts under British Rule, 1882-1914." Diss. University of London 1967.

-------. " Prime Minister and Assassin: Butros Ghali and Wardani." Middle Eastern Studies, 13 (1977), 112-123.

Severianus. "Les Coptes de L'Egypte musulmane." Trans. J. Baragnan. Études Méditerraneennes, 6 (1959), 70-87.

Shaw, Stanford J. The financial and Administrative Organization and Development in Egypt, 1517-1798. Princeton: Princeton Univ. Press, 1962.

------ -. History of the Ottoman Empire and Modem Turkey. Vol. 1 of Empire of me Gazis: The Rise and Decline of the

Ottoman Empire, 1280-1808. Cambridge: Cambridge Univ. Press, 1976.

Shenouda III, Pope. "'Christian Unity." Coptic Church Review, 6 (1985), 4-8.

Shenouda III, Pope, et al."Migration." Coptic Encyclopedia, 1991.

Shore, A. F. "Christian and Coptic Egypt." In legacy of Egypt Ed. J. R. Harris. 2nd ed. Oxford: Clarendon Press, 1971, pp. 390-433.

Sidarous, Sesostris. Des Patiiarcats: Les Patriarches dans I'empire ottoman spécialeuient en Egypte. Paris: Arthur Rousseau, 1907.

Sidarous.s. Fadel. "Eglise copte et monde modeme." Proche-Onent Chrétien, 30 (1980), 211-265.

Simaika, Markus. "The Awakening of the Coptic Church." The Contemporary Review, 71 (1897), 734-747.

Smith, Morton. Clement of Alexandria and a Secret Gospel of Mark. Cambridge: Harvard Univ. Press, 1973.

Sobhy Bey,George. "Education in Egypt during the Christian Period and Amongst the Copts." Bulletin de la. Societé d'Archéologie Copte, 9 (1943), 103-122.

Solihin, Sohirin Mohammed. Copts and Muslims in Egypt: A Study on Harmony and Hostility. Leicester: The Islamic Foundation, 1991.

Sonbol, Amira. "Society, Politics, And Sectarian Strife." In I. M. Oweiss, The Political Economy of Contemporary Egypt.

Washington: Georgetown Univ. Center for Contemporary Arab Studies, 1990.

Sonnini de Manoncourt, Charles Nicholas. Travels in Upper and Lower Egypt. Trans. Henry Hunter. London:J. Stockdale, 1807.

Sourdel, D. "The Abbasid Caliphate." In The Central Islamic Lands from Pre-historic Times to the First World War, Vol. 1 of The Cambridge History of Islam. Ed. P. M. Holt, A. K. S. Lambton, and B. Lewis, Cambridge: Cambridge Univ. Press, 1970.

Southgate, Horatio. In The Spirit of Missions, 6 (1841). 369.

Staffa, S. J. Conquest and Fusion: The Social Evolution of Cairo A.D. 642-1850. Leiden: E.J. Brill, 1977.

Starobinski-Safran, Esther. "La communauté Juive d'Alexandrie à l'époque de Philon." Alexandrina: Héllénisme, Judaisme et Christianisme à. Alexandrie: Melanges Offerts au P. Claude Mondesert Paris:, 1987, pp. 45-75.

Stern, S. M. Fatimid Decrees: Original Documents from the Fatimid Chancery. London: Faber and Faber, 1964.

Strothmann, Rudolf. Die Koptische Kirche in der Neuzeit Tiibingen: J.B.Mohr,1932.

Tamura, Airi. "Ethnic Consciousness and its Transformation in the Couse of Nation-building: The Muslim and the Copt in Egypt, 1906-1919." Muslim World, 75 (1985), 102-114.

Tcherikover, Victor. Hellenistic Civilization and the Jews. Trans. S. Applebaum. New York: Atheneum, 1975.

Telfer, W. "Episcopal Succession in Egypt" Journal of Ecclesiastical, history, 3 (1952), 1-13.

Thornton, Douglas M. "The Education Problem in Egypt in Relation to Religious Teaching." Church Missionary Intelligencer, 57 (1906), 6,51-6,58.

Three Byzantine Saints. Trans. Elizabeth Anna Sophia Dawes and Norman Baynes. Oxford: B. Blackwell, 1948.

Timbie, Janet. "The State of Research on: the Career of Shenoute ofAtripe." In The Roots of Egyptian Christianity. Ed. Birger A. Pearson and James E. Goehring. Philadelphia: Fortress Press, 1986, pp. 25.S-270.

Tisserant, Eugene and Gaston Wiet "La Liste des patriarches d'Alexandrie dans Qalqashandi." Revue de 1'Orient Chrétien, ser. 3, 3 (1922-23), 123-140.

Trevijano, R. "The Early Christian Church of Alexandria." Studia Patristica, 12 (1975), 471-477.

Trigg, Joseph Wilson. Origen: The Bible and Philosophy in the Third-century Church. Atlanta: John Knox Press, 1983.

Trossen, Jean Pièrre. Les Relations." du patriarche copte Jean XVI avec Rome (1676-1718). Luxembourg: Imprimerie Hermann, 1948.

Tsirpanlis, Constantine N. "The Origenistic Controversy in the Historians of the Fourth, Fifth, and Sixth Centuries." Augustinianum, 26 (1986), 177-183.

van den Bent, Ans J. ed. Handbook: Member Churches. Geneva: Worid Council of Churches, 1985.

Vansleb,J. M. Histoire de l'église d'Alexandrie fondée par Marc que nous appelons celle des Jacobites-coptes d'Egypte, éclite au Cairo meme en 1672 et 1673. Paris: Veuve Closier et Pierre Prome, 1677.

Vatikiotis, Panayiotis Jerasimo. The History of Egypt. 3rd ed. Baltimore: Johns Hopkins Univ. Press, 1985.

Veilleux, Armand. Pachomian Koinonia. 3 vols. Kalamazoo, Mich.: Cistercian Publications, 1980-1982.

Verghese, Paul, ed. Koptisches Christentum: Die Orthodoxe Kirchen, Egyptens und Athiopiens. Stuttgart; Evangelisches Verlagswerk, 1973. ;

Viaud, Gerard. La Liturgie des coptes d'Egypte. Paris: Maisonneuve, 1978.

-------. Magie et coutumes populaires chez les coptes d'Egypte. Sisteron, France: Editorial Présence, 1978.

Vivian, Tim. Saint Peter of Alexandria: Bishop and Martyr. Philadelphia: Fortress Press, 1988.

Volkoff, 0. V., ed. Voyageurs russes en Egypte. Cairo: Institut Français d'Archéologie Orientale, 1972.

Volney, M. C.-F. Travels through Syria and Egypt,in the Years 1783. 1784, and 1785. London: G. G.J. and J. Robinson, 1787.

Wakin, Edward. "The Copts in Egypt." Middle East Affairs, 12 (1961), 198-208.

-------. A Lonely Minority': The Modem Story of Egypt's Copts. New York: William Morrow, 1963.

Warburgh. Gabriel R. "Islam and Politics in Egypt: 1952-1980." Middle Eastern Studies, 18 (1982), 131-157.

Wassef, C. Wissa. Pratiques rituelles et alimentaires des coptes. Cairo: Institut français d'archéologie orientale, 1971.

Watterson, Barbara. Coptic Egypt. Edinburgh: Scottish Academic Press, 1988.

Wellard, James Howard. Desert Pilgrimage: Journeys to the Egyptian and Sinai Deserts: Completing the Tliird of the Trilogy of Saharan Exploration. London: Hutchinson, 1970.

Wiet, Gaston. L'Égypte arabe: de la conquete arabe à la. conquete ottomane 642-1517 de l'ère chrétienne. Vol. 4 of Histoire de la nation égyptiennc. Ed. Gabriel Hanotaux. Paris: Librairie Plon, n.d.

-------. "Qibt." Encyclopedie de l'Isiam: Dicticnnaire geographique, éthnographique, et biograpliique des peuples musuhnans. Leiden: E.J. Brill, 1927.

Wikan, Unna. Life among the Poor in Cairo. Trans. Ann Henning. London: Tavistock Publications, 1960.

Williams, Rowan. Arius: Heresy and Tradition. London: Darton, Longman, and Todd, 1987.

Wipszycka, Ewa. "La Christianization de l'Égypte aux 4ème-6ème siècles: Aspects sociaux et éthniques." Aegyptus, 68 (1988), 117-165.

-------. Les Ressources et les activités économques des églises en Égypte du 4ème au 8ème siècle. Brussels: Fondation égyptologique, Reine Elisabeth, 1972.

Wisse, Frederick. "Gnosticism and Early Monasticism in Egypt." In Gnosis. festschrift für Hans Jonas. Ed. B. Aland. Göttngen: Vandenhoeck und Ruprecht, 1978, pp.431-440.

-------. "The Nag Hammadi Library and the Heresiologist." Vigiliae Christianae, 25 (1971), 205-223.

Wooley, R. M. Coptic Offices. London: SPCK, 1930.

Wordsworth, John. Bishop Sarapion's Prayerbook: An Egyptian Sacramentary Dated Probably about A.D. 350-356. 2nd ed. London: SPCK, 1923.

Worrell, W. H. A Short Account of the Copts. Ann Arbor, Mich.: univ. of Michigan Press, 1945.

Yanney, Rodolph. "Light in the Darkness: life of Archdeacon Habib Guirgius (1876-1951)." Coptic Church Review, 5 (1984), 47-52.

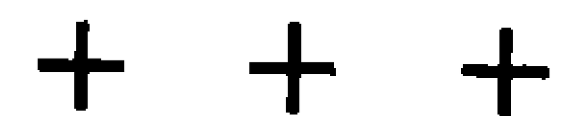
Young, Dwight W. "The Milieu of Nag Hammadi: Some Historical Considerations." Vigiliae Christianae, 24 (1970), 127.137.

------. "A Monastic Invective against Egyptian Hieroglyphics." In Studies Presented to Hans Jakob Polotsky. Ed. D. W. Young. East Gloucester, Mass.: Pyrtle and Polson, 1981, pp. 348-360.

Young, George. Egypt. London: Ernest Benn, 1927.

Zanetti, Ugo. Les Lectionnaires coptes annuels: Basse Égypte. Louvain-la Neuve: Institut Orientaliste, 1985.

-------. Les Manuscrits d'Abu Maqar: Inventaire. Geneva: Patrick Cramer, 1986.



م	الفهرست	الصفحة
١	تقديم الكتاب.	٥
٢	مقدمة الكاتب.	٦
٣	الفصل الأول : المسيحيون الأوائل فى مصر إلى نحو عام ١٧٥م.	١٢
٤	الفصل الثانى : أسس القيادة (الروحية) من نحو عام ١٧٥-٣١٣م.	١٩
٥	الفصل الثالث : قيادة الكنيسة القبطية للمجامع المسكونية من نحو ٣١٣-٤٥١م.	٢٦
٦	الفصل الرابع : قبطية ووطنية (من٤٥١-٦٤١م).	٣٥
٧	الفصل الخامس : القرون الأولى بعد الغزو العربى (من ٦٤٠ إلى نحو ٩٧٠م).	٤٩
٨	الفصل السادس : الكنيسة القبطية فى أيام الفاطميين والأيوبيين (من٩٧٠-١٢٦٠م).	٧١
٩	الفصل السابع : الدولة المملوكية (١٢٦٠-١٥١٧).	٩١
١٠	الفصل الثامن : مصر تحت الحكم العثمانى (١٥١٧-١٧٩٨)	١٠٣
١١	الفصل التاسع : مصر في القرن التاسع عشر (١٧٩٨-١٨٨٢).	١١٤
١٢	الفصل العاشر : القرن العشرون (الجزء الأول) (١٨٨٢-١٩٥٩).	١٣٤
١٣	الفصل الحادى عشر : عن القرن العشرين (الجزء الثانى) (حتى عام ١٩٥٩).	١٦٢
١٤	المراجع .	١٨٢

هذا الكتاب

هو أحدث دراسة علمية تحليلية عن **تاريخ الكنيسة القبطية** ، وهو يستعرض مراحل تاريخها حتى الوقت الحاضر، معتمداً على الكثير من المخطوطات والوثائق التى يحتاجها كل باحث ودارس لتاريخ الكنيسة المصرية ومترجماً بأسلوب مبسط، مع التعليقات التوضيحية والرد على آراء الكاتب الخاصة .

وقد تم إرفاق جميع المصادر الهامة لتاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، خلال عصورها المختلفة وحتى الآن، خدمة للدارسين فى الجامعات وفى المعاهد اللاهوتية فى مصر والخارج.

ونرجو استكمال هذه السلسلة التاريخية التى أعددناها ونشرتها مكتبة المحبة، والتى تناسب كل باحث وخادم ومحب للتاريخ المقدس وهى:

١- تاريخ البطاركة لساويرس ابن المقفع.

٢- تاريخ البطاركة لأسقف فوه.

٣- الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ، للأنبا إيسيذروس.

٤- عصر المجامع للقمص كيرلس الأنطونى.

٥- مصباح الظلمة لإبن كبر.

٦- بستان القديسين، لبلاديوس وچيروم.

٧- قديسو مصر، لأوليرى الأنجليزى.

٨- القديسون المصريون ، لبول شينو الفرنسى.

٩ - موجز تاريخ المسيحية للأنبا ديوسقورس أسقف المنوفية الراحل.

١٠ - الكنيسة المصرية الليبية (الخمس المدن الغربية) للكاتب .

١١- تاريخ الكنيسة الشرقية، للدكتور عزيز سوريال.

١٢ - تاريخ القدس وبيت لحم للمؤلف.

١٣ - تاريخ الكنيسة المصرية للويز بوتشر.

وتطلب من مكتبة المحبة.



٣٠ ش شبرا - القاهرة - مصر

تليفون وفاكس : ٥٧٧٧٤٤٨ - ٥٧٥٩٢٤٤ ت : ٥٧٥٨٢٦٢

E-mail: Mahabba5@hotmail.com

٥/٢٧٩